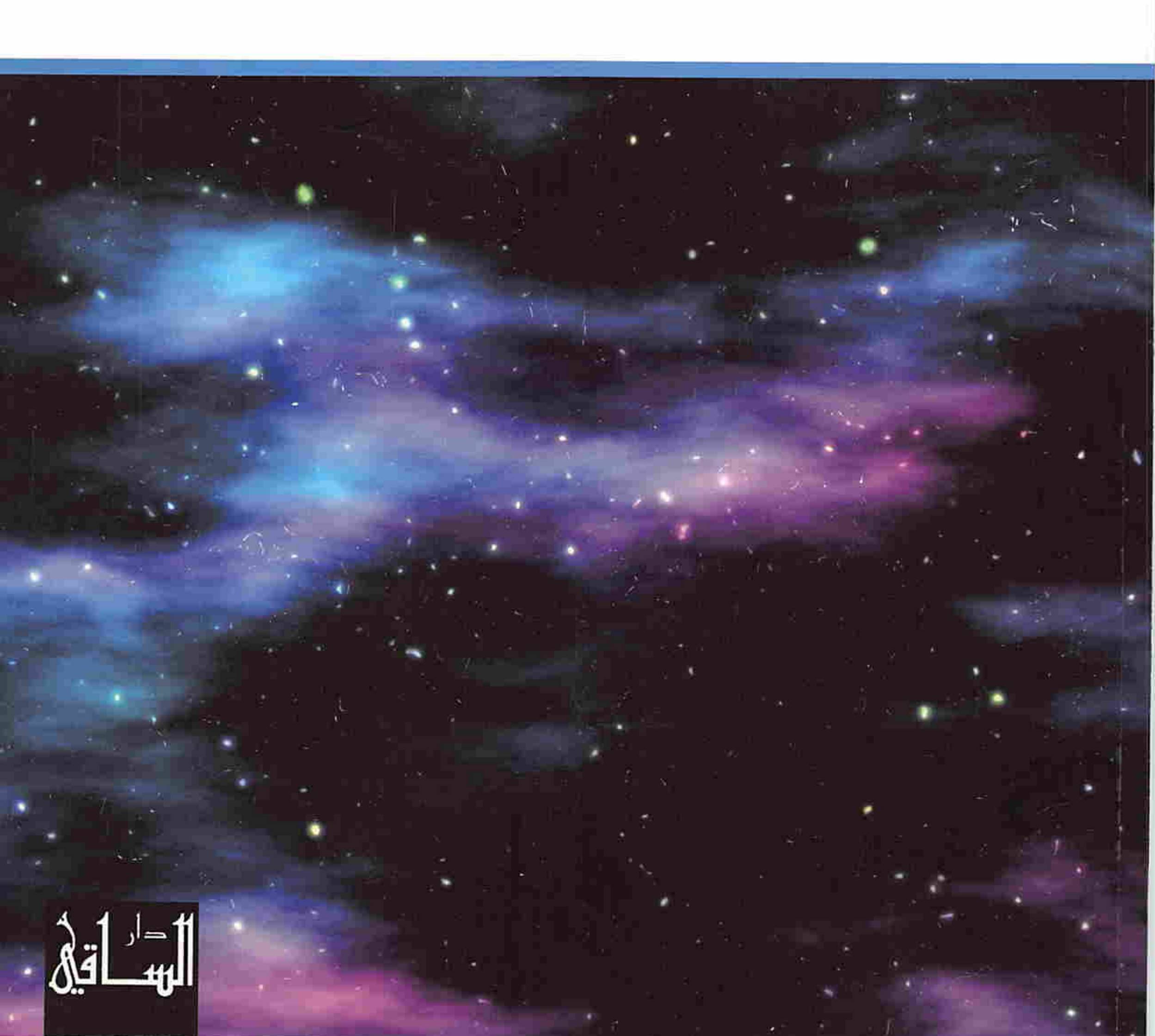
منهاجُ ٱلعلوم

سمير إبراهيم خليل حسن





سمير إبراهيم خليل حسن

منهاجُ ٱلعلوم

دليله فى ٱلِّسان ٱلعربىّ ٱلمبين
(ٱلقرءان)
ٱلكتاب ٱلأول وٱلثانى



بيروت ـ لندن

الطبعة الأولى ٢٠١١

ISBN 978-1-85516-742-1

دار الساقي
بناية النور، شارع العويني، فردان، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
الرمز البريدي: ٦١١٤ ـ ٢٠٣٣
هاتف: ٨٦٦٤٤٢ ١ ٩٦١+، فاكس: ٨٦٦٤٤٣ ١ ٩٦١+
e-mail: info@daralsaqi.com

محتويات ٱلكتاب

منهاج ٱلعلوم

علوم ٱلناس كثيرة ولكلِّ علم منهاج. ومنهاج أيِّ علم هو مخطط لسبيلٍ معلومٍ يسلكه مَن يريد ٱلنظر فيَ أيِّ مسألة من مسآئله. ويُبَيِّنُ فى ٱلمخطط معلوماتٍ تحكم ٱلنظر ولا تتبدّل إلى جانب تحديد للمأرب ٱلذى سيصل إليه ٱلنظر وٱلعلم فى ٱلمسألة.

و«منهاج ٱلعلوم» هو مخطط يهدىَ إلى سبيل ٱلعلم بجميع ٱلمسآئل. وفيه محكم للنظر فىَ أىِّ مسألة. وٱلمأرب من ٱلنظر وٱلعلم فى كلِّ شىء.

و«منهاج ٱلعلوم» هو ٱلعنان ٱلذى ٱخترته لتحمله ثلاثة من كتبى ٱلتى صدرت بدءا من عام ٢٠٠٢ وحتى عام ٢٠٠٥. وكان ٱختيارى لهذا ٱلعنان بسبب ما وصلت إليه من بعد سنوات طويلة من ٱلعمل على ٱلقول فى «ٱلقرءان» لأعلم ماذآ أراد ٱللّه به من ٱلإنسان. وقد علمت أنّه يريد أن يهديه بلسان فطرته ليعلم بٱلحقِّ ولا يضلّ فيه ويُسعد بعلمه ويعلو به علىَ أصله ٱلوحش وٱلبهيم.

واجه أكثر ٱلمتعلمين ٱختيارى مفهوم «منهاج ٱلعلوم» لوصف «ٱلقرءان» به بٱلاستنكار وٱلرفض. إذ يرىَ أكثرهم أنّ ٱلقرءان لا علم فيه وأنّه كتاب تعليمات لسلوك ٱلمتدينين. إذ مَن هو ٱلذى يحيط بجميع ٱلعلوم حتى يكون هاديا فيها جميعها ويكون كتابه منهاجا للعلم بها؟

وهل ما جآء فى «ٱلقرءان» عن ٱللّه أنّه عليم بكلِّ شىء يكفى لقبوله وتصديقه؟

وماذا رأيت في «ٱلقرءان» وكيف صدّقت وٱخترت هذا ٱلعنان لكتب ثلاثة؟

«ٱلقرءان» هو هذا ٱلمنهاج. وجآءت هدايته إلى سبيل كلّ علم بواسطة أُمّيّ مّنَ ٱلناس:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢ ٱلجمعة.

وبلسان فطرة هذا ٱلأُمّيّ:

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ ٩٧ مريم.

وفيه تحذير من تكبّر ولغو ٱلمتعلمين ٱلذين يكفرون هدايته علىٓ أنفسهم وعلى غيرهم من ٱلناس بما معهم من درجات تعليم مدارس يهمين عليها كهان طوآئف وأحزاب طاغوت:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وهذا ٱلأُمّيّ ٱلمبعوث هو مَن ضرب مثلا في كيف تقوم للناس سلطة مدينة لا تُغلق أبواب ٱلعلم بكيف بدأ ٱلخلق. وقد كفروا على ٱلمثل ويمنعون ذكره.

لقد ٱختبرت قول «ٱلقرءان» بوسيلة عقله[1] مع قول بعض ٱلناس في علوم ٱكتسبوها كعلم ٱلفيزيآء وٱلبيولوجي. ٱلتي جآء بعضها في كتبي ٱلأولى ٱلثلاثة وبعضها ٱلأخر في كتب ومقالات أخرى.

وبٱلعقل علمت أنّ ما فيه هو هداية من عليم خبير بأيّ علم من علوم ٱلناس. يعظهم ليسيروا في ٱلأرض وينظروا كيف بدأ ٱلخلق ويقرأوا بٱسم ربهم ٱلذي خلق. وبيّن لهم محكم هذا ٱلخلق ٱلذي لا يتبدّل وهو ما سيجدونه كيفما ساروا ونظروا. وفيه هداية عليم خبير في خلقه وصناعته لكلّ شيء للنفع منهما وٱلتقوى من فعل ٱلفساد فيهما.

---

(١) عقل ٱلقول أو ٱلشيء هو مقارنته وموازنته مع غيره وٱلحكم عليه.

وضربت مثلا على هدايته فيما يضعه ٱلذين يعلمون ويخلقون ويصنعون من كتب هداية للناس للنفع من صناعتهم (دليل ٱستعمال وإرشاد «كاتلوك للاستعمال وٱلصيانة وٱلإصلاح»).

فما رأيته فى «ٱلقرءان» أنّه كتاب هداية (كاتلوك) من خالق صانع عليم خبير بصناعته وبسبيل مَن يريد من ٱلناس أن ينظر فى ٱلحقّ ويقرأ ويعلم ويهتدى ليصلح ما فسد بعمله ويحسن ولا يفسد ولا يسيىء.

ورأيت أنّ ٱلهادى عليم خبير فىّ أكثر مسآئل ٱلعلم ريبًا وٱلتى ما زال قول ٱلناظرين فيها من دون توكيد ومن دون تصديق. وهذه ٱلمسألة هى نشأة ٱلحياة وتطورها بدءا من مآء وتراب[1]. فما بيّنه ٱلعليم ٱلخبير فى هدايته للناظرين هو حاجة ٱلمآء إلى ٱلتراب لتأمين حدث فيزيآئىّ مبارك[2] من ٱلتأثيرات ٱلخارجيّة. وأنّ ٱلحدث ٱلفيزيآئىّ ٱلمبارك جرى بمنهاج خلق وهداية ملهم فنشأ فعل بيولوجىّ أنبت نفسا حيّة:

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ ١٧ نوح.

وألهم فى ٱلنفس منهاجا لفعلها:

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا /٧/ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا /٨/﴾ ٱلشمس.

فمآ ألهم هو منهاج من معلومات تفجر به ٱلنفس ٱلنابتة فتقاتل وتتقى به فتحتمى وتعيش.

وما علم به ٱلناظرون فيما يبحثون ويختبرون ويصنعون من وسآئل للعلم بهذه ٱلنشأة ٱلحية وهى ٱلنشاة ٱلأولى للحياة أنها تحتاج إلى مقدار كبير من ٱلمعلومات ٱلتى تحكم هذا ٱلفعل وتحافظ عليه. وأنّ فعل هذه ٱلمعلومات لا يتابع جريه ما لم يُبارك بِسُورٍ من تراب يحميه حتى يجعل ٱلمعلومات «نفسا واحدة» (وحيدة ٱلخلية).

---

(١) ٱلتراب هو ما تسميه ٱللغة «عناصر الطبيعة».

(٢) محروس حراسة لا تسمح بتسلل ولا تسهو ولا تغفل.

هذا ٱلمقدار من ٱلمعلومات مبيّن فى ٱلهداية بمفهوم ٱلإلهام. وٱلمثل عليه فى كلِّ منهاج يُلهم Installing فى «هارد ٱلكومبيوتر» ٱلذى خلقه وسوّىٰه ٱلإنسان.

ورأيت أنّ ٱلهادى عليم خبير بأطوار حياة ٱلنفس وبتاريخها. فتبدأ نفسا واحدة ثمّ تُجعل نفسين «ذكر وأنثى» بذات ٱلمنهاج ٱلملهم «فجور وتقوى». وبه تتطور حتى تبلغ كمالها فى هيئة ٱلبشر وحش يفجر ويتّقى فيفسد فى ٱلأرض ويسفك ٱلدّمآء.

وعليم خبير فى صناعة منهاج لنفس ٱلبشر يشبه «ويندوز ٱلكومبيوتر» ينفخها ويفتحها على ٱلإدراك لذاتها ولغيرها. وبه تعلم وتخبر وتأنس وتتلقّى ٱلمناهج ٱلتى تكسبها قدرة على ٱلنظر وٱلعلم وٱلرؤية وٱلقرء قولا وخطًّا. وهذا ٱلمنهاج هو «ٱلرُّوح». وهو ما قال عنه «تشارلز دارون» بٱلحلقة ٱلمفقودة وما زال ٱلناظرون ٱلتطوريون يقولون مثل قوله.

وبذلك ٱلمنهاج صار لنفس ٱلبشر أن يُؤدَّب منهاج ٱلوحش فيها وتصير «ءادبا»[١] يُدرَّب على ٱلخبرة بٱلروح ليصير «ءَادم» ويعيش شعوبا وقبآئل.

وبيّن ٱلعليم ٱلخبير لأَدم أنّه صنع منهاج «إبليس» ليغويه بٱلشهوات ويشاركه فى ٱلأموال وٱلأولاد ليخبر فى ٱلتَّقوى منه وتشتدّ خبرته بٱلروح. وحذّره من غواية «إبليس» وشيطه ومن ٱتباعه فيما يشهيه به فينسى خبرته بٱلروح وٱلتّقوى ويعود وحشا.

وقد علم ٱلناظرون ببعض هذه ٱلصناعة وتبيّن لهم خلودها وأنها لا تتأثر بنار ولا بفعل كيميآئىّ. وقد سمُّوا ما علموا به من هذه ٱلصناعة «فيروسا virus» وهو شىء جنىّ لا يظهر لبصر ٱلعين ولا يموت.

وممّا علموا به أنّ «ٱلفيروس» يدخل جسم ءَادم ويبثُّ فيها ٱلأمراض وٱلألام. وأنّه لا يفنى بأى وسيلة. لكنّهم ما زالوا لا يعلمون أنّ هذا «ٱلفيروس» هو بعض «إبليس» ٱلمُنظر إلى يوم يبعثون:

---

(١) ورد هذا ٱلاسم فى ٱلأسطورة ٱلسومرية وهو لوحش مؤدّب.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾ صٓ.

يدخل «إبليس» جسم ءادم ويبثّ رسآئل يغوى ٱلنفس ويلفتها عن ٱلروح وٱلتقوى ويشهيها بٱلطعام وٱلأموال وٱلأولاد وٱلملك وٱلخلود. فإن غوت مرضت وتألمت كعلامة على ٱلفسق. وإن تذكّرت وٱتقت ذهب مرضها وألمها وعادت لتحيا بٱلروح.

لقد ضرب ٱلعليم ٱلخبير للناس مثلا على فعل «إبليس» مع «عيسى» وسجّل «متى» ذلك فيَ إنجيله بما ٱستطاع فهمه من ٱلمثل ٱلذى حدّث به «عيسى». ومن قول «متّى» عنه:

(فبعد ما صام اربعين نهارًا واربعين ليلةً جاع اخيرًا. فتقدّم اليهِ المجرّبُ وقال له إن كنتَ ابن اللهِ فقُل أن تَصيرَ هذه الحجارة خبزًا. فاجابَ وقال مكتوبٌ ليس بالخبز وحدهُ يحيا الانسان بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله)[1].

يبيّن أنّ ٱلجوع يفتح لإبليس فرصة لتحريض ٱلنفس بٱلشهوة فيرسل لها رسآئل يشهيها بألوان ٱلطّعام. فإن ٱستجابت ٱلنفس للشهوة يتابع رسآئله حتّى تكمل صيطرته عليها فيسوقها بٱلشهوات. أمآ إن تذكّرت ٱلهداية ذكرت ما فيها من موعظة فتقول:

(مكتوبٌ ليس بالخبز وحدهُ يحيا الانسان بل بكل كلمةٍ تخرج من فم الله).

وبذلك تسلم من فعل «إبليس» وتشتدُّ على ٱلشهوات وتتقى ٱلأمراض وٱلألام. وهذا لم يعقله ٱلناظرون مع ما علموا به من فعل «ٱلفيروس» وما زالوا يظنون أنّ «إبليس» شيء غير معلوم.

---

(١) ٱلإصحاح ٱلرابع من إنجيل «متّى» نسخة ٱللغة ٱلفصحى ٱلمطبوعة في بيروت سنة ١٩٠٩.

لم يكن وصولىَ إلى مفهوم «منهاج ٱلعلوم» يقتصر على مسألة ٱلعلم وٱلخبرة وٱلهداية إلى سبيل ٱلنظر وٱلعلم بكيف بدأ ٱلخلق وٱلهداية إلى سبيل ٱلتقوى من فعل «إبليس» علىَ أهميته ٱلكبيرة. بل رأيت فى ٱلكتاب هداية أخرى لبنىَ ءادم من غواية «إبليس». وفيه موعظة لهم تهديهم إلى سبيل عيشهم ٱلاجتماعى كشعب يتألف من أفراد أحرار فى جميع أمورهم ٱلشخصية لا يكرهون بعضهم فىَ أمر. وأن سبيلهم إلى هذا ٱلعيش فى عهد وميثاق (دستور) بينهم يُوفى بعهد ٱللّه. فلا يلغى حرية ومسئولية أحد منهم وبه يتقون فعل «إبليس» فى شقآئهم وزرع ٱلفتنة بينهم.

وفيه هداية عليم خبير بمنهاج ٱلشعوب ومنهاج ٱلقبآئل. وبٱلحروب ٱلتى تشعلها بينهم غواية «إبليس». وٱلتى لم تنتهِ إلى ٱليوم بفعل مفاهيم ٱلقَبِيل ٱلتى ينشأ عليهآ أبنآء ٱلقبآئل يغويهم «إبليس» فيقبلون بها ولا يقبلون بغيرها وعنها لا يحنفون.

وبين لهم فى ٱلهداية أنّ مفاهيم ٱلشعب تقوم على ٱلمسئولية ٱلفردية ٱلممثّلة بٱلأب «إبراهيم» ٱلذى يسأل وينظر ويذكر ٱلهداية ولا يعمل ما يخالفها. وأنّ «إبراهيم» هو ٱلإمام وٱلبداية لطُور ٱلفرد ٱلسّآئل ٱلناظر ومسئوليته ٱلشخصيّة عمّا يذكر ويتقى ويهاجر فى ٱلأرض ليعيش مع أمثاله من ٱلأفراد ٱلمهاجرين من شُعَبِ ٱلأرض ٱلمختلفة.

وهذا ما يختلف فيه ٱلمسلمون مع ٱلناس بما يفهمونه من ٱلدين وٱلكتاب. وتبيّن مفاهيمهم أنّهم قَبِيل وقوم ٱستجابوا لوسوسة «إبليس» وغوايته فجعلهم يمسخون «ٱلقرءان» ويجعلونه ءاية سيف ومفاهيم طاغوت وسبيلا لسلطة طغوى لا تقبل بمسئولية شخصيّة للأب «إبراهيم» وأبنآئه.

وبغواية «إبليس» نبذوا مفاهيم ٱلشخص وٱلشعب وٱلمجتمع ٱلعهدىّ ٱلذى ضرب ٱلنّبىّ محمد ٱلمثل عليه فى يثرب عهدا وميثاقا وسلطة. وبذلك نبذوا عهد ٱللّه ولم يُوفوا به. فنبذوا حق ٱلإنسان بمسئوليته ٱلشخصيّة ومفهوم ٱلديمقراطية

وٱلفيدرالية بٱسم «ٱلقرءان» ٱلذى مسخوه فى قراطيس ٱكتتبوها بتأثير ٱلغواية ٱلإبليسيّة. وهذا لم أرَ منه فى «ٱلقرءان» إلا فى ٱلتحذير من ٱلوقوع فيه لأنه سبيل شيطان ومسخ للبشر «قردة وخنازير»[(١)].

ما يحمله «ٱلقرءان» من هداية ليس لمن مسخ نفسه بها نفع. بل هى هداية للمؤمنين من ٱلناس ليتقوا من فعل «إبليس» بٱلدخول فى ٱلسلم كآفّة. ٱلسلم مع بعضهم وٱلسلم مع ٱلقَبِيل وٱلأشيآء. وهذا لا يحدث قبل أن يعلم ٱلمؤمنون أنّ كلّ شىء هالك وأنّ ٱلدّين عند ٱللّه ٱلإسلٰم. وأنّ ٱلسلام هو منهاج دين ٱلحقِّ جميعه. وهو منهاج ٱلعليم ٱلخبير ٱلسّلٰم ٱلمؤمن ٱلمهيمن على جميع صناعته وٱلهادى فيها. وأن يعلموّا أنّ ٱلسبيل إلى منهاج ٱلسلام فى حياتهم ٱلاجتماعية هو بعهد وميثاق (دستور) بينهم يوفى بعهد ٱللّه. وبه تقوم لهم سلطة مَدِينة إليه لآ إكراه فيما تأمر لا لكافر ولا لمؤمن. كلاهما سوآء فى ٱلمسئولية ٱلشخصية عمّا يؤمن به كلّ منهما.

وبيّن ٱلعليم ٱلخبير أن ٱلناس فى ٱلمجتمع ٱلعهدىّ بينهم مهاجرون من شُعبٍ مختلفة من ٱلأرض وأنّ ٱلجميع يتوزعون على فئات مختلفة:

ٱلأولى: ٱلمؤمنون وهؤلآء قليلون. وهم ٱلذين ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق ويعلمون ويضعون ٱلنظريّة ويختبرونها ويخلقون ويملكون ويصنعون ويهدون فى صناعتهم ويتنبأون ويعملون على تأويل ٱلأنبآء.

وٱلمؤمنون فئات:

١- مؤمنون بٱلحقِّ ٱلمعلوم ولا يؤمنون بٱللّه وٱليوم ٱلأخر ولا بكتاب دين.

٢- مؤمنون بٱلحقِّ ٱلمعلوم وبٱللّه وٱليوم ٱلأخر ولا يؤمنون بكتاب دين.

٣- مؤمنون بٱلحقّ ٱلمعلوم ويؤمنون بٱللّه وٱليوم ٱلأخر وبكتاب دين.

---

(١) ٱلقردة هم قوم وَثَنوا على موروث معرفىّ لا يحنفون عنه فيجعلهم موقفهم ٱلثابت مذلُّون مهانون. وٱلخنازير من ٱلقوم فى مواقع ٱلسلطة وٱلأمر وٱلتعليم. وقلوبهم قاسية تأمر بٱلجمود ٱلعقآئدىّ.

٤- مؤمنون بٱلحقّ ٱلمعلوم وبٱللّه وٱليوم ٱلأخر وبجميع كتب ٱلدين.

ومن ٱلذين يؤمنون مَن يعقل بين إيمانه بٱلحقّ ٱلمعلوم وبين كتاب ٱلدين فيزداد إيمانا ويخشى ٱللّه بعلم فيتّقى. وهذآ إن مسّهُ طآئف من ٱلشيطان تذكّر ٱلهداية كما تذكّر «عيسى» فإذا هو مبصر:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ٢٠١ ٱلأعراف.

ومنهم مَن لا يعقل ويبقىَ إيمانه على ما هو عليه.

ٱلثانية: أكثرية قَبِيلٍ يؤمنون بٱللّه وهم يشركون فىَ إيمانهم. وهؤلآء يغويهم «إبليس» ويتوزعون بغوايته إلى طوآئف تتناحر وتكذّب بعضها:

١- يشركون ٱللّه فيما يقولون ويعملون فيقولون أنّ ٱللّه هو مَن جعلهم يقولون ويعملون وأنّ لا شأن لهم ولا مسئولية عمّا يقولون ويعملون فيقعدون عن ٱلمسئولية فى ٱلنظر وٱلعلم وٱلصنع وٱلهداية ويلقون بٱلمسئولية على ٱللّه.

٢- مشركون غيرهم من ٱلناس بإيمانهم يظنونهم وسطآء عند ٱللّه فلا يقولون ولا يعملون ولا يصنعون ولا يقدرون على هداية حتى يشاركهم رئيس طآئفة أو رجل من رجالها.

٣- مشركون لأبآء قبيلهم ٱلسّلف بإيمانهم فلا يقولون ولا يعملون ولا يعلمون ولا يصنعون ولا يهدون إلا بما قاله قبيلهم ٱلسلف ولا يهتدون بما يخالف قوله.

٤- مشركون بٱللّه بشر يظنون أنّه هو ٱللّه وينتظرون منه ٱلعلم وٱلخلق وٱلصناعة وٱلهداية.

ٱلثالثة: شعرآء يقولون ما لا يفعلون فلا يعلمون ولا يخلقون ولا يصنعون ولا يهدون إلآ إلى غواية وضلال ولا يهتدون بٱلحقّ ومنهم مَن يؤمن بٱللّه وهو مشرك قبيله ومنهم مَن لا يؤمن بٱللّه.

ٱلرابعة: كهان ومجنانين يظنّزن إيمانا بٱللّه فيتكهنون ويخرصون ويزعمون علما وهداية ولا يهدون إلا فى ضلال وجنون.

وجميع ٱلمشركين يمسّهم ٱلشيطان ويضلّهم عن ٱلحقِّ ويغويهم بٱلشهوات ويشاركهم فى ٱلأموال وٱلأولاد وله يخضعون.

وعيش هؤلآء فى مجتمع من دون حرب له سبيله. وفى «ٱلقرءان» هداية إلى هذا ٱلسبيل مكتوبة كما نزلت من عند ٱللّه ٱلذىَ ألهم ٱلنفس فجورها وتقوىٰها ونفخ فيها من روحه. وٱلذى يذكر هذه ٱلهداية يتقى فلا يقوى عليه «إبليس». وهو فرد ومن ٱلفئة ٱلأولى من دون ٱلفئات ٱلأخرى. وله يهدى ٱلهادى ويوعظ ويوصىَ إلى منهاج يقوم على ٱلسمع وٱلبصر وٱلفؤاد:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

ويبيّن له ٱلهادى محكم ٱلحقِّ ٱلذى لا يتبدّل:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ٣٧ ٱلكهف.

وسنّته ٱلتى لا تتبدّل:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣ فاطر.

ليهتدى بمحكم ٱلحقِّ وسنّته ويعلم ويصدّق به من بعد أن يختبر قوله ٱلهادى بعقل علمه معه لعله يؤمن بٱلحقِّ جميعه فيصدق ويتقى فيصلح مآ أفسد فى ٱلأرض بأعماله.

لم يخاطب ٱلعليم ٱلخبير أحدا من ٱلفئات ٱلأخرى. وحذّر أفراد ٱلفئة ٱلأولى من ٱتباع ٱلأكثرية بسبب ضلالها:

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

كما حذّرهم من فصل أنفسهم عن تلك ٱلفئات ٱلضالّة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ ١٧ ٱلحج.

فٱلمؤمنون وٱلمؤمنات بعضهم أوليآء بعض وٱلذين كفروا بعضهم أوليآء بعض من دون فصل بينهم فى ٱلحياة ٱلدنيا.

وحذّرهم من إكراه تلك ٱلفئات علىٰ أى تشريع وأمر لا يقبلون به. فٱلمشرك وٱلزّانى ينحكان مشركة وزانية وليس للمؤمن بٱللّه وٱليوم ٱلأخر أن يمنعهما ولآ أن يعاقبهما:

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣ ٱلنور.

أما ٱلمؤمن وٱلمؤمنة بٱللّه وٱليوم ٱلأخر فٱلزّنى محرّم عليهما ويعاقبهما ٱلمؤمنون:

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢ ٱلنور.

وٱلمؤمن لا ينكح زانية أو مشركة بزعم توبة. ونكاحه وذريّته محدد سبيلهما:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾ ءَال عمرٰن.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩﴾ ٥٨ مريم.

فلا ينكح إلا مؤمنة ولا يوالىٰ إلا مؤمن أو مؤمنة.

وبيّن له أنّ ٱلسبيل للعيش مع أكثرية مشركة وزانية هو فى مجتمع عهدىّ ديمقراطىّ فيدرالىّ له سلطة ٱتحادية مَدينة للعهد يُولّى فيها مؤمن. ولكلٍّ من فئات

ٱلمجتمع حكمها وشرعها ٱلذى يناسبها. وهو ما تبيّنه ٱلفيدراليّة ٱلتى ضُرب عليها ٱلمثل بواسطة رسول ونبىّ فى يثرب وعهدها «ٱلصحيفة».

كذلك رأيت فى ٱلقرءان ٱلمأرب من خلق ٱلبشر ونفخ ٱلروح فيه:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣١) قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)﴾ ٱلبَقَرَة.

فـءادم أنبأ فطرة بما علّمه ٱللّه وليس بما ٱكتسبه بنفسه من علم. وٱلمؤمن ٱلعليم ٱلذى لا يقف ما ليس له به علم ويعقل ويصدّق ويذكر ٱلهداية ويتبع منهاج ٱلسلام يعلم أنّ ٱلعلم بٱلنبوّة خُتم. وأنّه هو ٱلمأرب وهو ٱلخليفة بما يكتسبه بنفسه من علم ونبإٍ ويعقله. وهو ٱلذى يعلم بما ٱتبعه من منهاج علمٍ أنّ كلّ شىءٍ هالك. وأنّ ٱلبشر من ٱلأشيآء ٱلذى جعله ٱللّه نفسا تفجر وتتقى ونفخ فيه من روحه وجعله «ءَادَمَ». وأنّه بٱلرّوح ٱمتلك بما فيه من أنبآء ٱلقدرة على ٱلإدراك وٱلنظر وٱلعلم بـ «ٱلأَسمَآءَ كُلَّهَا» وٱلخبرة فيها.

ويعلم أنّ للعليم ٱلخبير ٱلأسمآء ٱلحسنى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ١٨٠ ٱلأعراف.

وأنّ هذه ٱلأسمآء تبيّن له ٱلمأرب من خلافته. فٱللّه هو ٱلخالق وٱلخليفة خالق.

وأنّ خلق ٱللّه يتجدد ولا يفتر. وأنّ خلقه محروس حراسة لا سهو فيها ولا غفل:

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ ١٤ ٱلمؤمنون.

فكلمة «تبارك» تدلّ على حراسة جارية لا سهو فيها ولا نوم. وٱلحرّاس ملئكة يسبّحون بحمد ربّهم ويقدّسون له[١]. فكلمة «برك» للجلوس فى مكان ورصد ومراقبة جميع مداخله تمنع ٱلتسلل إليه من دون غفل ولا سهو ولا نوم. ولخلق ٱللّه وسيلة تقديس تقوم به ملائكة يفعلون ما يؤمرون «نقدّس لك». وهم وسيلة حراسة ٱلخلق فيبركون حوله لا يغادرون ولا يغفلون. وهذا ما فعله ٱلتراب من حَرسٍ لفعل ٱلمآء ٱلفيزيآئىّ بٱلمنهاج ٱلمهلم من ٱلتأثير ٱلخارجىّ حتى نبتت منه نفس حيّة.

وبذلك يعلم ٱلمؤمن ٱلعليم أنّ ٱللّه يخلق ويقدّس ويبارك خلقه. ويعلم أنّه خليفة فى ٱلخلق ويهتدى فيقدّس ويبارك خلقه. ويعلم أنّه عليم بمقدار علمه بـ «ٱلأَسمَآءَ كُلَّهَا» وهو ما يبيّنه له ٱلبلاغ:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلإسراء.

وتدلّه ٱلأسمآء ٱلحسنى على صفة مطلقة فى تجديد ٱلخلق ٱلمقّدس وٱلمبارك تقابلها نسبية هذا ٱلاسم عند ٱلخليفة. فٱللّه هو ٱلسّميع وٱلخليفة سميع. وٱللّه هو ٱلبصير وٱلخليفة بصير. وٱللّه هو ٱلقوىّ وٱلخليفة قوىّ. وٱللّه هو ٱلقدير وٱلخليفة قدير. وٱللّه هو ٱلعزيز وٱلخليفة عزيز. وٱللّه هو ٱلخبير وٱلخليفة خبير. وٱللّه هو ٱللّطيف وٱلخليفة لطيف. وٱللّه هو ٱلرّحيم وٱلخليفة رحيم. وٱللّه هو ٱلجبّار وٱلخليفة جبّار. وٱللّه هو ٱلمنتقم وٱلخليفة منتقم. وٱللّه هو ٱلملك وٱلخليفة ملك. وٱللّه هو ٱلحليم وٱلخليفة حليم. وٱللّه هو ٱلغنىّ وٱلخليفة غنىّ. وٱللّه هو ٱلحميد وٱلخليفة حميد. وٱللّه هو ٱلمؤمن وٱلخليفة مؤمن. . إلىٓ أخر ٱلأسمآء ٱلحسنى. فيهتدى ويعلم أنّ ٱسم كاهن وشاعر ولاعب وجاهل وظالم وكافر وضعيف ومريض وذليل وفقير وغافل ونآئم وقرد وخنزير وغيرها من ٱلأسمآء

---

(١) ٱلحمد هو طلب أمر بعلم محيط بحاجته بلا زيغ ولا طغوى. وٱلتقديس هو ٱلتعقيم وٱلتطهير.

ٱلتى تدلّ على مَن خرّب «إبليس» ٱلرّوح فى نفسه وأرجعه إلىٓ أصله ٱلبهيم ليست من أسمآء ٱلخلافة بٱلأسمآء ٱلحسنى فيقدّس ويبارك نفسه ليتقّى منها.

جآء فى ٱلقرءان أنّه بلاغ للناس:

﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ٥٢ إبرٰهيم.

ٱللّه واحد وٱلهداية ٱلحقّ لا تكون إلا من عنده. وأولى ٱلألباب هم أصحاب ٱلقلوب ٱلتى ٱمتلأت بما نجم عن ٱلنظر وٱلعلم ويذكرون ٱلهداية ٱلحقّ ويقدّسون أنفسهم من ٱلشهوات ومن قول ٱلشيط وٱلتخريص ويباركونها.

أما بقية ٱلناس فبيّن ٱلبلاغ حالهم:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ ٩٢ يونس.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٌ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٌ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٌ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ ١٧٩ ٱلأعراف.

فأكثر ٱلناس يعبدون مناهج فى قراطيسٍ لقَبِيلٍ ليست من عند ٱللّه. وبعبادتهم يمتنعون عن ٱلعلم ويظلمون أنفسهم بما يعبدون:

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنًا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٌۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ٧١ ٱلحج.

وٱلظّن ظلم للنفس:

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ ٣٥ ٱلكهف.

وظلم ٱلنفس هو نشر ٱلظلام فيها. فيأتى ٱلظلام بجهلها فى ٱلحقّ وفى سنّته. وٱلجهل وصف من أبرز ٱلأسمآء ٱلتى تمنع عن صاحبه ٱلخلافة بأسمآء ٱللّه

ٱلحسنى. وبٱلجهل تغفل ٱلنفس عن ٱلبركة وٱلتقديس فيتكاثر فعل «إبليس» وتطغى ٱلشهوات وٱلأحلام وٱلظُّنون على ٱلعلم وتكذّب به:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٩ يونس.

لأنّ ٱلتأويل لا يحدث إلا بٱتباع ٱلموعظة:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وٱلقرءُ لا يحدث إلا بٱلنظر:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وبٱلنظر فى ٱلحقِّ يبدأ ٱلعلم به. وحتى يكون ٱلعلم بٱلحقِّ لا ريب فيه يجب تكرار حدوثه وفق سنّة محكمة لا تتبدّل. وهذا ما يبيّنه ٱلعليم ٱلخبير للمؤمن فى بلاغه:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣ فاطر.

وبذلك يهتدى ٱلمؤمن وهو ينظر ليعلم بسنّتِ ٱللّه ٱلمحكمة فيتلوا ٱلحقَّ متبعًا ٱلموعظة:

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ ٣٧ ٱلكهف.

فيعلم من ٱلقول «لا مبدّل لكلمٰته ولن تجد من دونه ملتحدًا» أنّ ٱلأمر مقفل عليه ولن يجد حقًّا أَخر يميل وينحرف بنظره إليه. وفى توجهه إلى ٱلحقِّ سيرى كلمات ٱلرّبّ «جميع ٱلأشيآء» لا تتبدّل. فٱلمآء ٱلّذِى يتكون من هيدروجين وأوكسجين يتكون من هيدروجين وأوكسجين فى ذات ٱلأشراط.

وتلاوة هذا ٱلحقِّ لا تُحدث علمًا إلا بوسيلة ٱلمفاهيم ٱلمقداريّة (ٱلكمية). وهى ٱلمفاهيم ٱلفيزيآئيّة ٱلتى يستطيع مَن يتلوا بهآ أن يدرك جميع كلمات ٱلحقِّ.

فٱلشيء فى علم ٱلفيزيآء هو مقدار quantum. وهو ما بيّنه ٱللّه كأساس من محكم خلقه وصناعته:

﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ ٨ ٱلرَّعد.

ومنهاج علم ٱلفيزيآء يسير بفعل سير ونظر ٱلفيزيآئيين. وٱلأمر ٱلهامّ فى منهاج هذا ٱلعلم هو فى حدوث ٱلعملية ٱلفيزيآئيّة ٱلتى لا تتبدّل مهما تكرر حدوثها. فٱلكلمة تولد وتموت بذات ٱلأشراط. وهذا هو ٱلأمر ٱلذى يجعل لعلم ٱلفيزيآء منهاجا للعلم فى ٱلحقّ يرقى بصاحبه إلى ٱليقين. فعندما ينشأ ريب فيما قاله ناظر فإنّ ٱختبار قوله يوقف ٱلرّيب فيه. لأن ٱلحدث ٱلفيزيآئىّ لا تتبدّل أشراطه. فـ أرخميدس ٱكتشف فى زمانه دين وسنّة[1] طفو ٱلأشيآء. وفى وقتنا نحن يستطيع كلّ مّؤمن ٱلتوَّكُّد من ثبات هذا ٱلدين وهذه ٱلسنّة. فجريان ٱلحدث ٱلفيزيآئىّ يوجب وجود أشراط دينه. فأىّ ٱختبار يجرى فىَ أماكن مختلفة من ٱلأرض على حدث فيزيآئىّ ينجم عنه ذات ٱلحدث. وهذا هو ٱلسبيل إلى وقف ٱلرّيب وبلوغ ٱليقين.

فٱلقول «فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تبدِيلا ولن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللّه تَحوِيلا». وٱلقول «لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ». يبيّنان مفهوم ٱلإسلام لدين ومنهاج ٱلسّلام فى ٱلحقّ. إذ لو كان فى ٱلحقّ دين غير ٱلإسلام لكان ٱلعبث. وهذا يبيِّن للمؤمن ٱلناظر أنّه يستطيع متابعة ٱلنظر فى «كيفَ بَدأَ ٱلخلقَ» من بعد أن يعلم بدينه وسنّته ٱلتى لا تتبدّل. إذ لو كانت تتبدّل لكان ٱلحدث ٱلفيزيآئىّ عبثا لا يتكرر. وما كان من علم له فىَ أىِّ شىء. ليس هذا فحسب. بل ما كان للإنسان من تكرار لوَ أنه حدث ووجد ذات مرّة.

فى ٱلقول «لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ» مفتاح لتكرار ٱلحدث ٱلفيزيآئىّ. فٱلمؤمن ٱلذى ينظر ويرى ٱلرّيب فيما يقول يعود إلى ٱختبار ما وصل إليه حتى يبلغ ٱليقين فيما يقول. ويعلم أنّ ٱلتكرار يخضع لدين ثابت يُسلم له كلّ شىء وبه تثبت سنّة

---

(١) ٱلدين هو ٱلقانون ٱلموضوعى فى ٱللغة وٱلسّنّة هى جريان ٱلحدث بسلطة ٱلقانون.

ٱلحدث «فَلَن تَجِدَ لِسُنّتِ ٱللَّهِ تبدِيلا ولن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللّه تَحوِيلا».

هذان ٱلقولان ٱلعربيان هما سند ٱلمؤمن عالم ٱلفيزيآء فى جميع أعمال نظره وهما ركنان أساسيان فى منهاج هذا ٱلعلم. وقد وجد ٱلمؤمنون من علمآء ٱلفيزيآء لأنفسهم سبيلا يستندون عليه (نظام أسناد فى ٱللغة) reference system يستخدمه ٱلمؤمن ٱلناظر وهو يصلّى[1] على شىء بعيد عنه. فيسنده إلى شىء ثابت ويتابع صلوٰته عليه لفترة من ٱلوقت فيعلم أنّه متحرك أو ثابت. وهذا ٱلسبيل لا مبدّل له فى علم ٱلفيزيآء وهو ما يجعل من ٱلمؤمنين علمآء ٱلفلك يعلمون بحركة ٱلنجوم وٱلكواكب ويحسبون أوقات سباحتها ٱلفلكية وحركتها حول نفسها. فأىَّ عمل وصفىً فى ٱلفيزيآء ٱلفضآئية غير ممكن من دون شىء يستند عليه ٱلمؤمن ٱلناظر ٱلمصلّى. ويمكن ٱختبار هذا ٱلسبيل من دون تأثر فى بعد وزمن ٱلشىء ٱلذى يصلّى عليه ٱلمؤمن ٱلناظر ليعلم به ويوصفه. فمثلا سرعة ٱلضوء لا مبدّل لها وهى ما يستند إليه علمآء ٱلفيزيآء ٱلجزئية فى وصفهم للسرعات ٱلأصغر. وبذلك علموٓا أنّه لولا وجود ٱلسرعات ٱلأصغر من سرعة ٱلضوء لكان كلّ شىء فى ٱلكون ضوءًا. وأنَّ ٱنخفاض سرعة ٱلشهور هو ٱلذى يجعلها حدثًا فيزيآئيًّا ينجم عنه شيئًا. وأنّ ٱلأشيآء ٱلتى ليست ضوءًا هىَ أشيآء هذا ٱلكون ٱلكبير ٱلواسع ٱلمنظور ونحن منه.

ومما علم به ٱلمؤمن عالم ٱلفيزيآء هو دين ثابت وسنّة ثابتة تحكم ٱلأشيآء ٱلتى تتحرك بسرعة أقلّ من سرعة ٱلضوء. وميز علمه بهذه ٱلأشيآء وسرعتها بٱلوصف «ٱلميكانيكا ٱلكلاسيكية». وبعد أن بلغ علمه بهذه ٱلحركة سعى ليعلم بدين وسنّة يحكمان ٱلفيزيآء ٱلضوئيّة. وميز علمه بها بٱلوصف «ٱلميكانيكا ٱلنسبيّة». وهذا ٱلعلم جعله يزيد من أعمال ٱليقين فىَ أعمال «ٱلميكانيكا ٱلكلاسيكية» بفعل قوّة ٱلاسناد ٱلضوئىّ. لكنّه ما زال لا يعلم أنّ هذا ٱلدِّين ٱلذى علم بثباته هو ٱلإسلام:

---

(١) يرصده ويرقبه ويحسب كل حركة له.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ١٩ ءال عمران.

لم يتوقف ٱلمؤمن عالم ٱلفيزيآء عند ٱلأشيآء ٱلمنظورة بٱلبصر بل تابع نظره فىَ أشيآء لا تدركها حواسه مستعملاً من أجل ذلك قوّة بصيرته ورؤيته ٱلنسبيّة. وبمتابعة ٱلنظر فى حركة وسلوك ٱلأشيآء ٱلمبصرة ٱستطاع إدراك أمر غير مبصر مثل «ٱلكهرومغناطيسية» وقوّة ٱلشّدّ (ٱلجاذبية). وأنّ قوّة ٱلشّدّ (ٱلجاذبية) تحدث بواسطة أىّ أشيآء فيزيآئيّة. وهى ٱلتى تحدّد هيئة (هندسة) ٱلتكوين للفضآء وٱلزمن.

إلآ أنّ ٱلمؤمن عالم ٱلفيزيآء لم يرَ إلى ٱليوم ما ٱستنبطته من دليل كلام كتاب ٱللّه عن قوّة ٱلشموس وٱلنفور غير ٱلمبصرة. وهى قوّة تصدر عن شىء عظيم ٱلمكان وفضآؤه أعظم هو ٱلشمس.

وكان ٱستنباطى بٱلاستناد إلى سنّة ٱلزّوجية فى ٱلتكوين:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذّاريات.

فقوّة ٱلشّدّ لوحدها لا يمكن لهآ أن توجد ولآ أن تفعل. وأنّ قوّة ٱلشموس لها قوّة زوج هى قوّة ٱلشّدّ (ٱلجاذبية) للكواكب. وفى ٱلأرض فعل مسكٍ يتفرّع عن قوّة شدّها (جاذبيتها) تقابله قوّة شجرٍ تفعل لتفلت من قوّة ٱلمسك. وهاتان ٱلقوّتان من ٱلقوى ٱلفاعلة فى مجموعتنا ٱلشمسيّة. وهناك قوى زوجيّة تشبهها تحدث بين ٱلقمر وٱلأرض قوّة تشدّ وأخرى تهرب. وهذه ٱلقوى هى فيما يعرف فى علم ٱلفيزيآء بٱلمجال field وهو جوّ ٱلشىء ٱلذى تنتشر فيه قوّتاه.

كمآ أنّ للجوِّ سنّته ٱلنسبيّة ٱلتى تحكمه. فحتى ٱلشهور (ٱلكواركات) لها جوّها وهو ٱلفضآء ٱلذى تشغله مع قوى ٱلشّدّ وٱلشموس أو ٱلشّدِّ وٱلهرب أو ٱلشجر وٱلمسك ٱلمجتمعة فيها. ولكلِّ شىء جوّه وقوتاه ٱلجدليتان صغُر أم كبُر. ومثل ذلك هى سنّة تكوين ٱلنفس ٱلبشريّة «فجور وتقوى» قوتان جدليتان تحركان ٱلنفس. وبٱلروح وما فيه من منهاج علم يتحكّم صاحب ٱلنفس بٱلقوتين ويخلف فيزكّى نفسه بقوّة ٱلتقوى.

هذه ٱلجدلية جرى ٱلعلم ببعضها بفعل تطور علم ٱلمقدار quantum وسلوك أشيآئه quantum subjects ٱلتى تشبه ٱلأمواج حينًا وٱلأشيآء ٱلمنظورة حينًا أخر.

وفى فضآء أىّ شىء تبقى صفات ٱلتماثل ٱلفضآئىّ وٱلزمنىّ ثابتة وتبقى سنّة بقآء طاقة ٱلشَّدّ وقوّة ٱلهرب سارية بٱلنسبة للأشيآء ٱلمقداريّة. وصفة ٱلتماثل ٱلفضآئىّ (ٱلتجانس ٱلفراغىّ) واحدة من أهم صفاته.

إلاّ أنّ للتماثل صفة أخرى هى ٱلتماثل بين ٱليمين وٱلشمال (ٱليسار) مثل ٱلصورة فى مرءاة (مرآة) فهى متماثلة فى ٱلفيزيآء غير ٱلمقداريّة. وهذا لا ينجم عنه سنّة أخرى للبقآء.

وفى علم فيزيآء ٱلمقدار كشف عن سنّة بقآء للزوجية أطلق عليها وصف «سنّة بقآء ٱلازدواج» conservation of parity. وهو مفهوم يميّز ٱلأشيآء بٱلمقدار ولها خاصّة ٱلضديّة ٱلزّوجية antiparticle. وهذا ٱلمفهوم يذكّر بٱلمحكم ٱلمبلّغ:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذّاريات.

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٦ يس.

لكن ٱلعقل بين هذا ٱلعلم وما جآء فى ٱلقرءان من هداية وموعظة فما حدث منه إلى ٱلأن ما زال ضعيفا على ٱلتأثير.

وما عملت عليه هنا كان تذكّر لبعض منهاج «ٱلقرءان» وعقل له مع قول علم ٱلناس. ومنه ٱلسّنّة ٱلتى لا تتبدّل وسنّة ٱلزّوج ٱلتى يعمل ٱلمؤمنون ٱلفيزيآئيُّون على ٱلنظر فيها وٱلكشف عنها. وقد علموا بسنّة ٱلهلاك ٱلمحكمة ٱلتىَ أعلن عنها فى «ٱلقرءان» بٱلبلاغ:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ٨٨ ٱلقصص.

فكلّ ٱلأشيآء تهلك طاقتها وهيئتها (كتلتها) ٱلمقداريّة وتتحوّل إلى مقدار من دون هيئة. وبلغ ٱلمؤمنون ٱلفيزيآئيون ٱلعلم بعدّة ٱلتكوين وهى ٱثنا عشر شهرًا (ٱلكواركات) وقوى ٱلفعل ٱلتكوينىّ ٱلتسعة عشر (ٱلبوزونات) ٱلتى تسير بٱلعدّة

ٱلشهريّة ٱلمتماثلة فى خواصها وفى سنّة بقآئها إلى تكوين أشيآء ٱلكون جميعها. وكلّ ذلك معلومات من ٱلهداية فى «ٱلقرءان» تبيّن ٱلقدرة على ٱلعلم لدى ٱلإنسان بما فيه من روح ٱللّه. وهى بعض مِّن قدرة ٱللَّه ٱلعليم ٱلذى وصف نفسه بنور ٱلسّمٰوٰتِ وٱلأرض. وبهذا ٱلبعض من ٱلعلم يخلف ٱلإنسان فى ٱلأرض وبه ينير ما هو مبهم فى ظلام لا يوصل إليه بصر عينه. لكن ما يوصل هو بصر قلبه ٱلذى يرى ٱلأشيآء وفق سنّة ٱلاسناد على ٱلعلم بٱلسرعة ٱلقصوى (سرعة ٱلضوء). وقد وصل بصره إلى بنية ٱلضوء ٱلتى تتكون من «ٱلنيوترينو» ٱلذى لا هيئة لمقداره وٱلذى يسير بٱلسرعة ٱلقصوى وينفذ فى ٱلفضآء كلّه بهذه ٱلسرعة لا يمنعه شىء لا ٱلشمس ولا ٱلأرض. حتى لوَ أنّ ما بين ٱلأرض وٱلشمس كان من ٱلحديد فإنّ ٱلنيوترينو ينفذ منه.

إلاّ أنّه ما زال لا يعلم بٱلهداية ٱلتى تجعل ٱلرّوح فى نفسه «قدسًا»[١] من غواية «إبليس». فٱلروح ٱلقدس نفخه ٱللّه فى نفس ٱلبشر وبه جعله «ءَادم». وصنع منهاج «إبليس» ليخبر فى ٱلتقوى منه أو يغويه فيضلّه ويخرّب منهاج ٱلروح فيه. فأرسل له مناهج تَقوى للروح ليخبر فيها ويقدّس ما فيه من روح كما فعل «عيسى». ثمّ أرسل له نسخة أصلية من ٱلرّوح ٱلقدس فى كتاب كامل هو «ٱلقرءان» وترك له مسئولية تنزيله فى نفسه وٱلخبرة فيه وعقل علمه معه. ومن يمسُّ «ٱلقرءانُ» قلبَه ويكون لباسا له ويثبّت فؤاده به يتقى وتسلم نفسه من ٱلشيط وٱلمرض وٱلألم. وبه يعلم أنّ مفاهيم ٱلفيزيآء هى مفاهيم ٱلمنهاج ٱلأكثر يسرًا وٱلأكثر يقينيّة. وبواسطتها يمكن ٱلنظر وٱلعلم فى جميع أشيآء ٱلكون وبٱلدين ٱلحاكم لسنّتها ٱلتى لا تتبدّل. ويعلم أنّ منهاج ٱلفيزيآء هو ذاته ما جآء عنه فى ٱلهداية.

وبه سيعلم أنّ منهاج ٱلشعر وٱلشعرآء ليس من منهاج ٱلعلم بٱلحقِّ. وأنّه يقوم على قول غاوٍ يهيم ويضيع عن دين ٱلحقِّ وسنّته:

---

(١) ٱلرّوح ٱلقدس هو ٱلطاهر من مناهج ٱلشيط وٱلصّادر عن ٱلخالق ٱلصانع (نسخة أصليّة).

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)﴾ ٱلشعرآء.

وسيعلم بٱلفرق بين قول ٱلشعر وقول ٱلرسول ٱلمبلّغ:

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ ٦٩ يس.

وسيعلم بٱلفرق بين قول ٱلرّسول وقول ٱلشاعر وقول ٱلكاهن:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٢) ٱلحاقة.

وٱلصلة بين ٱلكاهن وٱلمجنون:

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ٢٩ ٱلطُّور.

وبذلك سيعلم أن منهاج هؤلآء ليس من منهاج ٱلمؤمن عالم ٱلفيزيآء. وأنّ ٱلهداية للمؤمن عالم ٱلفيزيآء ليبارك نفسه من منهاج ٱلشاعر ومنهاج ٱلكاهن هى فى منهاج ٱلروح ٱلقدس «ٱلقرءان». وفيه ٱلهداية إلى مأرب محدد هو ٱلعلم بدين وسنّة ٱلحقّ جميعه وبخصآئص وجود وهلاك ٱلمقادير وٱلأشيآء. وفيه ٱلهداية ليسلك فى ٱلحقّ أحد ٱلسبيلين أو كلاهما معا:

ٱلأوّل ٱستنباط إبراهيمىّ نظرىّ.

وٱلثانى ٱختبار عمرانىّ[1] فى ٱلمحراب من أجل ٱليقين ومن بعده ٱلنفع من ٱلنظرية بنآء وعمرانا.

فعلم ٱلفيزيآء هو ٱلعلم ٱلذى يجعل من صاحبه عالم بدين ٱلحقّ substantive law وسنّته وله وحده ٱلقدرة على جعل ٱلنّبإ يستقرّ:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

---

(١) ٱستنباط إبراهيمىّ هو وضع للنظرية ٱلتى تنشأ عن ٱلفعل «برهم» وهو فعل للنظر ٱلطويل فى ٱلشىء وٱلصبر عليه. وٱلفعل ٱلعمرانىّ هو ٱختبار للنظرية ٱلإبراهميّة وتصديقها وتحويلها عمرانا صناعة وبنآء. وهذا يقوم به ءال عمران.

وهو ٱلذى يجعل ٱلعلم به يسيرًا. وله وحده ٱلقدرة على تصديق ٱلأنبآء ٱلتى جآءت فى كتاب ٱللّه وكذّب بها ٱلجاهلون:

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٩ يونس.

وسيعلم أنّ ٱللّه خلق ٱلبشر وجعله فى ٱلأرض خليفة وأرسل له منهاجا يهديه فى خلافته وفى سبيله إليها. ومَن يهتدى بٱلمنهاج يعلم ويخلف. ومَن يفسق يتخلّف وإلىَ أصله ٱلوحش يعود. وأنّ ٱلذى يمتلك ٱلعلم ٱلفيزيآئىَ يمتلك مفتاح نور ٱلخلافة بما لديه من منهاج وهو ٱلذى بيده مفاتيح ٱلنور فى جميع مناهج ٱلمبهمات فى ٱلكون بما فى ذلك مفتاح ٱلنور لإدراك منهاج نفسه «فجور تقوى». وإدراك منهاج ٱلرّوح ٱلذى نفخه ٱللّه فيه وأرسل نسخة أصيلة منه للتنزيل وٱلتقديس.

وسيعلم أنّ ٱلذى يفسق يتعاظم قول ٱلكاهن ٱلجاهل فى نفسه. وٱسم ٱلجاهل هو ما يخلف فيه. وأنّ ٱلكاهن هو مَن دأب على منع ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ودأب على صيطرته فى مؤسسات ٱلتعليم بٱسم ٱلدين وجعل من ظنونه بدين قَبِيلِهِ علمًا ومن ٱلجاهلين عبادًا لظنونه. فظلم نفسه وظلم أتباعه ٱلذين لا يتفكرون. وشأن عباد ظنونه يبيّنه بلاغ ٱللّه فى ٱلقرءان:

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

يشركون منهاج طاغوت كاهن وسلطة طغوى فيما يؤمنون. وهو منهاج مَن لا سبيل له إلى ٱلعلم فى ٱلحقّ. ومن يتبعه هم ٱلجاهلون ٱلضّآلون وهم كثيرون فى ٱلأرض. وإنّ طاعة ٱلمؤمن لهؤلآء بسبب كثرتهم تسوقه إلى ضلال:

﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

هذا بعض ما رأيته فى ٱلقرءان من منهاج. ولهذا ٱخترت عنان «منهاج ٱلعلوم» لكتب ثلاثة جآء فيها مسآئل تتعلق بما رأيته فيه. وفى هذا ٱلكتاب نشر جديد محسن لكتابين من أصل ثلاثة. أما ٱلثالث فسينشر لوحده لخصوصية ما فيه.

ٱللاذقية ١ نيسان ٢٠١٠

ٱلكتاب ٱلأول

لِمَن هذا ٱلكتاب؟

أتوجّه مرَّة أخرىَ إلى جميع ٱلعاملين فى ٱلنظر وٱلبحث فىَ أشيآء ٱلحق ٱلحىّ وٱلميت على ٱلسَّوآء. وأقدم لهم مآ أرى فى بلاغ ٱلقرءان من مِّنهاج للنظر وٱلبحث ٱلعلميين. ومأربى من هٰذا ٱلتوجُّه هو ٱلحضّ على متابعة ٱلنظر وٱلبحث وٱلتسوية كما جآء فى ٱلموعظة:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

فٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق سيوصلكم إلى ٱلعلم بهٰذه ٱلبداية. وفى ٱلبلاغ توكيد لِّهٰذا ٱلوصول:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وأذكّر أنّ ٱلسير على ٱلسبيل وصولاً إلى كيف بدأ ٱلخلق يملأ ٱلأرض فسادًا إذا ما حدث فى غفلٍ عن ٱلموعظة:

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

وحتى لا ينجم عن سيركم فساد. أدعوكم جميعًا لأن تتوجهوٓا إلى ٱلعمل فى بلاغ ٱلقرءان كما تعملون فى مخابركم. وتعقلون بين ما تشهدون فى ٱلحقِّ وبين ٱلبلاغ ٱلعربىّ ٱلمبين. وٱعلموٓا أنَّ منزل ٱلقرءان يقول أنَّه خلقَكم وما تعملون:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصَّافَّات.

ألا يدعوكم هٰذا ٱلقول إلى ٱلنظر فى بلاغه كما تنظرون فى جميع أشيآء ٱلحقِّ؟

توجُّه ٱلكتاب

فى كتابى «ٱلحكم ٱلرَّسولى» جهدت ليكون ٱلكتاب مؤلفًا بخطٍّ وكلام «ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين» مآ أمكننى. وقد جآء ٱلكتاب كمآ أردته من دون عسر. وفى هٰذا ٱلكتاب متابعة للمسألة من وجهتين:

ٱلأولى بيان دليل ٱلكلمة فى «ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين» وٱلتفريق بينه وبين لسان ٱللغة ٱلفصحى ٱلتىَ أرى فيها صناعة شاعر وكاهن. وفى قولهما كلام من ألسنٍ شامية (بابلية وأشورية وأرامية وكنعانية وعبريّة ويمنية وحبشية) وأخرى رومية ويونانية وتركية وكوردية وفارسية وأورديّة إلخ. وقد رأيت أن ٱلتفكير بوسآئل ٱلشاعر وٱلكاهن لا يوصل إلى بيانٍ.

وٱلثانية بسط مسألة ٱلدليل فى «ٱلِّسان ٱلعربىّ ٱلمبين» ٱلتى تكشف عن مناهج للبحث ٱلعلمى جآء عنها فى بلاغ ٱلقرءان بلسان عربىّ مبين.

لقد خلق ٱللَّه كتابين:

ٱلأول هو ٱلكون.

وٱلثانى هو ٱلقرءان.

وفى ٱلكتاب ٱلثانى هداية وبيان لمنهاج ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلكتاب ٱلأول يهدى ٱلناظر وٱلباحث إلى ٱلسبيل ٱلذى يوصله إلى ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق من دون فساد فى ٱلأرض. وبٱلوصول إلى هٰذا ٱلعلم تستقرُّ أنبآء ٱلكتاب ٱلثانى

وتصدَّق. وبٱلتصديق يتبيّن للعلمآء أن خالق ٱلكتابين واحدٌ هو ٱللَّه:

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ٥٤ ٱلحج.

* *

قسَّمت هٰذا ٱلكتاب إلى بحوث تتعلق بٱلكلمة. وعملت على بيان دليلها بترتيل بلاغات ٱلقرءان ٱلتى ٱشتركت ٱلكلمة فى بنآئها. كما عرضت للكلمة ٱلشامية ودليلها. وظهر لى ٱلفرق بين ٱلكلمة ٱلعربية ٱلتىَ أتت وحيًا فى ٱلبلاغ ٱلعربى وٱلكلمة ٱلتى يتكلم بها ٱلبشر من مصادر ألسن متعددة من دون دراية بدليلها فى تلك ٱلمصادر.

وجهدت للكشف عن أطوار ٱلِّسان بدءًا مِّن تعلّم ٱلأسمآء كلهآ إلى ورود ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وعرضت لنسيان ٱلكلمة ٱلتى توقَّف فعلها فى ٱلطور ٱلأعلى. وضربت مثلاً فى ٱلكلمات (أرعا وإرِث وأرض) ٱلتى تظهر إدراك ٱلناس فىَ أطوار. أما كلمة (ءَادم) فقد تبين لىَ أنه جرى نسخها لأن دليلها لم يتغير بعد ٱصطفآء (ءادم) من حظيرة ٱلأَدَبِ.[*] فإلى يومنا هٰذا فإن كلّ طفل من يوم ولادته وحتى سنواته ٱلثلاثة ٱلأولى يمثِّل ءادم.

وأضرب مثلاً على بيان دليل ٱلكلمة بكلمة «دليل» ذاتها وقد جرى ٱستنباطه من ترتيل ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ٤٥ ٱلفرقان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ١٠ ٱلصَّف.

﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ ١٢٠ طه.

(*) ٱلأدب كلمة شامية منسية تدل على ٱلترويض لكآئن وحش. وقد بدأ ترويضه فى ٱلحشر وٱلزجر وٱلجمع داخل حظيرة ومنع من ٱلعودة إلى ٱلفرّ. وجرى ترويضه لتوجيه ٱلسمع وٱلبصر إلى ٱلمروّض. وقد ورد ٱسم أَدَبَ فى ٱلأسطورة ٱلسومرية.

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ ١٤ سبأ.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ ٤٠ طه.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ ١٢ ٱلقصص.

وبذٰلك علمت أن ٱلكلمة تضمُّ دليل ٱلفعلين «شَيَرَ/ رَشَدَ». وعليه فإنَّ إرادتى فى هٰذا ٱلكتاب تتوجه إلى ٱلبيان أنَّ دليل ٱلكلمة ٱلعربية لا يمكن ٱلوثوق به بٱلاعتماد على جميع ما سطر فى «ٱلمعاجم». وقد فصّلت فى مواقعٍ من هٰذا ٱلكتاب أسباب ذٰلك.

فكلام ٱلقرءان هو ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين وهو لسان موحى. وما فى ٱلمعاجم رجس (ٱختلاط يصعب تفريقه) للحقّ بٱلظنون وٱلباطل. فما فى ٱلمعاجم هو لسان أعجميّ صنعه ظن بشر من قوم ٱلرَّسول وجعلهم ظنهم يقولون أنهم به حفظوا كلام ٱلقرءان. وكان لهٰذا ٱلظَّنِّ أثره فى ضياع منهاج ٱلعلم ٱلموحى فى ٱلِّسان ٱلعربىّ ٱلمبين. ٱلذى يوصلناَ إلى منهاجٍ لِّلعلم فى كل قَدرِ ٱلعلم ٱلذى يمكن للإنسان أن يصل بنظره إليه فىٓ ءايات ٱلْوجود بعيدًا عن ٱلبغتة وٱلريب وزيادة ٱلإنفاق وٱلفساد فى ٱلأرض.

يتكوّن علم ٱلإنسان من ٱلنظر فىٓ أشيآء ٱلوجود وفى دين وسنَّة[1] تكوينها. وله ٱلخلافة فى ٱلعلم وٱلمعرفة بهٰذا ٱلدين وهذه ٱلسنَّة. وله ٱلخلق وفق أشراط ٱلدين. إلاّ أنَّ علمه لا يمكن أن يأتيه بخلقٍ من خارج دين هٰذه ٱلأشيآء. وعلمه محدود بها وبكيف بدأت. وٱلعلم فى ٱلحقّ هو علمٌ حقٌّ. وخارج ٱلحقّ لا يوجد علم.

وٱلإنسان شىء كبقية ٱلأشيآء. وعلمه فى كيف بدأ ٱلخلق يشمل خلقه وأطواره. وهو يستطيع بل هو مكلَّف بٱلنظر فى «كيف بدأ ٱلخلق». وعلمه فى

(١) ٱلدين هو ٱلقانون The law وٱلسنّة هى جريان شرع ٱلقانون فى ٱلأشيآء.

ذٰلك يجعله قادرًا على تكراره بدءا مِّن أىّ طور خلقىّ. بما فى ذٰلك ٱلبدء من ٱلتراب. كما فعل عيسى ٱبن مريم ٱلمثل على ٱلخليفة.

❊ ❊

ليس فى هٰذا ٱلكتاب جامع للكلام ٱلعربى ٱلمبين. ولكن فيه جهد لبيان منهاجه. فقد تناولت كلمات وأردت بيان ٱلدليل من ٱلبلاغ ذاته. مع أنىَ أدرك أن عملى لن يكون ٱلأخير. لأن ٱلنظر فى «كيف بدأ ٱلخلق» يكشف عن دليل لم أصل إلى بيانه. ويصوِّب دليلا كان ٱلتأوُّه هو ٱلفاعل فى ٱستنباطه. وعملى هٰذا يستند إلى ٱلبلاغ:

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ٨٨ ٱلقصص.

نحن وأعمالناَ أشيآء هالكة ٱلقوَّة (مستهلكة). وكلما زاد نظر ٱلإنسان فى «كيف بدأ ٱلخلق» زادت فعالية ٱستنباطه للدليل وهلكت أعماله ٱلسابقة.

لقد جرى ٱلقول ٱلمستنبط فى بلاغ ٱلقرءان من بعد وروده. ثم توقف بسبب هجر قوم ٱلرسول له وتمسكهم بما قاله ٱلسّلف فيه. وما نفعله ٱليوم من ٱستنباط يبّين ٱتساع ٱلفجوة بين ٱستنباط ٱلسلف وٱستنباطنا. وسبب ذٰلك هو ٱلسكون فى عمل ٱلاستنباط. وتوقف قوم ٱلرسول عن هٰذا ٱلعمل ٱلذى يجب أن يسير إلى جنب ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى «كيف بدأ ٱلخلق» ولا يتوقف. فٱلنظر فىَ أعمال ٱلسلف لا ينجم عنه نفع بسبب ٱتساع ٱلفجوة بيننا وبينهم. كماَ أنَّ ٱلحكم علىَ أعمالهم لا يأتى بنفع إن لم يكن ذٰلك يرافق ٱلدليل ٱلموثّق بٱلبلاغ جنبًا إلى جنب مع ما يكشفه ٱلعلم ٱلناظر. وأن يكون ٱلمأرب من ٱلحكم هو ٱلوصول إلى بيان منهاج للعلم يهدىَ إلى سبيل ٱلخليفة ٱلذى يتّعظ ويتّقى.

قام عدد من ٱلمفكرين بإجرآء مقابلة بين ما خرج عن بحوث ٱلعلم من قول وبين بلاغات ٱلقرءان. وكان عملهم يقصر على ٱلإشارة إلى علم ٱلقرءان من دون بيان لـمنهاج. ولآ أرى عيبًا فيما جآءوا به. إلاَّ أنهم أرادوا من عملهم مفهوم

«ٱلإعجاز» ٱلذى قال به ٱلسلف من دون بيان لمنهاج ذلك ٱلإعجاز ولا ٱلمأرب منه. فبقيت أعمالهم فى دآئرة ٱلسلف ولم تبعد ٱلبغتة ٱلتى تحدثها إكتشافات ٱلعلم ٱلناظر عند ٱلذين ٱستقرّ ٱستنباطهم منذ عدة قرون وتهزّ ما ٱستقرّ عندهم من مفاهيم. بل ترمى بها خارج ساحة ٱلعلم وٱلحقّ. وٱلسبب هو فى تحويلهم ٱلقرءان من كتاب للّه إلى كتب شارحين يحدّهآ إدراك وعلم ٱلشارح ويجعل من ٱلعلم ٱلموحى من عليم علمًا محدودا بإدراكه. ولم يكن إدراك ٱلشارح فىَ أحسن ٱلأحوال أكثر من تحويل (ترجمة) للّسان ٱلعربىّ ٱلمبين إلى لسان بشر ينقصه ٱلعلم فى ٱلحقِّ وٱلعلم بمنهاجه. فدليل ٱلقول وٱلكلمة فى كتاب ٱللّه يأتى فهمهما فىَ أىِّ لسانٍ وفق إدراك كلّ محوِّلٍ. ومثلى على ذٰلك فيما يجرى من تحويل إلى ومن ٱلّسان ٱلانكليزى (وهو لسان بشر) إلى ومن لسان «ٱللغة ٱلفصحى». فإدراك وفقه ٱلمحوِّل للّسانين هو ٱلفاعل ٱلأساس فيه.

لقد بدأ ٱلإنسان مسيرة ٱلعلم فى ٱلأشيآء من بعد نفخ ٱلروح فيه. ثم بدأ بعدها ٱلنظر فى هٰذه ٱلأشيآء ليكشف عن دينها وسنتها سندًا للموعظة:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وقوم ٱلرسول هجروا ٱلقرءان ولم يسيروا لينظروا «كيف بدأ ٱلخلق» ولا ليعلموا بدين ٱلحقِّ وبسنّته. وجآء ٱلعلم ٱلناظر وباغتهم جميعًا بمكتشفاته وأثرها على ٱلاصطفآء فى ٱللون ٱلبشرى.

وقد أعرض قوم ٱلرسول عن نظريات ٱلتطور ولم يقبلوا بها. وٱلقرءان بين أيديهم وفيه ٱلبلاغ (٢٠ ٱلعنكبوت) وٱلبلاغ عن أطوار ٱلخلق:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح.

وهٰذا ما فعلوه مع مفهوم ٱلاصطفآء ٱلذى كشف عنه علم ٱلناظرين وٱلبلاغ يقول:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

ويدلنا ٱلقول بٱلاصطفآء على بقآء ٱلمصطفى. وءَادم مصطفى غير مقطوع. بل هو كل طفل فى قلبه «ٱلأسمآء كلّها». وءَادم باقٍ طالماً أن ٱلإنسان ما زال فى قلبه ٱلأسمآء. وبها يبدأ ٱلنظر. وعندما يوصل ٱلناظرون إلى ٱلعلم بدين وسنَّة ءَاية عيسى ٱبن مريم(*) ويقرأون[1] ما فى كتب ٱلعلق (ٱلجينوم). ويسيرون فى سبيل ٱلخلق وٱلتسوية لهٰذه ٱلأية. فإنّ ٱلوليد لن يكون ءَادمًا بل سيكون «عيسى يكلم ٱلناس فى ٱلمهد».

وقوم ٱلرسول يكفرّون أولـٰئك ٱلناظرين ٱلعالمين ٱلذين يقرأُون ما فى كتب ٱلعلق. وهٰذا ما كان فى مواقفهم من ٱلاستنساخ وكتب ٱلعلق.(**) وجميعهم لا يجدون تفسيرًا لِّولادة ٱسحٰق ولا لولادة عيسى ٱبن مريم إلاَّ ٱلظن وٱلتخريص.

وفى كتابى هٰذا أبيّن لقوم ٱلرسول أنَّ ٱلسير مع ٱلبحث ٱلعلمى وفق هداية منهاج ٱلقرءان. يوصل إلى ٱستنباط يكشف عن منهاج فى ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين لم يكشف عنهما حتى ٱلأن. وقد جآء فى كتابى «ٱلاستنساخ» أن ٱلاستنساخ ٱلذى يجريه ٱلعلم كان قد جآء عنه ءَايات بينات مبصرات فى ٱسحٰق وعيسى. وأن هٰذه ٱلأيات هىَ أسمآء تعلّمها ٱلإنسان مباشرة من ٱللَّه وطلب إليه ٱلنظر فى كيف بدأ خلقها. وعِلمُ ٱلإنسان يحدُّه ٱلكشف عن ٱلبدء. وهو لا يستطيع ٱلسير إلىَ أمام. ومرشدنا فى هٰذا ٱلقول ٱلبلاغ ذاته:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

فوجهة ٱلسّير فى علم ٱلإنسان إلى ٱلبدء. أما ٱلتّوجه إلىَ أمام فٱلّذى يقوم به هو ٱللَّه لا نحن.

(*) ولادته من دون نكاح وتعليمه ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتوراة وٱلإنجيل وهو جنين.

(١) يخرجون ويفصحون رموز ٱلمعلومات (يترجمونها ويبينونها).

(**) فى ٱللغة ٱلفصحى «خلية» وكتابها محوّل إلى ٱلشامية بٱسم ٱلصبغيات ٱلوراثية أو ٱلجينات من ٱلّسان ٱلانكليزى gene.

وجآء فى ٱلبلاغ ٱلعربىّ أن ٱلبدء يسير وفق تسلسل طورى ويخضع لدين وسنة وٱصطفآء. وأن ٱلمأرب منه هو فى ٱلوصول بأحد أشيآئها إلى رتبة ٱلمؤمن ٱلخليفة ٱلذى يفعل ما يقول ويصير فعالاً لما يريد ويقول. فى وجهة واحدة هى وجهة نحو ٱلبدء. ينجم عنها علم ٱلمؤمن ٱلخليفة بحتمية «ٱلنشأة ٱلأخرة». ٱلتى لا يستطيع أن يتوجه للفعل فيها. وعلمه بأن ٱلأيات ٱلبينات ٱلمبصرات ومنها ءَاية ٱلعذرآء مريم وولادتها من دون مسٍّ بشر لها. وءَاية ولدها عيسى وءَاية ٱسحٰق. جميعها أمثلة تساعد فى تقوية علمه فى ٱلسير على سبيل ٱلبداية وٱستنباط معرفىّ لحتمية ٱلأخرة. وعلمه بأنَّ قُرءَ ما فى كتب ٱلعلق (ٱلجينوم) هو كشف جديد يوصله إلىَ ءَاية أكبر من ءَاية ٱلاستنساخ ٱلتى وجدناها فى ٱسحٰق وعيسى. وهىَ ءَاية خلق عيسى للطير من ٱلطين. وءَاية حَيَىَ ٱلموتى ٱلذى جرى ويجرى «بإذن ٱللَّه». وقد إقترب علمآء هٰذه ٱلوجهة ٱلعلمية من تأويل هاتين ٱلأيتين.

بلاغ ٱلقرءان يحضُّ للسير فى هٰذه ٱلوجهة. ليصل ٱلمؤمن ٱلعليم ٱلخليفة بكل ثقة وطمأنينة إلى ٱلبدء فى ٱلكينونة ٱلجسميّة ٱلحية. ثم فى ٱلكينونة ٱلجسدية ٱلميتة.(*) وهٰذا يجرى من بعد قُرءِ ما فى كتاب ٱلعلقة. وقد بدأ ٱلعلمآءُ ٱلنظر فى دليل كل كلمة من كلماته.

بيّنت فى كتاب «ٱلكلمة» أنّ بلاغ ٱلقرءان يكشف عن كتب عديدة. ومن هٰذه ٱلكتب كتاب ٱلعلقة ٱلذى يضم معلومات عن جميع أطوار ٱلخلق. بدءًا من مآء وتراب وصولاً إلى ٱلعلقة. فٱلذى يوصل إلى دليل كلمات هٰذا ٱلكتاب يستطيع تأويل ءَاية ٱلخلق من ٱلطين ٱلتى جآء بها عيسى. كما يستطيع أن يعيد عملية ٱلخلق بدءًا من مآء وتراب وصولاً إلى ٱلكينونة ٱلحية صاحبة ٱلكتاب.

وكذٰلك هو ٱلأمر مع ٱلكينونة ٱلميتة. فإنّ أىّ قسم من ٱلجثمان يضم كتبًا علقية إذا ما قرأت صار بٱلإمكان إعادتها بدءًا من مآء وترابٍ. أو من أىّ طور

(*) كلمة جسد للشىء ٱلميت وكلمة جسم للشىء ٱلحى.

من أطوار خلقها. وقد بيّن ٱلعلمآء أنَّ ٱلشىء ٱلحىّ يُكَثَّر من دون قرب ومسّ. ٱعتمادًا على طور أعلى من طور ٱلمسّ. هو طور ٱلعلقة ٱلتى نشأت بفعل ٱلمسّ. وهٰذا مؤشر علىٰ أن ٱلعمل بدءًا من طور أعلى يفتح ٱلسبيل للعمل من طور قبلى. أى قبل ٱلمسّ. وهٰذا توجه إلى ٱلبدء ٱلجسدى فى ٱلتراب وفيه تجمعات ٱلسُّوَرِ (ٱلعناصر ٱلطبيعية). وبوصول علم ٱلإنسان إلى ٱلبدء فى ٱلتكوين ٱلحى يسوقه إلى ٱلنظر فى ٱلبدء ٱلجسدى. وسبيل ٱلإنسان إلى ذٰلك ما يزال طويلاً. وكل ٱلنظريات ٱلتى تظن فى نشوء ٱلكون سوف يرمى بها عند بدء ٱلتحقق لاحقًا.

جآء فى كتاب «ٱلاستنساخ» بحث خاص عن ٱلنشأة ٱلأولى. وبحث عن «يوسف واخوته». وقدمت ٱستنباطًا يدلنا علىٰ إصلاح ٱلزهرة وٱلابتعاد عن ٱلإسراف فى عملية إصلاح ٱلمريخ ٱلميت. وبيّنت من خلال ٱلبلاغ أن ٱلكواكب حول ٱلشمس ٱثنا عشر. وأن سبعة منها تتناوب صيرورة ٱلأرض. وكل ذٰلك جآء فى كتابى رغم أن ٱلعلم ٱلناظر لم يقطع بأىّ منها حتى ٱلأن. وفى كتابى هٰذا متابعة للمسألة.

فمآ رأيته أنّ ٱستنباط دليل ٱلبلاغ إذا سار جنبًا إلى جنبٍ مع ٱلكشف ٱلعلمى وٱلبحوث ٱلنظرية. يسوق ٱلناظر وٱلباحث إلى ٱلبيان. ويتأسس ٱلمنهاج للسير على سبيل كيف بدأ ٱلخلق. من دون تبذير ومن دون فساد فى ٱلأرض. ٱلتى جرى إصلاحها من قبلُ بدليل ٱلموعظة:

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ ٥٦ ٱلأعراف.

كما يظهر ٱلبلاغ أن فساد ٱلأرض يفعل فى حدوثه ٱلإنسان ٱلذى لم يهتدِ بٱلبلاغ. وأن هلاك ٱلقرى (ٱلحضارات) ينجم عن فساد ٱلناس فى ٱلأرض لأنهم لا يتعظون بٱلبلاغ:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ ١١٧ هود.

ويدلّنا ٱلبلاغ أن ٱلأرض جرىَ إصلاحها ومهدها للحياة. وأنها لم تكن كذٰلك فى ٱلبدء. كماَ أنها تموت إذا ساد فعل ٱلفساد فيها.

ومما رأيته أن قُرءَ ما فى ٱلكتب ٱلحية يجعل ٱلإنسان ٱلقارئ يعلم جميع أطوار ٱلخلق ٱلحيِّ ويضع منهاجها ٱلخلقى. ثم يتوجه لتسوية ٱلكينونة ٱلحية طبقًا لهٰذا ٱلمنهاج ٱلخلقى ٱلذى قرأه بدءًا من مآء وتراب. أو من أىّ طور خلقى فى منهاجها. وليس هٰذا أخر ٱلعلم. بل يمكن وضع ٱلمنهاج فى مختبرات يتحكم بها مَلَكٌ صنعىّ (كومبيوتر). كما يمكنه أن يوقف ٱلخلق عند أىّ طُور من أطواره ليبصر ٱلمخلوق فى هيئته ٱلجسمية عند هٰذا ٱلطور. وبذٰلك يستطيع أن يبصر جميع أطوار ٱلحياة منذ ٱلنشأة ٱلأولى وحتى هيئة ٱلبشر. وليس هٰذا وحده بل يمكنه ٱلتعرّف على ٱلكتاب ٱلخاص بٱلروح. وهو كتاب خاص بٱلإنسان ٱلذى تعلم ٱلأسمآء كلها. ويمكنه أن يقرأ هٰذا ٱلكتاب ويجرىَ إصلاح معلوماته ويقدّسها[1] ويجعلها توافق منهاج ٱلبلاغ ٱلعربى. كما يمكنه كتابة ٱلمعلومات مهما بلغ مقدارها ولونها فى هٰذا ٱلكتاب. ثم يلقم ٱلملك ٱلصنعى ٱلمنهاج ويبدأ تسوية ٱلكينونة ٱلحية لذات ٱلنفس ٱلتى قرأ كتابها وأصلح معلوماتها ٱلروحية. من روح يملؤها ٱلظن وٱلشيط إلى روح قدس[2]. وعند وصول ٱلتسوية إلى طورها ٱلإنسانى سيجد نفسًا ٱمتلأت بٱلروح ٱلقدس وخلت من ٱلظن وٱلجهل. كما يمكنه وضع عدد كبير من منهاج ذات ٱلنفس ويسوى نسخًا عديدة منها. بل يستطيع تسوية أعداد كثيرة من ذات ٱلنفس. وكل واحدة منها تملك علمًا خاصًا عاليًا. وكل هٰذا يحضُّ عليه ٱلأمر ٱلإلـٰهى للسير على سبيل ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وٱلإنسان ٱلذى يحقق هٰذا ٱلطلب هو ٱلذى يمتثل للموعظة:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ٢ ٱلعلق.

وينقصه ليكمل عمله أن يعقل بين ما قرأه فى ٱلكتاب ٱلأول «ٱلكون» وبين ما

---

(١) يعقمها ويطهرها مما علق بها.

(٢) ٱلقدس هو ٱلتعقيم وٱلتطهير للشىء.

قرأه فى ٱلكتاب ٱلثانى «ٱلقرءان». وبذٰلك يصدق أن كاتب ٱلكتابين واحدٌ هو ٱللَّه.

❊ ❊

رأيت أنّ ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين يختلف عن لسان ٱللغة ٱلفصحى ٱختلافًا كبيرًا. وأنَّ تلاوة ٱلقرءان بدليل ٱللغة يبعدنا عن ٱلدليل ٱلحقِّ. فكلمة «دماغ» فى ٱللغة لا تدلُّ على كلمة «فؤاد» فى ٱلقرءان. وكلمة «خلية» فى ٱللغة وفى ٱلقرءان «علقة». وكلمة «صمَّم» فى ٱللغة وفى ٱلقرءان «خلق». ومثله كثير. ولا يوجد فى ٱللغة ما يجعلها وسيلة إدراك وفهم للقول فى ٱلقرءان. فهى لسان أخر. ولإدراك وفقه ٱلكلمة فى ٱلقرءان بوسيلة ٱللغة يلزم إجرآء تحويل (ترجمة) كما يجرى ٱلتحويل بين ٱلألسن ٱلمختلفة ٱلأخرى. وعليناَ أن نعلم أنَّ أعمال ٱلتحويل لا توصل مفاهيم ٱلكتاب ٱلمحوَّل (ٱلمترجم) إلىَ إدراك ٱلذى يتلوا ٱلنسخة ٱلمحوِّلة (ترجمة). وهو ما نجده فى تلك ٱلأعمال ٱلتى حملت ٱسم شرح للقرءان. وما فيها هوَ إدراك محولها وليس دليل ٱلكلمة وٱلقول فى ٱلقرءان.

ٱلدليل فى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين

يصنع ٱلِّسان مقدارا كبيرا من أصوات ٱلكلام تدلّ علىَ أفعال وأشيآء وصفات وأوقات وأماكن. ويخضع ٱلِّسان فى صناعته إلىَ أطوار وٱصطفآء قبل أن يصل إلى ٱلبيان ٱلتفصيلى لسمات ٱلأفعال ٱلفاعلة فى تكوين ٱلأشيآء وجعلها عربية مبينة. وقد بدأ ٱلِّسان صناعته مع نفخ ٱلرّوح فى قلب ٱلبشر:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ ٱلبقرة.

من هنا بدأت صناعة لسان ٱلإنسان جميعًا. ومنه بدأ ٱلإنسان يتعلم علىَ أسمآء ٱلأشيآء ٱلمبصرة وٱلمسموعة ويقرنها مع ٱلأسمآء ٱلمعلّمة فى ٱلمنهاج ٱلمنزّل (ٱلروح ومعه «علّم ءادم ٱلأسمآء كلّها»). وبه حدث ٱلتعريف لكلٍّ مِّنها. ومنه خرج ٱلصوت ٱلذى يدل على تلك ٱلأشيآء. وساعده فى فعله هذا تدريب ملٓئكة. كما نفعل نحن ٱليوم فى تدريب أطفالنا على نطق ٱلكلام. وٱقترن ٱلتدريب بٱلإشارة إلى ٱلشىء بصوتٍ وخطٍّ يدلان على ذٰلك ٱلشىء. ورجع ٱلمدرب على ذٰلك ٱلصوت وذلك ٱلخط ٱلدليل حتى كملت ٱلخبرة فيه وقلّمت وسطّرت وخزّنت فىَ أوعية قلب ٱلمتعلم.

هٰذا ٱلأمر باقٍ منه إلى يومنا تدريب أطفالنا على ٱلنطق من دون خطٍّ منذ ٱلولادة وحتى سنواتهم ٱلثلاثة وٱلأربعة ٱلأولى من ٱلعمر. حيث نترك تعليمهم ٱلخطّ ليأتى فى طور ٱلتعليم من بعد ٱلسنة ٱلسادسة وإلىَ أن ينتهى من ٱلتعليم ٱلعالى. فيبدأ ٱلنظر فى هٰذه ٱلأشيآء وأسمآئها ٱلصوتية وٱلخطية. ثم ٱلعمل على ٱلعلم فى وسيلة ٱلكشف عن سنتها بٱلسير على سبيل بدء نشأتها.

ٱلعلم فى ٱلأشيآء وأسمآئها لا يحدث دفعة واحدة. بل يتراكم ليكوّن لسانًا خبيرا فيما يدل على ٱلأشيآء ٱلمبصرة وٱلقريبة. وكذٰلك ٱلمسموعة ٱلموجودة فى ٱلمكان ٱلذى يعيش فيه ٱلمتعلم.

ومن قام بٱلتعليم ٱلأول هم ملـٰٓئكة مهديون حتى كمل ٱلطور ٱلأول من ٱلّسان ٱلأدمىّ.

ثم ٱنتقل ٱلتعليم إلى ٱلطور ٱلثانى. وبه بدأ ٱلتدريب على ٱسترجاع صورة تلك ٱلأشيآء. وهوَ أول فعل تفكير فى هٰذه ٱلأسمآء يسوق ٱلمتعلم إلى فعل ٱلنظر فيها وٱلتعرف على سجود ٱلأشيآء له وما ينجم من مفاهيم:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ٣٤ ٱلبقرة.

وٱلملـٰٓئكة هى جميع ٱلكآئنات ٱلظاهرة للبصر وٱلغآئبة عنه ٱلموجودة فى مكان عيشه.

وما تدلّ عليه كلمة «سجد» هو ٱلخضوع وٱلطاعة من دون تمرد. وهٰذا ٱلسجود قآئم بهداية فى ٱلكينونة ٱلجسدية ٱلميتة وفى ٱلكينونة ٱلجسمية ٱلحية سوآء ءكانت بهيمة أم عاقلة. وٱلجميع يسجد ويسلم لمنهاج ٱلهداية وفق منهاج جريان ٱلتسوية وٱلتكوين. وسأبين لاحقًا تفصيلاً فى ٱلسجود وٱلهداية.

وما تدل عليه كلمة «إبليس» تأخذه من دليل ٱلفعل «بَلَسَ» ٱلذى يبينه ٱسم «بلاسة» فى لسان ٱلأميين ٱلفطرى. وهو للقماش ٱلذى بليت خيوطه وفقدت تماسكها ببعضها. ومثل هٰذا ٱلقماش هو ٱلمثل على دليل ٱلفعل «بلس». ودليل ٱسم «إبليس» منه وهو لفقدان وبطلان ٱلحجة وسيادة سلطة ٱلهوى وٱلظن بعيدًا عن ٱلحق.

وكان أول ٱختبار بدأ لـ ءَادم هو بموقفه من ٱلوعظ ٱلمتعلق بسكنه وزوجه ٱلجنة(*) حتى لا يقرب شجرة إبليس:

(*) ٱلأرض تكسوها ٱلأشجار.

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٥ ٱلبقرة.

وهذا ٱلاختبار يظهر أن ءادم وزوجه وصلاَ إلى ٱلتقليم بين ٱلأشيآء وٱلعلم بٱلنافع وٱلضّآر منها. وأن ٱلعلم بٱلدليل لديهما قد وصل إلى ٱلتفكير ٱلذى ينجم عنه طاعة للموعظة أو عصيان عليها. ويبين ٱلبلاغ أن ءادم وزوجه لم يسمعا للموعظة «ولا تقربا هذه ٱلشجرة». وخالف ءادم وزوجه فلم يسجدا للبيان فى ٱلموعظة. ومن بعد أن تبيّن لهما خطأ مخالفتهما تابا.

وما يظهر من مخالفة ءادم وتوبته هو ٱفتراقه عن بقية ٱلأشيآء ٱلتى تسجد بهداية ولا تفسق. وبتوبته تلقى مناهج توسِّع قدرته على ٱلحكم بما لديه من جدلية فسق - طاعة:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٣٧ ٱلبقرة.

وبهذه ٱلكلمات بدأ طُور ٱلموقف. وفيه علم بدليل مسآئل غير حسية تنشأ فى ٱلقلب(*) ٱلذى جرى فيه ٱلتفكير بعد جريان ٱلإختبار ٱلحسى فى ٱلأشيآء. وجآء هٰذا ٱلعلم مجزّءا وعلىٰ أطوار. ويبيّن ٱلبلاغ أن هذا ٱلعلم لم يأتِ دفعة واحدة:

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٩٦ ٱلشعرآء.

فدليل كلمة «زُبُر» هو لقطع ٱلشىء أجزآء صغيرة. ويظهر ٱلبلاغ هٰذا ٱلدليل:

﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ﴾ ٩٦ ٱلكهف.

كما يظهره ٱلبلاغ فى تتابع ٱلرسل (ملـٰٓئكة ومن بعدهم بشر) وتدرّج كسب ٱلناس للمعلومات:

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ ١٨٤ ءال عمران.

(*) ٱلقلب هو قسم من ٱلفؤاد يقلب ويفكر ويعقل ويحكم ويفقه. وعمل ٱلفؤاد ينقسم إلى فعل بٱلهداية وأفعال خزن للمعلومات ٱلتى جآء بها ٱلتعليم.

بدأت نشأة لِسان ءادم بعقل لما تعلّمه مع ما يبصره ويسمعه. وأخطأ وتاب وتلقى كلمات ومعلومات زبرًا زبرًا(*). ثم بدأ توريد ٱلمعلومات فى كتاب «ٱلكتٰب ٱلمنير» وفيه ما جآء فى ٱلبينات وفى ٱلزبر على فترات طويلة. وجرى تسطيرها خطوطًا علىَ ألواحٍ أو قرطاس.

وفى ٱلكتاب ٱلمنير منهاج لِّسلوك ٱلإنسان وفق خيرته مع ٱلملـٰٓئكة ٱلساجدة وفى ٱلمجتمع ٱلإنسانى على ٱلسَّوآء. وللإنسان ٱلخيرة فى ٱلأمر. يتبع ٱلمنهاج فيرقى به. أو يتبع هوىٰه فيرتد إلىَ أصله ٱلبهيم.

إن ٱنتقال ٱلّسان من طور إلىَ أخر وصولاً إلى ٱلبيان ٱلتفصيلى فى ٱلّسان يظهر زيادة فى كلامه. كما يظهر تكوين ٱلمفاهيم. وأول وسآئل هٰذا ٱلانتقال كانت فى ٱلزبر. ٱلتى حملت معلومات فى كلام جديد مخطوط. مهدت لورود ٱلكتاب ٱلمنير فى كلٍ من صحف إبرٰهيم وموسى وٱلتورىٰة وٱلإنجيل. ليزداد قدر ٱلمعلومات فى ٱلنفس ٱلتى سيأتيها بيان وتفصيل فى ٱلقرءان بلسان عربى مبين.

وٱلزيادة فى ٱلمعلومات لا تزيد عدد ٱلكلام وحده. بل تزيد عدد ٱلرموز (ٱلأبجدية) ٱلتى يتكون منها ٱلكلام.

ومن ٱلكلام ما كان يحمل دليلاً محدَّدًا فى ٱلأطوار ٱلأولى من ٱلّسان ٱلأدمى وصار فى ٱلأطوار ٱلأعلى لا وجود له فيه. فٱستبدل بكلام جديد يناسب دليله حاجة ٱلطُّور ٱلجديد.

وبفعل هذا ٱلانتقال من طُور لسانى بدآئىٍّ إلى طُور أخر ظهر أنصار للمعلومات أخذوا بها وبدأوا فى ٱلطور ٱلذى يضم كلام أوسع فى دليله. كما ظهر أعدآءٌ قاوموا ٱلجديد وكذبوه.

ونجم عن هٰذين ٱلموقفين إختلاف وٱفتراق. فتشعب ٱلناس فى ٱلأرض. كلٌّ

(*) قطع من ٱلقول كٱلأمثال وٱلحكم.

مِّنهم يحمل معه طورًا لِّسانيًا يوافق ٱلطور ٱلذى سبق ٱلاختلاف عند ٱلمكذبين وٱلطور ٱلجديد عند ٱلمصدقين.

ومع تتابع ٱلرسالات ٱلمناهج تتابعت ٱلأطوار ٱلِّسانية. ومع كل رسالة حدث تصديق وتكذيب. وكان هٰذا هو سبب ظهور ألسن متعددة تفترق عن بعضها بٱلكلام وٱلدليل.

ولما بلغ ٱلِّسان ٱلشّامىّ(*) ٱلسّامىّ (وهو أكثر ٱلشعب ٱلِّسانية ضمًّا لأطوار ٱلِّسان ٱلأدمىّ) طوره ٱلأعلى. جآءت رسالة ٱللّه فى ٱلقرءان لتكون رسالته للناس جميعًا علىٰ إختلاف ألسنهم. يدعوهم فيهآ إلى منهاج علم واحد بلسان عربىّ مبين. يضمّ كامل ٱلمعلومات وٱلمنهاج ٱللازمين لبنآء روح ٱلخليفة ٱلذى بيّنه ٱلبلاغ:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

لقد ضمّ ٱلقرءان ما ورد من تعليم مباشر علىٰ أيدى ملٰٓئكة مهديين مرسلين. وما جآء فى ٱلزبر. وفى ٱلكتاب ٱلمنير. وفيه فريضة(**) للناس ليوقفوا ٱختلافهم ٱلذى جعلهم شعوبًا وقبآئل.

ودليل ٱلكلمة فى ٱلقرءان هو أعلى ٱلأطوار فى دليل ٱلِّسان. سوآءٌ ءَكان فى ٱلكلمة أم فى ٱلبلاغ أم فى ٱلنبإ أم فى ٱلموعظة أم فى ٱلوصية. وفيه تفصيل وبيان لمنهاج ٱلنظر وٱلبحث للعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق» ٱلذى على ٱلإنسان ٱلسآئر على سبيل ٱلخليفة أن يكشف عنه ليخلف.

ما رأيته فى بلاغ ٱلقرءان أن ٱلكلمة منها ما جرى نسخه من ٱلألسن ٱلشامية ٱلأولى نطقًا ودليلا. ومنها ما هو بديل لِّكلمة تُركت بفعل ٱلإصطفآء فى ٱلطُّور

(*) نسبة إلى بلاد ٱلشام وفيها ٱنتشر منهاج ٱلأم «عشتروت» ومنه ٱنبثق فرع ٱلأب «إبراهيم» وحمل ٱسم سام.

(**) ٱلفريضة من دليل ٱلفعل «فرض» ٱلذى يدل على «فرج وفتح ووسع» ولا تدل على إلزام كما هو فى ٱللغة ٱلفصحى. وقد سبق بهذا ٱلقول فى ٱلدليل ٱلدكتور محمد شحرور.

ٱلذى جآء بٱلكلمة ٱلبديل. وهٰذا ما بيّنه ٱلبلاغ فى مسألة ٱلنَّسخ وٱلنسيان:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ ١٠٦ ٱلبقرة.

فهناك كلمة جرى نسخها ودليلها ينكشف تفصيله بٱلنظر وٱلبحث. فكلمة «ءادم» منسوخة وتدل فى ٱلألسن ٱلشامية علىٰ أول نفس ٱنتقلت من طور ٱلوحش إلى طور ٱلإنس. كما تدل علىٰ أصلها من مآء وتراب من دون بيان وتفصيل فى مراحل ٱلخلق ٱلطورية.

وٱلاسم فى صحف موسى (ٱلنسخة ٱلبشرية فى لسان ٱللغة ٱلفصحى) يدل على مآ أدركه ٱلإنسان ٱلمحوِّل من دليل ٱلكلمة:

«وجبل الربّ الإلـه آدم تراباً من الأرض. ونفخ في أنفه نسمة حياةٍ فصار آدم نفساً حية» سفر خروج/ الاصحاح الثاني ٧، ٨.

وهٰذا ٱلقول ٱلمحوَّل بإدراك إنسان من ٱلّسان ٱلعبريّ إلى لسان يونانى إلى لسان ٱللغة ٱلفصحى يبين أصل ءادم ٱلذى نشأ منه. ويبيّن أن ٱلنفخ جرى فى ٱلتراب فصار ٱلتراب «نسمة حياة». كما يبيّن إدراك ٱلمحوّل للفعل ٱلجارى علىٰ أنه ٱلبدء فى صناعة ٱلحياة ٱلتى يأتى ءادم فىٓ أعلىٰ أطوارها. وليس فى بدايتها كما يظن. وتفصيل أطوار ٱلحياة يأتى به ٱلذين يسيرون فى ٱلأرض ينظرون كيف بدأ ٱلخلق.

إنَّ دليل كلمة ءادم فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين (ٱلقرءان) يظهره ٱلنظر فى ٱلبلاغات ٱلمفصلة على أنَّه «نفس حيَّة» على مفترق ٱلطرق بين طور ٱلوحش(*) وطور ٱلإنسان. بعد ٱنتقالها ٱلطورى من تراب (كينونة ميتة) إلى نفس (كينونة حية.

كما تظهر ٱلأطوار ٱلأخرى من وحيدات ٱلعلق (ٱلخلايا) إلى متعددات ٱلعلق. إلى كمال تسوية ٱلبشر ٱلذى جرى نفخ ٱلروح فيه وبدأ يتعلم «ٱلأسمآء كلها».

(*) لقد فصل بين ءادم وٱلوحش طور منسيٌّ هو طور «أدبا» ٱلذى يظهر فىٓ أساطير سومر.

ثم بدأ أطوار معلومات إلىَ أن وصل إلى ٱلنظر فى تلك ٱلأسمآء وعلم ٱلكثير عن كيف بدأت نشأتها ٱلأولى.

ما رأيته فى ٱلمعلومة ٱلواردة فى نسخة تحويل كتاب موسى إلى ٱللغة ٱلفصحى أنها تظهر مقدار علم محولها من لسانهآ إلى لسان ٱللغة. كما تظهر نقص قدرته على ٱلتفصيل فى كيف تحّول ٱلتراب ٱلميِّت إلى نفس حيَّة. وكذٰلك هو ٱلأمر فى ٱلكشف عن ٱلأطوار ٱلتى نقلت هٰذه ٱلنفس إلى طور ٱلبشر. فٱلمعلومة جآء بهآ إنسان لا يدرك سنَّة ٱلتطور ٱلتى فعلت فى هٰذا ٱلمسار.

ورأيت فىَ أعمال ٱلناس ٱلشارحة للقرءان مثل هٰذا ٱلادراك.

أمَّا ما رأيته فى ٱللِّسان ٱلعربى ٱلمبين (ٱلقرءان) فيظهر مسألة يقترب منها عمل ٱلناظرين فى كيف بدأ ٱلخلق:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ١٨٩ ٱلأعراف.

وهٰذا يوكِّد مسألة ٱلتطور فى كل رسالة وكل رسول قبل ٱلقرءان. كما يوكِّد توجُّه ٱلقرءان للناس جميعهم. كونه يضم ٱلتفصيل فى بيان منهاج ٱلعلم فى ٱلأسمآء وكيف بدأ ٱلخلق. ويوكِّد ٱلتطور ٱلذى وجده ٱلإنسان ٱلناظر لاحقًا. فما يبيّنه تحويل صحف موسى هو أن ٱلنفخ بدأ فى ٱلتراب. وفيه نشأت «نسمة حياة». وهٰذا جآء عنه فى ٱلقرءان أنّه من مآء وتراب وعقب عليه بٱلطور ٱلذى يليه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ١٨٩ ٱلأعراف.

فٱلنفس ٱلواحدة هى ٱلتى جرى فيها نفخ «نسمة حياة». وفصّل ٱلقرءان أن هٰذه ٱلنفس ٱلواحدة جرى خلقها من مآء وتراب. ثم جرى جعلها زوجًا فى ٱلطور ٱلتالى عليها.

لقد ضمّ تحويل صحف موسى قولا عن حقٍّ أساس أنَّ ءَادم خُلق من تراب. وبزيادة علوم ومعارف ٱلمتلقى يوصل إلى تفصيل ٱلعلم بهٰذا ٱلخلق من دون تناقض مع ٱلأساس ٱلحق. فٱلتراب ٱلذى ينزل عليه ٱلمآء يهتز ويربو وتنبت فيه

«نسمة حياة». وهٰذا هو ٱلنفخ ٱلذىَ أراده ٱلنبأ ٱلمحول بـ «نسمة حياة». فكلمة «نسمة» شامية منسيَّة فى ٱلقرءان. وتدل على بداية تبادل سور ٱلهوآء(*) داخل سور ٱلتراب وٱلمآء. وهٰذه ٱلحركة خفيفة وضعيفة. وهو ما تدل عليه كلمة «نسمة».

وأرى فى ٱلقول ٱلمحوَّل أنَّ ٱلمحوِّل لا يدرك أشراط ٱلتكوين ٱلحى (ٱلبيولوجى) وفى قوله معلومة تطابق إدراكه وقت ٱلتحويل.

لكن هذا ٱلتحويل على ٱلرّغم من نقص ٱلإدراك للعلم ٱلبيولوجىَ لدى ٱلمحوّل يظهر منه علما بتسلسل خلق ٱلحياة. فكلمة «أنفه» تدل علىَ أول ٱلشىء. وهو هنا نشأة ٱلحياة «نسمة حياة» يعقبها طور ٱلنفس ٱلواحدة (وحيدة ٱلخلية) ٱنتقالاً مِّنَ ٱلتراب ٱلمتحول طينًا بٱلمآء ٱلنازل عليه. ويظهر أن «نسمة حياة» كانت مقدمة لطور جديد «فصار ءَادم نفسًا حيَّةً».

وهٰذا يصدقه ٱلنبأ فى ٱلقرءان ويفصّل فيه بلسان عربى مبين. وقد جآء ٱلتفصيل فى خلق ٱلإنسان بدءًا من مآء وتراب وحتى ٱلطفل. ثم فصّل كيف جرى تعليم هٰذا ٱلطفل على تسطير ونطق ٱلأسمآء. ثم بيّن وفصّل كيف يكسب ٱلصبىَ وٱلغلام وٱلراشد وٱلعجوز ٱلعلم بوسآئل ٱلنظر وٱلبحث فى تلك ٱلأسمآء(١).

يرى ٱلمفكرون علىَ إختلاف وجهاتهم فى كلمة «ءَادم» أنها تدل علىَ إنسان راشد كامل ٱلتسوية. وما يبينه ٱلقرءان أنها تدل على حىّ لم يتجاوز سن ٱلطفولة وتعلم ٱلأسمآء. فكلمة «ءَادم» تدل على نفس واقفة بين ٱلبشر ٱلذى تعلم ٱلأسمآء وٱلإنسان ٱلذى بدأ ينظر فى تلك ٱلأسمآء عودة إلى «كيف بدأ ٱلخلق».

وما جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط عن «ٱلأدمة» علىَ أنها «باطن ٱلجلد تحت

(*) ٱلغازات وهى كلمة محولة من ٱللّسان ٱلانكليزى Gas فٱلسور هى ٱلأجزآء ٱلدخانية ٱلتى يتكون منها ٱلهوآء.

(١) راجع كتاب ٱلاستنساخ.

ٱلبشرة وفوق ٱللحم، ومن ٱلأرض ما يلي وجهها» صواب فيما تدل عليه ٱلكلمة فى هٰذين ٱلموقعين. أما ما تدل عليه فى نفس ٱلبشر فهو ٱلتوسط بين ٱلبشر ٱلمصطفى من مملكة ٱلوحش ٱلبهيم وٱلإنسان.

أما حكم بعض ٱلمفكرين على ٱلمعلومة ٱلواصلة إليهم من ٱلتحويل لكتاب موسى بقولهم أنها لا تصمد أمام ٱلعلم. فهو مؤشر على نقص ٱلدراية فى مسألة تحويل ٱلنبإ وٱلنبأ ٱلأصل فى لسانه ٱلذى صدّقه ٱلبلاغ فى ٱلقرءان:

﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنـزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ ٤١ ٱلبقرة.

وكذٰلك هو ٱلأمر فى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر.

فمعلومة صحف موسى جآءها ٱلتصديق وٱلتفصيل فى ٱلقرءان وفى بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى. وأنَّ ما يؤخذ من كتاب محوَّل (مترجم) فيه إدراك ٱلمحول ولا يكون وسيلة للمقابلة مع ٱلعلم ولا للتكذيب أو ٱلتصديق.

فٱلمحوِّل جمع بين صحف موسى وٱلتورىٰة. وٱسم «تورىٰة» من ٱلأصل «تَوَرَ يتور» وٱلاسم منه «تورة وتورىٰة»(*) وهو يدل على عودة ٱلإرسال وتكراره مرَّة بعد أخرى. فٱلتورىٰة هو تكرار لصحف موسى ٱلتى عاد بهآ أنبيآء بٱلبينات وٱلزبر يذكّرون بها مرّة بعد مرّة لتثبيت ما جآء فيها فى قلوب ٱلناس قبل أن يرد إليهم ٱلبيان لكلِّ شىء فى ٱلقرءان.

وتشبه ٱلمعلومة ٱلمحولة من صحف موسى عن خلق «ءادم» تلك ٱلمعلومة ٱلتى تقدم للطفل ٱليوم حين يسأل والديه كيف أتىَ إلى ٱلوجود. وجميعنا نعلم كيف يوقف ٱلوالدان وقد جمَّدهم ٱلسؤال. وسرعان ما يقدمون له معلومة لا تشبع سؤال ٱلطفل ٱلذى بدأ يسأل. ولا نعلم من يقول له أنه جآء بسبب نكاح بين وٱلديه وإلقاح وٱنتقال فىَ أطوار خلقية متعددة حتى كمل خلقه وتسويته ثم خرج من فرج والدته. وجميعنا نترك أطفالنا مع معلومة تشبه معلومة محول نبأ خلق

(*) تستعمل ٱللغة ٱلفصحى كلمة «تارة» وتردفها بكلمة «أخرى».

ءَادم حتى يبلغوا عمرًا يزداد فيه علمهم ويكتشفون أنَّ ٱلمعلومة تناقض ٱلعلم. ومنهم من يسارع إلى ٱلحكم على ٱلدِّين ويربِـٰه فى طرف يعادى ٱلعلم. وهٰذا يوكد أنَّ ٱلتفصيل فى ٱلمعلومة للأطفال يوافق سنَّة تطور ٱلروح فى قلب ٱلوالدين. وما يقدمانه للولد فى جوابهما عن سؤاله يحكمه إدراكهما. فإذا تناقض مع ما يأتى من تفصيل فى ٱلبيان ٱلعلمى لاحقًا يجعله فى طرف يعادى ٱلدِّين. وإذا جآء ٱلجواب على قدر من ٱلعلم فى دليل ٱلنبإ يجعل ٱلولد رجلا يؤمن أنَّ ٱلدِّين وٱلعلم واحد.

لقد بيّن ٱلمحوّل للقول فى صحف موسىٓ أن ءَادم خُلق من تراب. وزيادة علوم متلقى ٱلنبأ توصله إلى تفصيل فى هٰذا ٱلخلق من دون تناقض مع ٱلمعلومة. وءَادم هو ٱلنفس ٱلبشرية ٱلتى بدأت نشأتها فى ٱلتراب وٱلمآء ووصل بها ٱلتطور إلى تلقى ٱلروح. ومع تتابع ٱلمعلومات فى ٱلبينات ٱلمبصرات وٱلزبر وٱلكتاب ٱلمنير وصلت إلىٓ إنسان هو عيسى. وقد جآءت كلمة ءَادم فى ٱلقرءان نسخًا مَّع ما تدل عليه فىٓ أطوار ٱلّسان مشفوعة بٱلبيان وٱلتفصيل. وهٰذا دليل أحسن يبيّن لنا ٱلطفولة ٱلتى تسبق صيرورة ٱلإنسان ٱلخليفة.

ٱللَّه هو ٱلفاعل لكل فعل فى ٱلوجود. وٱلإنسان ٱلذى صار نفسًا حيَّة من مآء وتراب جُعل خليفة للفاعل ٱلخالق ٱللَّه. وكلما زاد تفصيل وبيان ٱلأيات لدى ٱلخليفة زادت قدرته على ٱلفعل إلىٓ أن يوصل إلى «فعّال لما يريد» وبه يجنِّب نفسه مقت ٱللَّه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ /٢/ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ /٣/﴾ ٱلصَّفّ.

فٱلكلمات ٱلتى تدل علىٓ أسمآء ٱلأشيآء ٱلظاهرة ٱلمحسوسة معلمة فى نفس ءادم «وعلَّم ءادم ٱلأسمآء كلها». ويبدأ ٱلطفل يتعرف عليها ويتعلم ٱلخبرة فيها ويقلّمها ويسطرها فىٓ أوعية فؤاده (دماغه). ويبدأ ينطق بأصوات متميزة يدل كل منها على ٱسم من تلك ٱلأسمآء ٱلمعلمة. وٱلطفل ٱلذى يكمل تقليم وتسطير

ونطق ٱلأسمآء فى فؤاده يكون أكمل ٱلطور ٱلأول للإنتقال من ٱلبشر ٱلوحش إلى ٱلأدمية. وٱلكلمة لديه لا يتجاوز دليلها ٱلإشارة إلى شىء فى حدود ما يظهر منه.

وٱلأدمى فى طور ٱلكلمة ٱلاسم لا يستطيع ٱليوم ولا من قبل أن يوصل إلى دليل يفصّل فى ٱلبيان ما لم يمتلك ٱلعلم فى دليل ٱللّسان ٱلعربى ٱلمبين (ٱلقرءان) ٱلمرافق للسير وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وهٰذا يلزمه جهد لا يفتر عن ٱلبحث وٱلنظر فىَ ءايات ٱلوجود وفى دليل ٱلبلاغ ٱلمبين ودليل ٱلكلمة ٱلعربية ٱلمبينة فى موقعها ٱلبلاغى لا فى مكان أخر. مع تذكر مسألة ٱلإصطفآء ٱلكلامى ٱلجارية فى جميع أطوار ٱللّسان ٱلأدمى:

﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ ١٠٦ ٱلبقرة.

فٱلكلمة ٱلتى تكونت مع بداية تعلم ٱلأسمآء وحتى وقت ورود ٱلقرءان عبرت أطوارًا فى قَدرِ ٱلكلام وتفصيل ٱلدليل أوصَلَ ٱلأدمىّ إلى ٱلقدرة على تلقى ٱلبيان ٱلمفصل وحفظه وذكره وعقله وفقهه لدى جميع ٱلأمم ٱلتى تكونت بعد ٱفتراقها عن ٱلأمة ٱلأدمية ٱلواحدة. ولما كان ٱلبيان ٱلمفصل لا يلزمه كلمات أوجبتها قدرة ٱلمتلقى علىَ إدراكها فى طفولته. تركها ٱلبيان ٱلمبين ولم يستعملها. مثل كلمة «نسمة». وٱكتفى بٱلبيان ٱلمفصل فى مسألة ٱلنشوء ٱلحى من «نفس وٰحدة». وكذٰلك تسطيرها فى «كتب ٱلأوَّلين» ومنها ٱلزبر وٱلكتاب ٱلمنير.

ومثلنا على ذٰلك كلمة «أرعا» ٱلشامية تدل على ٱلأرض فى حدود علم ٱلمتلقى من أن ٱلأرض هى ٱلمكان ٱلذى يعيش فيه مع أنعامه. وعندما ٱزداد علم ٱلمتلقى وتوسع دليل كلمة ٱلأرض لديه ترك كلمة «أرعا» لتدل على ٱلمرعى. وجآءته كلمة «إرث» لتدل على ٱلتراب ٱلصالح للزراعة وعلى ٱلطين وجسم ٱلإنسان ٱلفانى وٱلدفن فى ٱلتراب وٱلفخار. وهٰذه ٱلكلمة ٱلجديدة تدل على طور جديد من ٱلفهم وٱلإدراك لدليل كلمة أرض عند ٱلناس ٱلذين تلقوا صحف موسى وٱلتورىٰة. وبمقارنة كلمة «إرث» مع كلمة Earth ٱلانكليزية ٱللّسان نجد تطابقًا فى ٱلنطق وفيما تدل كل مِّنهما عليه. وفى ٱللّسان ٱلعربى تدل كلمة «إرث» على ما

تركه ميت. وجآءت فيه كلمة «أَرض» لتدل على كوكب يختلط فيه ٱلميِّت مع ٱلحى «كفاتا» ويسبح فى ٱلسمآء فى فلك. وبفعل جعله كفاتا تجرى فيه ٱلأفعال (صَوَعَ صَبَّ شقَّ مدَّ سطح بسط رسى دما همد وَسَعَ رَحَبَ غرق خزن صدع فرش ترب هَزَّ ربا صلح كفت نشأ نبت ذرأ فجر نبع بلع طحا خضر زخرف زين جنَّ حيا مات دبَّ طار سبح رعى زرع قرّ حلّ طاب أَمَّ أَبَّ سكن خلف عَمَرَ فسد زلزل رجَّ).

فجعل ٱلكوكب «كفاتا» هو ٱلسبب فى جريان وٱجتماع هٰذه ٱلأفعال ليكون أرضا. وهٰذا لا نجد دليلاً بيّنا عليه فى ٱلكلمات «أَرعا وإرِث وEarth». وٱستعمال ٱلمفكرين لكلمة «أرض» فى قولهم «أرض ٱلمريخ» أو «أرض ٱلزهرة» لا صواب فيه لأن ٱسم «أرض» لا يطلق على كوكب لم يجعل كفاتا من موت وحياة.

كلمة Earth مهاجرة من ٱلّسان ٱلشامى عند هذا ٱلطور للدليل إلى بريطانيا. وقد حدثت هٰذه ٱلهجرة قبل وصول ٱلروح إلى طور كلمة «أرض» ٱلتى تدل على كوكب فيه ٱلموت وٱلحياة كفاتا. وبتحويل كلمة «أرض» إلى كلمة Earth من دون توسيع فى دليلها لدى ٱلناطقين بها يأتى بدليل ناقص للبلاغ ٱلمحوّل. وٱلإنسان ٱلذى يتكلم ويفهم ٱلّسان ٱلإنكليزى عندما يتلوا ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين محوَّلاً إلى لسانه يفهمه بدليل ٱلكلمة فى لسانه ولا يوصل إلى دليل ٱلكلمة فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. ولكى يكون ٱلتحويل مقاربًا لدليل ٱلبلاغ ٱلمبين يلزمه شرح وتفصيل فيه حتى يظهر ويبين ٱلدليل فى ٱلّسان ٱلانكليزى.

ترجع ألسن ٱلإنسان جميعهآ إلىٓ أصل واحد هو ٱلّسان ٱلأدمىّ. وبه بدأت ٱلكلمات تدل علىٓ أشيآء ظاهرة محسوسة قريبة ٱلإدراك. ثم تطورت لتدل على ٱلأجزآء وٱلباطن. إلىٓ أن وصلت إلى ما قبل ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. كل قوم بلسانٍ بعد أن تفرَّع ٱلجميع عن لسان واحد وتفرّق فى كل ٱلأرض. ثم جآء ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين طالبًا مِّنَ ٱلناس جميعًا ٱلأخذ به إن أرادوا ٱلوصول إلى ٱلبيان

وٱلتصديق وٱلتفصيل. وبه إلى موقف ٱلخليفة وفى ٱلبلاغ بيان ٱلطلب وٱلتوجّه:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

لقد تطورت جميع ٱلألسن بفعل ٱلنظر وٱلبحث وٱلعمران. وهى مهما زاد قَدرُها ٱلعلمى تبقىَ أدنى من ٱلبيان وٱلتفصيل. وكذٰلك يبقىَ إنسانها قاصرًا عن تحقيق موقف ٱلخليفة.

ونجد ٱليوم أن ٱلألسن ٱلشامية وٱلفارسية وٱلتركية وٱلأوردية وٱلانكليزية وٱلهندية وٱلفرنسية وٱلألمانية وغيرها جميعها تُخرج مفاهيم عن بلاغ ٱلقرءان بتأثير دليل معاجم ٱللغة ٱلفصحى ودليل كلمات كل مِّنها وتطورها بمعزل عن ٱلبيان وٱلتفصيل. وينجم عن تلاوةٍ بلسانٍ أدنى من ٱلبيان وٱلتفصيل مفاهيم تقصر عن مفاهيم ٱلبيان وٱلتفصيل ٱلذى جآء فى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. ونجد ٱلجميع يقولون عن خلق ءادم فى بلاغ ٱلقرءان وفى نبإ صحف موسى قولا لا يطابق ٱلحق ٱلذى جآء فى ٱلكتابين. وهم يغفلون عن دليل ٱلكلمة ٱلعبرية كما يغفلون عن دليل ٱلكلمة ٱلعربية. ويتصورون أن ٱلمعلومة فى ٱلكتابين تقول أن ٱللّه جبل طينًا على هيئة إنسان ونفخ فيه فصار إنسانا كاملاً مِّن دون أطوار خلقية. وهٰذا يخالف ٱلحق فى ٱلكتابين. ولم يكتفوا بهٰذا ٱلقول ٱلظنى بل نجم عنه حكم على ٱلكتابين أنهما لا يتفقان مع ٱلعلم.

قلت فى كتبى ٱلسابقة أن ٱلقرءان علمٌ كلىَ. وهٰذا ٱلقول جآء على عَجَلٍ ويلزمه تفصيل بتأييد ٱلبلاغ:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

ٱلبيان كشف وتفصيل للشىء. ودليله أوسع من دليل ٱلعلم. فٱلعلم من «عَلَمَ» وٱلاسم منه «عَلَمٌ وعلامةٌ». وهو يدل على حدود ٱلأشيآء فىَ أبدانها وألوانها وأجزآئها وتقليمها عن بعضها.

أما «ٱلهدى» فهو من «هدى يهدى» ويدل على ٱلإرشاد وٱلإظهار وتحديد ٱلسبيل ٱلذىَ إذا سار عليه ٱلناس وصلوٓا إلى ٱلتصديق وٱلثقة.

ثم تأتى «ٱلموعظة» لتدل على ٱلنّصح وٱلكفّ وٱلنّهى وٱلعهد. فٱلقرءان لا يضمّ فىَ أنبائه وبلاغاته علومًا كما هو ٱلعلم ٱلذى نعرفه. بل هو وعآء لجميع ٱلعلوم ومنهاج لسلوك ٱلإنسان ٱلذى يسير على سبيل صيرورته خليفة.

وفى ٱلبيان كشف عن ٱلحق وفصل بين طرفيه (زوجيه) وإظهار وكشف عن كل مّنهما. ويلزم للبيان علوم عديدة. وقد جآء فى ٱلبيان أنَّ كل شىء محكوم بٱلقَدرِ وٱلهداية:

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣ ٱلأعلى.

«قدّر» حدَّدَ وعلّم ٱلعدَّة وٱلعدد.

وبيّن علاقة ٱلقَدرِ بٱلخلق(*) وٱلهداية:

«قال ربُّنا ٱلذىَ أَعطى كُلَّ شىءٍ خَلقَهُ ثمَّ هَدَى» ٥٠ طه.

وبيّن سبق ٱلخلق للهداية ٱلتى لا تجرىَ إلاَّ فى قَدرٍ مخلوق. وربط كل ذٰلك بٱلخلق وٱلتسوية(**):

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ٢ ٱلأعلى.

كل شىء هو خلقٌ وقَدرٌ وتسويةٌ تجرى وفق هداية مُحدَّدة. وبيّن أنَّ كل شىء يخضع ويطيع هٰذه ٱلهداية:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ١٨ ٱلحج.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ٦ ٱلرحمن.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ٤٩ ٱلنحل.

ويبيّن أن ٱلهداية لا عصيان عليها:

(*) ٱلخلق تبدله ٱللّغة بكلمة «تصميم» ٱلذى يرجع إلى دليل ٱلفعل «صَمَّ» ويدلنا على عطل فى ٱلسمع.

(**) ٱلتسوية بدلاً من ٱلتنفيذ ٱلذى يرجع إلى دليل ٱلفعل «نَفَذَ» ويدل على ٱختراق للشىء.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٦ ٱلتحريم.

وجآء فى ٱلبيان أن ٱلسجود للهداية يقوم على سنَّة أساس لجريان ٱلفعل ٱلتكوينى من دون تداخل مع فعل تكوينيّ أخر وهٰذه ٱلسنَّة هى ٱلصَّلوٰة:

﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٤١ ٱلنور.

كل شىء يسبح(*) ساجدًا لهدايته بسلام وهو يصلّى على سباحة غيره من ٱلأشيآء فلا يعتدى عليها فى سباحتها ولا يتجاوز حدود ٱلهداية.

هٰذا ٱلبيان ٱلذى يشمل سنَّة ٱلخلق وٱلقَدرِ وٱلهداية وٱلتسوية وٱلسجود وٱلسباحة وٱلصَّلوٰة لكل شىء ميّتًا كان أو حيًا هو بيان للعلوم فى ظاهر ٱلأشيآء وفى باطنها وفى سنَّة كيف بدأ خلقها. وهو بذٰلك وعآء يوعى كل ٱلعلوم ٱلجارية فى ٱلأشيآء مع بيان ٱلمنهاج وٱلهداية للسير فى سبيل هٰذه ٱلعلوم.

هٰذا هو بيان ٱلقرءان. وقد بيّن لنآ أن ٱلإنسان ٱلذى يوصل إليه ويهتدى بمنهاجه. ويعيد تكوين روحه وفق هٰذا ٱلبيان وٱلمنهاج. ويجعل نفسه فى سلام مع سنَّة ٱلهداية ٱلعامة فى ٱلكون. من بعد علمه أن كينونته ٱلحيَّة تسجد كبقية أشيآء ٱلوجود للهداية ٱلعامة ولا مفرّ لها فى ٱلعصيان عليها. فيختار أن يزيد عليها فى سجوده طوعًا فيسلم ويركع للَّه مطمئنًا لِّوعد ربّه بٱلجزآء ٱلحسن. وهو بذلك يصطفُّ مع أوْلَـٰئك ٱلذين جآء عنهم فى ٱلبلاغ:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ /٣٨/ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ /٣٩/﴾ عبس.

ٱلفعل ركع يدل على ٱختيار ٱلنفس ٱلعالمة بٱلبيان للسجود وٱلسلام فى ٱلقول وٱلفعل. وأنَّ ٱلركوع لا يوجد فى بقية ٱلأشيآء. وبوصول ٱلإنسان إلىَ إدراك هٰذا

(*) سبح تدل على ٱلجريان وٱلتقلب فى ٱلحركة حتى ٱلهلاك.

ٱلبيان يفتح ٱلسبيل أمامه إلى موقف ٱلخليفة ٱلذى يفعل ما يقول ويريد. ولقد ضرب ٱللَّه لنا مثلاً على ٱلخليفة فى عيسى ٱبن مريم. وترك ءَايته لنا لننظر فيها كيف بدأت. فعيسى تكلم فى ٱلمهد وشفى ٱلأكمه وٱلأبرص وٱلأعمى وحَيَىَ ٱلميت وخلق من ٱلطين طيرًا. كل ذٰلك فعله بٱلأمر ٱلصادر عنه لأنه يفعل ما يريد. ويظهر لنا بعض ذٰلك ما جآء فى تحويل إنجيل «متى» إلى ٱللغة ٱلفصحى:

«وإذا أبرص قد جآء وسجد له قائلاً يا سيّد إن أردت تقدِرُ أن تطهرني. فمدَّ يسوع يده ولمسه قائلاً أريد فاطهر. وللوقت طَهُر برصه» الإصحاح ٨/١،٢.

«قم احمِلْ فراشك واذهب إلى بيتك. فقام ومضى إلى بيته» إصحاح ٧، ٩.

هذا لمفلوجٍ مطروح على فراش.

«وفي الهزيع الرابع من اللّيل مضى إليهم يسوعُ ماشياً على البحر» إصحاح١٤/ ٢٥.

«فجآء إليه جموعٌ كثيرةٌ معهم عُرْجٌ وعُمْيٌ وخُرْسٌ وشُلٌ وأخرون كثيرون. وطرحوهم عند قدمي يسوع. فشفاهم» إصحاح ١٥/ ٢١.

هٰذه ٱلأمثلة وردت فى تحويل إنجيل متى من ٱليونانية إلى ٱللغة ٱلفصحى. وقد فعل ذٰلك من دون دوآء ومن دون جراحة. لقد فَعَلَهُ بٱلأمر.

إنّ قدرة ٱلفؤاد على تقليم وتسطير وتخزين ٱلمعلومات وفكرها وعقلها وذكرها وفقهها وٱلأمر ٱلقول ٱلصادر عنه لا يمكن مساواته بملـٓئكة صنعية(*) تتولى ٱلخزن وٱلحساب وٱلإحصآء وٱلتحليل وٱلأمر. وإنَّ ٱلقُرءَ لما فى كتاب ٱلعلقة ٱلمسطور فى وَسَطِ قُطرِها ٱلذى لا يتجاوز طوله ١,٠ مم عمل يلزمه جهد عظيم. فقد سُطِّرَت فى هٰذا ٱلكتاب معلومات تبيّن جميع أطوار خلق هٰذا ٱلكآئن صاحب ٱلعلقة بدءًا من ٱلنشأة ٱلأولى من تراب وحتى وقت ٱلقُرءِ له. وأن ٱلتفكير فى نقل هٰذه ٱلأساطير إلىَ أوعية تخزين فى مَلَكٍ صنعى أمر يلزمه ٱلكثير من

(*) كومبيوتر وإنترنت.

ٱلجهد. لأن ٱلأوعية ٱللازمة لوعى هٰذه ٱلأساطير قَدرها عظيمٌ. فماذا عن أوعية ٱلفؤاد ووعيها(*) للمعلومات؟

ونسأل عمّا إذا كانت ٱلملـٰئكة ٱلصنعية تسجد لخالقها ٱلإنسان من دون إدراك منها لهٰذا ٱلسجود وتقوم بأعمال عالية ٱلتحكم وٱلسرعة. فكم هى قدرة ٱلقلب ٱلذى خلقها على ٱلفعل وٱلتحكم وٱلسرعة فى تحقيقه؟

لقد جآء فى ٱلبلاغ:

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ٤٠ ٱلنمل.

وفيه بيان قدرة «ٱلذى عنده علمٌ مِّنَ ٱلكتٰب» على ٱلفعل وٱلسرعة. فكيف يكون فعل وسرعة ٱلذى عنده علم ٱلكتاب كله؟

إن ٱلأيات ٱلتى وردت فى ٱلقرءان جميعها يشملها ٱلطلب:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وءَاية مريم ٱلتى ولدت من دون مسٍّ. وءَاية عيسى وءَاية «ٱلَّذى عنده علم من ٱلكتٰب» جميعها مطلوب ٱلنظر فيها وٱلعلم فى كيف بدأت. وبٱلوصول إلى ٱلعلم فى كيف بدأت هٰذه ٱلأيات تبطل حاجة ٱلإنسان للملـٰئكة ٱلصنعية ويتولى قلبه هو ٱلفعل فى كل شىء بما فى ذٰلك ٱلخلق من طين.

نحن أبنآء ٱلألسن ٱلشامية لا نزال نعمل ونكوّن مفاهيمنا بدليل لسان لغو ولا ندرى ٱلفرق بينه وبين ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وما نتعلمه فى بيوت ٱلتعليم وفى ٱلكتب وٱلصحف ٱلمختلفة. وما نسمعه من وسآئل نقل ٱلمعلومات ٱلصوتية. جميعه بلسان لغو.

لقد جآء فى ٱلبلاغ أن قوم ٱلرسول «ٱتخذوا هٰذا ٱلقرءان مهجورًا»:

(*) تدل على ٱلسعة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

وهجرُ ٱلقرءان هو هجر للسانه ٱلعربى ٱلمبين ٱلذى يبين لنا ٱللَّهُ ٱلمأرب من جعله عربيًّا:

﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ٢ يوسف / ٣ ٱلزخرف.

فهجرُ ٱلقرءان يسوق إلى هجرِ ٱلعقل وهو هجر للمقارنة وٱلموازنة وٱلحكم. ويظهر ذٰلك من ٱتباع قوم ٱلرسول لقول ٱلذين كفروا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ ٢٦ فصّلت.

وظهر لغوهم[١] فى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين فىَ أعمال ٱلذين ٱشتغلوا فى ٱلِّسان وفىَ أعمال ٱلشارحين وٱلمحدثين. وٱنتشرت أعمالهم بين ٱلناس ظنًّا من ٱلجميع أن أعمالهم هى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. فحرفوا كلمة «نسخ» ٱلتى تدل علىَ إرجاع ٱلشىء ذاته. وجعلوها تدل على (زال يزول وأبطل يبطل). كما حرفوا كلمة «ءاية» ٱلتى تدل على ٱلشىء بدءًا من «ٱلشهور ٱللونية»[٢] وحتى ٱلنجوم. هٰذا فى ٱلكينونة ٱلميتة. ومن ٱلفطور وٱلنبت وحتى ٱلبشر فى ٱلكينونة ٱلحية. و«ءىٌّ» للسؤال ٱلمفرّق لأية من بين ءايات موصولة ببعضها. و«أيَّما» للتفريق بين ءايتين موصولتين من ٱلدّوآبّ وٱلملـٰئكة. و«أيُّها» لتفريق جمع ءايات من ٱلبشر عن جمع ءايات بشر موصولة. إلخ.

وقام ٱلذين عملوا فى ٱلِّسان بجمع ٱلكلام ٱلعربى ٱلمبين وخلطوا فيه جميع ما توصلوٓا إليه من ٱلكلام فى ٱلسان بطوريه «شام» و«سام» وما قاله شاعر وكاهن. وكذلك فيه كلام من ألسن أجنبية تداخلت مع لسان شام وسام. وجآءت مجامعهم موافقة لطلب ٱلذين كفروا «وٱلغواْ فيه». وجعلوا كلمة «لغة» علمًا على ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وٱلكلمة تدل على ٱلباطل. وهٰذا مآ أراده «ٱلذين كفرواْ» من

---

(١) «لغو يلغو» يدل على ٱلباطل.

(٢) ٱلشهور ٱللونية هى عدة ٱلتكوين ٱلتى نرىَ أن كلمة quarks تدل عليها فى ٱلفيزياء ٱلجزئية.

طلبهم «وٱلغواْ فيه». فحّولوا «ٱلقرءان» إلى «قراءة» لغوًا. وعملت هٰذه ٱلمجامع على تعطيل ٱلوصول إلى ٱلبلاغ ٱلمبين. وعزّزت ٱنتشار مفاهيم ٱلظن وٱلتخريص ٱلتى جآء بها ٱلشرح وٱلحديث. وحوصر ٱلبلاغ بٱللغو. وعَسُرَ على ٱلناس فى جميع لسان شام وسام وغيره ٱلأخذ بٱلبلاغ ٱلمبين وٱلعمل وفق بيانه وهدايته وموعظته. ٱلذى يوصل ٱلناس جميعًا إلى ٱلأمة ٱلواحدة ذات ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين.

جميع ٱلشعوب فى ٱلأرض. بما فى ذٰلك ٱلشامية منها. تنطق بألسن تعود إلى مراحل مختلفة من تطور ٱلِّسان ٱلأدمى قبل وصوله إلى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وٱلكلمة فى جميع ٱلألسن غير كاملة ٱلبيان. وتلاوة ٱلقرءان بدليل كلمات تلك ٱلألسن لا توصل إلى ٱلبيان ٱلعربى. ويبقى ٱلذى يتلوا قاصرًا عن فهم وعقل وفقه ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين ومقارنة بلاغه مع ٱلعلوم فى كتاب ٱلكون(*).

لقد بدأ ٱلإنسان من تعلّم ٱلأسمآء كلَّها. وهو فى كل مكان على ٱلأرض من منشإٍ علمى واحد. وسبيل ٱلجميع إلى ٱلبيان وٱلخليفة هو فى عبور ٱلأطوار ٱلمعرفية وٱلعلمية ٱلبدآئية إلى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وفيه رسالة مبينة للناس جميعًا:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ١٧٠ ٱلنسآء.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

ٱلقول موجّه للناس جميعًا وليس لقوم من دون غيرهم. ورسالة ٱللَّه (ٱلقرءان) هى رسالة ٱللَّه للناس بلسان عربى مبين هو لسان للناس جميعًا إن أرادوا ٱلوصول إلى موقف ٱلخليفة ٱلذى وعى ٱلبيان وٱلهدى وٱلموعظة ٱلفعّال لما يريد. كما فى

(*) ٱلشعوب ٱلمتقدمة فى ٱلعلوم تتلوا وتدرس وتقرأ ما فى ٱلكينونة وتعقل ما ٱستخرجته من قرء مع ٱلقرءان وفق دليل لسانها ٱلمحّول إليه وفق زعم بشرح له فى لسان ٱللغة ٱلفصحى. وفى لسان ٱللغة ٱلفصحى لغو شديد يبطل فهم ٱلقرءان وتدفع أعمال ٱلعقل به إلى خارج ٱلحق حيث ٱلباطل وحده.

مثل عيسى ٱبن مريم. وٱلعودة إلى ٱلأمة ٱلواحدة ٱلتى ٱفترقوا عنها بعد تعلم ٱلأسمآء.

كلمة ٱلبلاغ (منطوقة كانت أم مسموعة) تدل على كينونة. أو تكشف عن مشابه لهآ. أو تشير إلى صفة فيهآ. أو وقت حدوثهآ. أو ٱلفعل ٱلمكون لها. ويحدث ٱلدليل بواسطة ٱقتران كلمة ٱلبلاغ مع ٱلكينونة. ويجرى ذٰلك بٱلتعليم وٱكتساب ٱلخبرة لإحداث هٰذا ٱلإقتران ٱلذى يتولد عنه ٱلتأويل بفعل ٱلدراية وبواسطة ٱلعقل بين ٱلكينونة وكلمة ٱلبلاغ. فتنشأ أفعال ٱلحفظ وٱلذكر وٱلفكر وٱلفهم وٱلفقه. ويتكون ٱستعمال ٱلدليل.

وٱكتساب ٱلدليل هو ٱلسبيل للعلم فى ٱلنطق أو ٱلخط. فعندما نتلوا مخطوطًا أو نسمعه منطوقًا بٱلصوت تجرى فىَ أفئدتنآ أفعال عقل ومطابقة بين ما نتلوا بواسطة ٱلبصر أو ٱلسمع مع ما هو مسطور ومخزون فى ٱلأفئدة. وينجم عن أفعال ٱلمطابقة عقل وفكر وفهم وفقه لهٰذا ٱلمتلو. وهنا تبرز حسية ٱلتعليم ومطابقته للحق.

فى ٱلبلاغ:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ ٱلبقرة.

وٱكتساب ٱلدليل لتلك ٱلأسمآء يجرى بٱلخبرة على معرفة ٱلأشيآء ووسم كل مِّنها بعلامة تفرقه عن غيره. وهٰذه ٱلعلامة هى ٱلصوت ٱلمنطوق أو ٱلخط ٱلمسطور ٱلذى يدل على هٰذا ٱلشىء من دون غيره. وكسب ٱلدليل يبدأ من ٱلشىء ويعود إلى بداية نشأته ٱلأولى. كما ظهر لنا فى ٱلنبأ عن خلق ءادم. فقد وكَّدَ ٱلبلاغ أن ٱلعلم بٱلنشأة ٱلأولى يأتى لاحقًا على تعلّم ٱلأسمآء:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وهٰذا يتم من خلال ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلأشيآء. ومطابقة ما ينجم عنهما مع ٱلبيان وٱلتفصيل فى بلاغ ٱلقرءان.

ونوصل من فهمنا هٰذا عن كسب ٱلدليل إلى منهاج لتعليم أطفالنا يبدأ بتعليم ٱلأسمآء حسيًّا وخطيًّا. ثم عودة إلىَ أجزآئها وٱلأفعال ٱلجارية فى نشأتها. وهٰذا ليس فى بيوت ٱلتعليم ٱلتى يبدأ ٱلتعليم فيها بعد ٱلسنة ٱلسادسة. بل فى بيوتٍ يبدأ ٱلتعليم فيها من ٱليوم ٱلأول للولادة إن لم يكن من ٱليوم للمسِّ. يجرى فيها تعليم ٱلطفل على كسب ٱلدليل تعليمًا حسيًّا ومخطوطا يقرن نطق كلمة ٱلبلاغ بٱلحق ذاته. وإِلاَّ جآء ظنًّا وتخريصًا وخالف سنَّة ٱلفطرة. وكسب ٱلدليل ظنًّا لن يقبل عند ٱللَّه:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ٨٥ ءال عمران.

«ٱلإسلام» هو خضوع ٱلأشيآء كلها لدين ٱلحقِّ ومنهاج ٱلسلام فيه. فإذا كان دليل ٱلكلمة ٱلمسطورة فى ٱلأفئدة لا يشير إلى ٱلحق فإن فهمنا لما نتلوا ونسمع هو تخريص وضياع.

لقد جآء ٱللِّسان ٱلعربى ٱلمبين إلى ٱلرسول محمد تلقيمًا فى قلبه نطقا وخطًا. وقام ٱلرسول بنشره منطوقًا فى حديثه. كما قام بتسجيله مخطوطًا مسطورًا بخط يده. فٱللِّسان ٱلعربى ٱلمبين هو حديث ٱلرسول ٱلموحىَ إليه من ربّه وٱلمنزّل على قلبه تنزيلا خطّا ونطقا. وتلاوة هٰذا ٱلخط ٱلمسطور هى تلاوة لحديث ٱلرسول ٱلذى جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ ٢٣ ٱلزمر.

وجآء ٱللغو بحديث أخر أبعد ٱلناس عن أحسن ٱلحديث. وظهر ٱللغو فى «معاجم ٱللغة» ٱلتى تكثر مفاهيم ٱلظن فيها. وأضرب مثلاً من «ٱلمعجم ٱلوسيط» فى كلمة «عَجَلَ»:

(عَجَلَ، عَجَلاً وعجلَةً: أسرع، وسبق. أَعجلت البقرة: صارت ذات عجلٍ. وأعجلت الحامل: وضعت وليدها لغير تمامٍ. وأعجلَ فلاناً: استحثه، سبقه.

عَجَّلَ للضّيف: قدَّم له العُجَالة. العِجْلُ: ولد البقرة. العِجْلَةُ: العُجالَةُ. العَجَلَةُ: السرعة، طوقٌ أو قرصٌ قابل للدوران. المِعجالُ من الحوامل: التي تضع وَلَدَها قبل أَوانه، مختصر الطريق. المُعَجَّلُ: المقدَّم ومنه مُعجَّلُ الصَّداق: ما يدفع من المهر عند عقد النكاح).

دلّت كلمة «عَجَلَ» فى «ٱلمعجم» على مفاهيم مختلفة مثل ٱلسرعة وٱلسبق وولادة ٱلبقرة ذكرًا وإسقاط ٱلولد وٱلحثُّ وٱلضيافة ٱلسريعة وولد ٱلبقرة ٱلذكر وٱلطوق أو ٱلقرص ٱلقابل للدوران وٱلدفع ٱلمقدم.

وأرجع بٱلكلمة إلى ٱلبلاغ وأبدأ بٱلتوجيه ٱلتالى:

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ ٣٥ ٱلأحقاف.

ويظهر من هٰذا ٱلتوجيه أن «عَجَلَ» تدل على نقيض «صبر». ويتابع ٱلتوجيه بيانه أن ٱلفعل «عَجَلَ» يمنع ٱلإنسان من ٱلوصول إلى فهم وفقه أى مسألة:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ ١١٤ طه.

فى ٱلتوجيه نهىٌ «ولا تعجل» يظهر منه أن تحقق ٱلقضى يأتى بٱلصبر وٱلانتظار. وهٰذا نقيض «عَجَلَ». وأفهم من ٱلتوجيه أن ٱلمستعجل ينجم عن نقص صبره «عِجلٌ».

وأتابع ٱلتفصيل مع ٱلبلاغ:

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٣٧ ٱلأنبياء.

«من عَجَلٍ» هو عن خلق ٱلإنسان. وهو ٱلبشر ٱلذى تعلّم ٱلأسماء كلّها فصار ءَادمًا. وهٰذا يحدث بدءًا من ٱلولادة وحتى ٱلسنوات ٱلأولى من حياة ٱلطفل.(*) وهى ٱلفترة ٱلتى يتعلم فيها تسطير وخزن وذكر ٱلأسماء ٱلمحسوسة سمعًا وبصرًا. وهٰذا ٱلإنسان ٱلذى «خُلِق من عَجَلٍ» (هى فترة طفولته ٱلأولى) مطلوب منّه أن

(*) ٱلطفل فى هذه ٱلفترة من حياته قليل ٱلصَّبر ويلحف فى ٱلسؤال ويطلب جوابًا سريعًا.

يصبر فى رؤية ٱلأيات ولا يستعجل فىَ أحكامه قبل أن يقضىَ إليه كيف بدأ ٱلخلق. وهٰذا ما يجب أن يُعلمَّ عليه.

فكلمة «بشر» لا تدل علىَ «إنسان». كمآ أن كلمة «طين» لا تدل على «بشر». فٱلإنسان أصله بشر. كمآ أن أصل ٱلبشر هو طين. وكلمة «إنسان» تدل على بشر تعلم ٱلأسمآء كلها. وهو كينونة حية تعمل وفق جدلية «حليم أَوّاه/ أواه حليم». وهى صفة أساس فى تكوين «ملة إبرٰهيم» كما يظهر ٱلبلاغ:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ ٧٥ هود.

وفى هذا ٱلبلاغ فإنّ ٱلحلم ٱلذى يدل على ٱلصبر وٱلعزم يسبق ٱلتأوّه ٱلذى يدل على خور ٱلإرادة ونقص ٱلصبر بسبب ٱلعجلة. ونرى ٱلتناوب فى هاتين ٱلصفتين:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ ١١٤ ٱلتوبة.

وفيه سبق ٱلتأوّه ٱلحلم. وهذا يبيّن جدلية «حليم أوّاه/ أوّاه حليم» تحكم سلوك ٱلإنسان ٱلناظر وٱلباحث فىَ ءَايات ٱلوجود. وهو يسقط فى نقص ٱلقضى وٱلخطأ فيه بسبب ٱلعجلة. وهذا يعود إلى ٱلعزم وٱلصبر وٱلانتظار حتى يُقضىَ إليه ٱلصَّواب فى ٱلأمر. وٱلإنسان ٱلذى يقضى بٱلتناوب ٱلجدلى «أوّاه حليم/ حليم أوّاه» إلىَ أن يصل إلى ٱلبيان ٱلتفصيلى تكبر فى مسطورات قلبه أقضية «حليم» وتنقص منه أقضية «أوّاه» ويوصل إلى موقف «فعّال لما يريد» ويتجنب مقت ٱللَّه.

لقد فصّل بلاغ ٱلقرءان فى مسألة خلق ٱلإنسان بدءًا من طين فجآء فيه:

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٧ ٱلسجدة.

وهٰذا ٱلخلق بدأ بـ «نسمة حياة» وتتابع فىَ أطوار متعدد:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح.

فٱلأمر ٱلإلـٰهى «فلا تستعجلون» موجّه لٍّإنسان عبر جميع ٱلأطوار بدءًا مِّن

طين[1] فىَ أَجالٍ طويلة. جآء بعدها خلقه إنسانا «من عَجلٍ». وهو وقت نفخ ٱلروح فى قلبه. وطلب منه ٱلصبر وٱلعزم وهو ينظر ويبحث. وجآء تغليب ٱلحلم على ٱلتأوّه فى ٱلنظر وٱلقضى:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ١١٤ طه.

فٱلذى يستعجل يوقع فى ٱلكفر وٱلعصيان:

﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ ٩٣ ٱلبقرة.

وهؤلآء سمعوا ٱلتوجيه «فلا تستعجلون» و «ولا تعجل بٱلقرءان قبل أن يُقضىٓ إليك وحيه» ثم عصوا ذٰلك فأشربت قلوبهم بٱلاستعجال ونقص ٱلصبر فلا ٱنتظار ولا عزم لديهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم محكومة بٱلتأوّه وما ينجم عنها هو «عِجلٌ».

فكلمة «عِجل» لا تدل على ولد ذكر للبقرة. بل هو كل أمر أو شئ ينشأ من «قبل أن يُقضىٓ إليك وحيه». وحال قول ٱلذين «أُشربواْ فى قلوبهم ٱلعِجل» هو «هات من ٱلأخر». فهم لا يستطيعون صبرًا ويطلبون ٱلأمر من أخره.

ونجد مثل هٰذا ٱلموقف عند قوم موسى:

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ٥١ ٱلبقرة.

لم يصبروٓا إلىَ أن يعود موسى. وٱستعجلوٓا أمرهم قبل عودته. وظنّوٓا أنّهم أدركوا مأربه فبادروا مستعجلين وصنعوا جسدًا[*] تمثالاً ظنوه أنه إلٰه موسى.

ويبين ٱلبلاغ ما فعلوه:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ ١٤٨ ٱلأعراف.

---

(١) راجع كتابنا ٱلاستنساخ مدخل إلى ٱلبحث.

(*) ٱلجسد هو ٱلكينونة ٱلميتة وٱلجسم هو ٱلكينونة ٱلحية.

ويظهر ٱلبلاغ غفلة هؤلآء عن ٱلحق «أَلم يَرَوا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً».

«عجلاً جسدًا» تدل علىَ أن ٱلجسد ٱلذى جآء به نقص ٱلصبر على ٱلانتظار هو «عِجلٌ» ولا تدل علىَ أنّه بقر أو يشبه ٱلبقر. لأن ما ينجم عن «عَجَلَ» هو «عِجلٌ» وليس «بقرٌ». سوآءٌ ءَكان ذٰلك فى ٱلقول أم فى ٱلتجسيد.

ويبين ٱلبلاغ موقف ٱلمستعجل:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ٢٧ ٱلإنسان.

فٱلذين «يحبّون ٱلعاجِلَةَ» ينجم عن حبِّهم «عجولٌ».

ويزيد ٱلبيان فى دليل «عجل» علىَ أنه نقص ٱلصبر:

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ ٦٩ هود.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ / ٢٥/ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ / ٢٦/ ﴾ ٱلذاريات.

ويظهر من ٱلبلاغين أن إبرٰهيم جآء بطعام عِجلٍ لضيوفه قبل ٱلسؤال عن مأربهم من ٱلزيارة. بل حتى قبل أن يتعرف عليهم فهم «منكرون» بٱلنسبة له ولا يعرفهم.

وجآء وصف ٱلطعام ٱلعجل فى ٱلبلاغين بصفتين. «حنيذ» وتدل على ٱلجفاف ٱلشديد. و«سمين» تدل على كثرة ٱللحم وٱلشحم فى ٱلجسم. وكلمة «عِجلٍ» فى ٱلبلاغين تدل على ٱلطعام ٱلذىَ أحضره إبرٰهيم على عَجَلٍ. ويقوى ٱلدليل لأن ٱلطعام ٱلجافّ قد يكون لحمًا مُجفَّفًا أو طعامًا سمينًا أخر كٱلألبان ٱلمجففة. ولا تدل كلمة «عجل» فى ٱلبلاغين ولا فى ٱلبلاغات ٱلتى سبق ورودها هنا على ولد ذكر للبقرة كما جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط وكذٰلك فى تفاسير ٱلشارحين[1]. وٱلأطعمة ٱلمجففة جاهزة للأكل من دون طول ٱنتظار وحقُّهآ أن تكون عجلاً.

---

(١) ٱبن كثير ومن أورد رأيه فى كتابه «تفسير القرءان العظيم».

لقد دلت كلمة «عجل» فى ٱلمعجم ٱلوسيط علىَ أشيآء حقٍّ (كٱلولادة قبل ٱلأوان وٱلعجالة). إلاَّ أنها دلت علىَ أشيآء لَّيست من ٱلحقّ (ولد ٱلبقرة وصارت ذات عجل). ولم تدل على نقص ٱلصبر ٱلذى ظهر فى جميع ٱلبلاغات.

كما جآءت فيه كلمة «ٱلعِجْلة» لتدل على «ٱلعُجالة» فى حين أن بنآءها فى ٱلمعجم يدل علىَ أنثى «ٱلعِجْل» ٱلذى جآء عنه فى ٱلمعجم أنه (ولد ٱلبقرة). وبنآؤها يجعل حقّهآ أن تكون بنتًا للبقرة لغوًا يناسب ٱللغو ٱلذى جآء فيه.

يصنع ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين جميع ٱلكلام بما ينفطر من منهاج «وعلّم ءادم ٱلأسمآء كلها» وبما تلقىٰه ءادم وبما جآء من مناهج فى جميع ٱلأطوار ٱلتى عبرها ٱلّسان ٱلأدمى وصولا إلى كمالها بتنزيل ٱلقرءان. وفيه كلام مصطفى من ٱلأطوار ٱلتى سبقت وكلام جديد بديل لِّكلام تُرك ونُسىَ.

ولكى نخلّص أنفسنا من ٱللغو فإن ٱلمجامع ٱلّسانية يجب قسمتها إلى قسمين:

ٱلأول جامع ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين وهو كلام ٱلقرءان حصرًا ودليل ٱلكلمة فيه يستنبط من ٱلبلاغ ذاته.

وٱلثانى جامع ٱلألسن ٱلشامية قبل ٱلعربى وفيه كلام فطرة جميع ٱلأميين من شعوب ٱلشام. وٱلمأرب منه معرفة دليل ٱلكلمة فى هٰذه ٱلألسن وٱلأطوار ٱلتى عبرتها وأصول وقرابة ألسن ٱلأمم ٱلأخرى مع ٱلأصل ٱلشامى.

ٱلمأرب من هٰذا ٱلبحث هو بيان أثر ٱلكلمة ودليلها فى صناعة ٱلمفاهيم عند ٱلناس ٱلذين تُبنى مواقفهم عليها. وبيان للحاجة إلى جامع لكلام ٱلقرءان يعتمد فى ٱلكشف عن دليل ٱلكلمة كما هو فى لسان ٱلأميين ٱلشاميين وعلى ترتيل ٱلبلاغات ٱلتى ترد فيها ٱلكلمة ٱلمراد بيان دليلها. وأى تلاوة تستند إلى دليل ظنىّ جآء به ٱللغو ينجم عنها لغو. وٱلسؤال بدليل ٱللغو يأتى ٱلجواب عليه لغوًا. وإن وجود جامع لِّلّسان ٱلعربى ٱلمبين بدليل ٱلبلاغ ٱلمرتل يساعد فى تحويل ٱلبلاغ

إلى ٱلألسن ٱلأخرى ومنها «ٱللغة ٱلفصحى». وهٰذا يساعد أصحاب هٰذه ٱلألسن على فهم ٱلبلاغ وٱلعلم أن ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين هو ٱلّسان ٱلذى عليهم أن يتقنوا ٱستعماله ويتركوا لسانهم ٱلقومى وٱلطآئفى ٱللاغى وٱلذى يعود إلىَ أطوار لغو فىَ أطوار فهم ٱلناس للسان ٱلوحى عبر أطواره. ويكون ذٰلك أوَّل ٱلسبيل إلى تكوّن ٱلأمة ٱلواحدة بلسان عربى مُّبين. وسأحاول فى ٱلبحوث ٱلتالية بيان تأثير ٱللغة ٱلفصحى وهى لسان قوم وطآئفة من طوآئف ٱلشاميين فى تحويل ٱلبلاغ إليها وفق دليل كلمة ٱللغو ٱلذى تمثله.

ٱلأسٰطير

جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط:

[سَطَر الكتاب: كتبه. وسطر فلاناً: صرعه. وسطر الشيء بالسيف: قطعه. أَسْطَرَ الشيء: أخطأ في قراءته. وسطَّر الكتاب: سَطَره. وسطَّر الورقة: رسم فيها خطوطاً بالمسطرة. وسطَّر العبارة: أَلَّفَها. ويقال سطَّر الأكاذيب وسطَّر علينا: قصَّ علينا الأساطير. الأساطير: الأباطيل والأحاديث العجيبة. وفي التنزيل: (إنْ هذا إلا أساطير الأوّلين)، واحدُها إسطارٌ، وإسطيرٌ، وأُسطورٌ، وبالهاء في الثلاثة. السَّاطر: القصّاب. والسَّاطور: سيف القصّاب. وسكين عريض ثقيل ذو حدٍّ واحد يكسر به العظم. السَّطر: الصَّف من كل شيء. يقال سطرٌ من الكتابة وسطر من الشجر (ج) سطرٌ وسطورٌ وأسطارٌ (جمع أساطير)].

دليل كلمة «أسٰطير» من دليل ٱلفعل «سَطَرَ». ونرتل ٱلبلاغات ٱلتى وردت فيها لنفهم ٱلدليل:

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ ١ ٱلقلم.

﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ /٢/ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ /٣/﴾ ٱلطور.

﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ ٥٨ ٱلإسرآء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ٢٥ ٱلأنعام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٢٤ ٱلنحل.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ٣١ ٱلأنفال.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ /٦٧/ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ /٦٨/﴾ ٱلنمل.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٧ ٱلأحقاف.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا /٤/ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا /٥/﴾ ٱلفرقان.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ١٣ ٱلمطففين.

يظهر فى ٱلبلاغ ٥٨ ٱلإسرآء دليل ٱلتسجيل ٱلمصفوف وٱلمخزون فى ٱلكتاب. وتدلنا كلمة «مسطورٍ» فى ٱلبلاغ ٢ ٱلطور على صفوف كلمات ٱلكتاب. وفى ٱلبلاغات ٱلأخرى تدلنا «أسٰطير ٱلأولين» على ما سّطره ٱلأوَّلون وسجلوه فى مخطوطات تتعلق بما جآء فى ٱلرسالات ٱلسابقة وعلى ٱلأخص ٱلوعد ٱلمتعلق بٱلخروج بعد ٱلموت.

وفى جميع ٱلبلاغات قآئل «إن هٰذآ إلآ أسٰطير ٱلأوَّلين» هم «ٱلَّذين كفروآ». فى جدالهم مع ٱلرسول وعند تلاوة ٱلأيات عليهم وفى جوابهم على سؤال «ماذآ أنزل ربّكم» وفى ٱستنكارهم للخروج من بعد ٱلموت.

وفى وصفهم لما ينشره ٱلرسول من بلاغ بقولهم «إن هٰذآ إلآ أسٰطير ٱلأولين» يدل علىٓ أنهم يعلمون بوجود مثل هٰذه ٱلبلاغات وٱلإنذارات ٱلمسطورة فى مخطوطات رسالات سابقة كٱلتورىٰة وٱلإنجيل. ولأنهم كافرون فهم لا يصدقون ٱلبلاغ وحجتهم فى تكذيبهم أن ٱلوعد بٱلخروج لم يحدث مع أبآئهم فكيف

يصدِّقون ذات ٱلبلاغ وٱلإنذار. وهؤلآء يستعجلون ٱلوعد وأحكامهم وأقوالهم يحكمها ٱلتأوّه ونقص ٱلصبر.

فكلمة «أَسـٰطير» تدل عند ٱلكافرين على قول كاذب. وتكذيبهم لقول أساطير ٱلأوَّلين يدفعهم لتكذيب ما يُتلى عليهم من ءايات. وما جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط يوافق ما قاله ٱلكافرون بل هو قولهم ذاته (الأساطير: الأباطيل والأحاديث العجيبة، وسطّر الأكاذيب، وسطّر علينا: قصَّ علينا الأساطير).

ولآ أدرى كيف فهم أصحاب ٱلمعجم قول ٱلكافرين «إن هٰذآ إلآَّ أسـٰطير ٱلأولين» حتى جآءوا به شاهدًا على قولهم (الأساطير: الأباطيل والأحاديث العجيبة).

لقد عَلَقَ ٱلكذب بكلمة أسـٰطير وسار جميع ٱلمتعلمين على طريق ٱلكافرين ولم يتكّلف أحدهم ٱلنظر فى بلاغ ٱلقرءان.

ويوكّد ٱلبلاغ على ما تدل عليه كلمة «أسـٰطير» من صَفّ وتسجيل وخزن للمعلومات فى كتب مسطورة سوآء ءكان ذٰلك فى كلمات ٱلحقّ أم فى كلمات ٱلبلاغ:

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ ٥٣ ٱلقمر.

فما فعله لغو ٱلكافرين ومن سار على سبيلهم أبعد ٱلنَّاس عن ٱلبلاغ ٱلمسطور «فى رَقٍّ مَّنشور». وٱستخفوا به بزعم أن ما فيه (أباطيل وأحاديث عجيبة).

وبٱلكشف عن ٱلدليل ٱلحقّ لكلمة «أسـٰطير» يفتح ٱلسبيل أمام ٱلبلاغ ليعود إلى ٱلانتشار وٱلدعوة بلسان عربى مبين. كما يفتح ٱلسبيل أمام إصلاح ٱلأحكام ٱلمستعجلة ناقصة ٱلدراية ٱلتى تمتد إلى ٱلحكم على ٱلرسالات ٱلإلـٰهية.

لقد هاجرت كلمة «سطر» ٱلشامية ٱلأصل (ٱلمنسوخة فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين) إلى ٱلّسان ٱلانكليزى كما هاجرت كلمة Earth وما جآء فى ٱلمورد من ٱلّسان ٱلانكليزى وتحويله إلى لِسان ٱللغة ٱلفصحى يبيّن أصل ٱلكلمة:

(Store : مخزن. يخزن، يزوّد بـ.

Storey : طابق (من مبنى)، دور، حكاية، قصة.

Storied : مزيّـن برسوم تمثل موضوعات تاريخية أو أسطورية، ذو طوابق أو أدوار.

Storiette : الأقصوصة. قصة قصيرة جدا.

History : قصة، حكاية، سجل كرونولوجي للأحداث الهامة مؤلف في التاريخ، بيان بالماضي الطبي لمريض. التاريخ: الأحداث الماضية.

Historicity : التاريخية: كون الشيء تاريخياً «غير أسطوري»).

وبٱلمقارنة بين كلمة «سطر» وكلمة Store ٱلانكليزية يظهر تماثل ٱلنطق ٱلصوتى للكلمتين وقرابة فى ٱلدليل بينهما على ٱلخزن وعلى ٱلقصة ٱلقصيرة جدًا Storiette ٱلتى يوافق نطقها هى ٱلأخرى لكلمة «أسطورة». وٱلتى لا تدل إلا على معلومات مسطورة فى سجل صغير مثل ٱلزبر وٱلأمثال. وأنَّ نطقها يتبع سنَّة ٱلتصغير فى ٱلألسن ٱلشامية Storiette تصغير لـ Storey. وٱلكلمتان تدل كلٌّ مِّنهما على ٱلخزن وفـق صفوف على ٱلتسلسل. وهٰذا ما تدل عليه ٱلكلمة فى ٱلألسن ٱلشامية بما فى ذٰلك ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين.

ما ورد فى ٱلمورد من تحويل لكلمة Storied إلى ٱلقول (مزين برسوم تمثل موضوعات تاريخية أو أسطورية) وكذٰلك تحويل لكلمة Historicity إلى ٱلقول (التاريخية: كون الشيء تاريخياً «غير أسطوري») يتبع ما ٱستقر عند ٱلمحول من أن ٱلأسطورة (أباطيل وأحاديث عجيبة، أو أنها قصة مفتراة غير حقيقية، وتزيينها بحيث تكون قابلة للتصديق أو إكساء ألوان من البطولة الخارقة لشخصية محددة)[1].

وفى تحويل ٱلكلمتين تناقض. فقد ٱعتمد أصحاب ٱلمعجم ٱلوسيط ومن

---

(١) ٱلمورد/ منير ٱلبعلبكي/ دار ٱلعلم للملايين ١٩٧٨.

سبقهم فى وضع ٱلمعاجم وكذٰلك صاحب ٱلمورد على موقف «ٱلذين كفرواْ».
وهم ٱلذين قالوا عن ٱلرسالات ٱلإلـٰهية جميعها (بما فى ذٰلك ٱلقرءان) «إن هٰذآ إلاَّ أسـٰطير ٱلأولين». قالوا هٰذا كذبٌ. وجآء أصحاب ٱلمعاجم من بعد ذٰلك ليقولوا مثل قولهم. وهٰذا ٱللغو فى ٱلدليل يسوق إلى لغو فى ٱلتحويل من ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين إلى لسان أخر أو بٱلوجهة ٱلأخرى. وإنَّ نقل ٱلمفاهيم بين ٱلألسن يجرى ٱليوم بوسيلة ٱللغة ومفاهيمها.

وأضرب مثلاً فى تحويل كلمة Myth من ٱلِّسان ٱلانكليزى إلى ٱللغة بكلمة «أسطورة». فى حين أن ٱلكلمة ٱلانكليزية تدل على ٱلخيال وٱلافترآء.

وكذٰلك فى كلمة Fable ٱلتى تدل على ٱلقصة ٱلتى تتلى بواسطة دوآبٍّ كما هى فى قصص ٱبن ٱلمقفع. وقد حولتها ٱللغة ٱلفصحى لتدل علىَ «أسطورة» هى ٱلأخرى.

وهكذا نجد أن كلمة «أسطورة» تدل عند ٱلجميع ٱلذين كفروا وٱلذين عملوا فى ٱلِّسان على ٱلكذب وٱلافترآء وٱلخيال ٱلكاذب وكل أمر لَّيس من ٱلحقِّ. وتحويل «أسـٰطير ٱلأوّلين» إلىَ ألسـنة أخرى ستدل علىَ أكاذيبهم وٱفترآءاتهم وخيالاتهم ٱلكاذبة. وهٰذا نقيض لِّلحقّ ٱلذى تدل عليه.

كمآ أن أعمال ٱلتحويل ٱلجارية للقرءان إلىَ ألسن أخرى جميعها كتبٌ لغوٌ تعمل على نشر ٱلباطل بدلاً مِّنَ ٱلحقّ ٱلمسطور فى ٱلبلاغ ٱلعربىّ. لأنها تعتمد فى تحويلها على معاجم ٱللغة ٱلتى جعلت كلمة «سَنة» فى باب ٱلفعل «سَنَهَ» ٱلذى يدل على تغيّر رائحة وطعم ٱلجسم ٱلحىّ بعد موته. أما كلمة «سَنَة» فتدل على مقدار جريان ٱلأرض حول نفسها وحول ٱلشمس فى فترة ٣٦٥ يومًا. ومن دليل ٱلفعل «سَنَّ» وهو ٱلجريان وٱلقطع تأخذ دليلها.

فكل تحويل بوسآئل ٱللغة يأتى لغوًا.

ويظهر لغو ٱللغة فى ٱسم «ٱلمعجم» وهو من دليل ٱلفعل «عَجَمَ». ونتلوا ما جآء عنه فى ٱلمعجم ٱلوسيط:

[عجم الحَرْفَ والكتاب عجماً: أزال إبهامَهُ بالنَّقْطِ والشكل. وعجم الشيءَ: عضَّهُ ليعلم صلابته من رخاوته، ويقال عَجَمَ فلاناً، وعَجَمَ عودَهُ: امتحنه واختبره، وعَجَمَت الأمور فلاناً: درَّبَتْهُ. وما عَجَمَتْكَ عيني منذ كذا: ما رأَتْك. وجعلت عيني تعْجُمُهُ: تنظر إليه ويُخيَّلُ إليها أَنَّها رأَتْهُ من قبل].

كلمة «عَجَمَ» فى هٰذه ٱلسطور تدل على ٱلاختبار وٱلتعليم وٱلرؤية وٱلنظر وإزالة ٱلابهام عن مبهم. وفى سطور أخرى من «ٱلمعجم ٱلوسيط» ما يخالف ٱلدليل فى ٱلسطور ٱلسابقة:

[عَجُمَ فلانٌ: كان في لسانه لَكْنَةٌ. ويقال كذلك: عَجَمَ الكلامُ: إذا لم يكن فصيحاً. أَعَجَمَ الكلامَ: أَبهَمَهُ وذهب به إلى العُجْمَةِ: خلاف أَعربه. أَعَجَم الكتاب: عَجَمَهُ. تَعاجَمَ فلانٌ: كَنَى ووَرَّى ولم يفصح بمرادِه. استعجم: سكت. يقال: سألته فاستعجم، واستعجم الكلام عليه: خَفِيَ واستبهم. الأعجم: الأخرس. العجماء: البهيمة. المُعْجَمُ: ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم].

وتدل ٱلكلمة فى هٰذه ٱلسطور على عُسرٍ فى ٱلنطق وٱلإبهام وٱلبكم وٱلخفآء. كما تدل على كل كآئن حىّ غير عاقل «بهيم».

أمَّا فى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين فتدل كلمة «عجم» على ٱلمبهم وٱلخفى وٱلمغلق وٱلصعب. ونقيضها فى كلمة «عَرَبَ» ٱلتى تدل على ٱلفصح وٱلكشف وٱلظهور وٱلصفى وٱليُسر. وما ورد فى سطور «ٱلمعجم ٱلوسيط» من مفاهيم تناقض بعضها فيما تدل عليه ٱلكلمة وتجعل ما فيه لغوًا يوقع ٱلناس فى ٱلباطل إلىَ أن يعودوٓا إلى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين ويتبيَّنوا منه ٱلحقّ.

أما قول ٱلمعجم عن «ٱلمعجم» أنه «ديوان لمفردات اللغة» فهو قول صواب يوافق ما فيه من لغوٍ يبهم ويخفى ٱلحقّ. وما فيه لغةٌ نَّجمت عن ٱللغو ٱلذى جآء فى طلب ٱلذين كفروا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وقالوا عمّا جآء فيه وفى ٱلرسالات ٱلسابقة «إن هٰذآ إلاّ أسٰطير ٱلأوّلين».
فما هو محمول ٱلقول ٱلذى يحوّل دليل ٱلكلمة ٱلعربية بوسآئل ٱللغة؟

نشأت مسطورات لسانية قديمة بدءًا مّن قيام ٱلسلطة ٱلعباسية ٱلتى دامت خمسة قرون (١٣٢/ ٦٥٦ للهجرة) وجميعها ٱزدحمت بٱللغة. وجآء «ٱلمعجم ٱلوسيط» عام ١٩٦٠ ليؤسس كتابًا أساسه هٰذه ٱلمسطورات. وأضاف عليها كلامًا مّنقولاً من ألسن أخرى بزعم أن ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين لا يوجد فيه كلام يدل عليها. وٱلذى يتلوا فى كتب «ٱلعين وٱلصحاح وٱلبارع وتهذيب ٱللغة وجمهرة ٱللغة ومقاييس ٱللغة ولسان ٱلعرب وٱلقاموس ٱلمحيط وتاج ٱلعروس ومحيط ٱلمحيط» يرى أنّها جميعها تشترك بمنهاج واحد هو حشر ٱلشعر وٱلأمثال من مختلف ٱلألسن ٱلشامية. وكذلك كلام ٱلبدو فى بادية ٱلحجاز وغيرها من ٱلمناطق ٱلبدوية. وكلام ٱلمحدّثين ٱلذين ساقوا ٱلأحاديث وزعموٓا أنها حديث للرسول. ومنه كلام من لسان فارسىّ وأوردىّ وتركىّ وحشروا كلَّ هذا مع كلام ومفاهيم ٱلقرءان ٱلموحى ٱلذى يمثل بمفرده ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين. وهو «أحسن ٱلحديث» وقد بين ٱلبلاغ تفريقه عن لسان ٱلبشر ومفهومه:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣ ٱلنحل.

فٱلّسان ٱلموحى عربىٌّ مُّبين من صناعة ٱلمُوحى ٱلعليم وهو منهاج يخلوا من لغو مفاهيم ٱلناس. أما لسان ٱلبشر فهوَ أعجمىٌّ لأنَّه مفاهيم ٱلناس وهم لا يستطيعون ٱلبيان وٱلتبيان لكلّ شىء.

كذٰلك هى ٱلكتب ٱلجديدة ٱلتى عمل فيهآ أصحابها على تسطير ٱلكلام بزعم أنّه عربى مثل «محيط ٱلمحيط وأقرب ٱلموارد وٱلبستان وٱلمنجد ومعجم متن ٱللغة وٱلمعجم ٱلوسيط» وجميعهم ساروا فيها على سبيل ٱلسابقين مع زيادة فى ٱلكلام ٱلمنقول من ألسن أخرى. فجآءت هٰذه ٱلمسطورات بٱللغو فى ٱلّسان وٱلعسر فى ٱلبيان. وكان لهؤلآء أن يفعلوا ما فعل أمثالهم فى ٱلّسان ٱلانكليزى وٱلفرنسى

حيث جمعوا ٱلكلام وأشاروٓا أمام كل كلمة إلىٓ أىّ لسان تعود. وهٰذه ٱلمسطورات تفعل فى صناعة ٱلمفاهيم ٱلمختلفة وٱلباطلة عند تحويل ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين بوسآئل مفاهيمها.

كما نجم عن هٰذا ٱللغو فى ٱلّسان أحزاب وجماعات دينية مختلفة ومتخالفة فى قولها عن ٱلبلاغ. وسارت هٰذه ٱلأحزاب وٱلجماعات على طريق نزاع وحرب فيما بينها. وكل منها يلجأ إلى محدثين يطلب إظهار دليل للبلاغ يوافق توجّهه. فكيف سيكون ٱلأثر فى ٱلمجتمعات ٱلأجنبية ٱلتى يحوّل ٱلّسان ٱلعربى إلى لسانها بوسآئل مفاهيم ٱللغة؟

إن ٱلقرءان يهدى «للتى هى أقوم» وصيرورة ٱلإنسان خليفة تتوقف على تلك ٱلهداية ٱلسآئرة فى سبيل «فٱنظرواْ كيف بدأ ٱلخلق». ومثل هٰذا ٱلإنسان لا يحقق وجوده فى وسط مفاهيم ٱللغو أو فى وسط جماعة أو حزب. بل هو فرد كما يبيّن ٱلبلاغ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدّثر.

﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ٢١ ٱلطور.

ويوكّد ٱلنبأ على ٱلفرد فى ٱلكسب فى كل ٱلبلاغات:

﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ٨٠ مريم.

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥ مريم.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ٩٤ ٱلأنعام.

كمآ أن حزب ٱللّه هم أولٓئك ٱلأفراد ٱلذين يكتسب كل منهم ما يوصله إلى موقف ٱلخليفة ويزكو كلٌّ مِّنهم بأقواله وأفعاله بعد ٱمتلآء قلبه بٱلروح ٱلقدس وٱلطاعة ٱلكاملة للبلاغ ٱلعربى.

وبلاغ ٱلقرءان موجّه للناس جميعًا. لكل فرد منهم إلى قيام ٱلساعة. وقد فعلت هٰذه ٱلمسطورات ٱلّسانية ٱللاغية فى تعطيل ٱنتشاره وبيانه حتى ٱليوم. وما

يعرف ٱليوم بٱلعولمة أحوج إلى بيان ٱلرسالة ٱلعربية وهدايتها وقد جآء فى ٱلبلاغ عنها:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

وما يقدّم ٱليوم كمنهاج للناس فى ٱلأرض يغلب عليه مفهوم ٱلنفع ٱلشهوانى ٱلإبليسىّ ويطغى ٱلإنفاق ٱلإستهلاكى بكل ألوانه. ونجد ٱلأحزاب ٱلتى تزعم أنها ٱلإسلام قاصرة وضعيفة أمام هٰذا ٱلمنهاج ٱلشهوانى. وسبب ذٰلك هجرها للقرءان وإتباعها لتشريعات ومفاهيم وضعهآ أفراد وفق دليل لسان كلٍّ مِّنهم بعيدًا عن دليل ٱلِّسان ٱلمبين. وقد وقفت هٰذه ٱلأحزاب لتعارض أطفال ٱلأنابيب ثم لتعارض ٱلإستنساخ ثم لتعارض ألوان ٱلعلوم ٱلتى تصدر عن ٱلغرب. وهى ترجمه بتهم متعددة أولها تهمة ٱلكفر. وكأنِّىَ أرىَ أنها تقول أنَّ ٱللَّه ودينه حكرًا لَّها ولمفهومها. ونجدها دآئمًا فى موقف ٱلمعارض لأى تطور فى ٱلمفاهيم وٱلعلوم. وقد عارضت نظرية ٱلتطور منذ ٱلبداية وما زالت تعارضهآ إلى ٱليوم. وتمسكت بقصة مفترىٰة عن خلق ءادم وأنكرت تفصيل ٱلخلق ٱلذى جآء فى ٱلقرءان. وهى ٱليوم غارقة بمسآئل مثل غطآء رأس ٱلمرأة وٱختلاطها مع ٱلرجل وعملها فى ٱلسياسة وتعدد ٱلزوجات وٱلزواج من أحزاب أخرى وفى ذاكرتها لآ أثر للأمر:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وكذٰلك ٱلتوجيه[١]:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ٥ ٱلمائدة.

---

(١) بحث «زواج ٱلمؤمنين» كتاب «ٱلدين خرافة أم علم».

لقد وكّد ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلتطورَ قبل نظرية ٱلتطور:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ نوح.

وبيّن تسلسل ٱلتطور فى ٱلأنبآء ٱلتالية:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبيآء.

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ نوح.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ ٥٤ ٱلفرقان.

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ ٧ ٱلسَّجْدَة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ ١٢ ٱلمؤمنون.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ٦ ٱلزمر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ ٢ ٱلأنعام.

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ﴾ ٥ ٱلحج.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ ٦ ٱلزمر.

هذا ٱلأمر كنت قد تناولته فى كتاب «ٱلاستنساخ»[1] ولآ أريد ٱلإطالة فيه. وأتابع قولىَ أنَّ ٱلقرءان هو رسالة ٱللَّه إلى ٱلناس جميعًا. وإنَّ ٱحتكاره من قبل فئة من ٱلنَّاس يخالف ٱلبلاغ (١٥٨ ٱلأعراف). وفى ٱدعآء ٱلاحتكار محاربة للإرادة ٱلإلٰهية. وكفر بتوجُّه ٱلرسالة وكفر بحقِّ ٱلمرسل إليهم فى ٱلأرض كلها فردًا فردًا فىَ أن يظهر كل مِّنهم موقفه من ٱلبلاغ سندًا إلى ما ٱكتسبه. وهو ما سيحاسبه ٱللَّه عليه بمفرده من دون أحزاب. ولذلك على ٱلفرد أن يوصل بنفسه إلى ٱلعلم أن ٱلدين عند ٱللَّه ٱلإسلام وأنّ رسالة ٱللَّه موجهة للناس جميعًا. وفى تلاوته للرسالة

(١) كتابنا «ٱلاستنساخ» مدخل إلى ٱلبحث.

وٱلصبر عليها حتى يُقضى إليه ما فيها يفتح أمام نفسه ٱلسبيل إلى ٱلدين ٱلقيِّم ومنه إلى موقف ٱلخليفة.

لقد أنزل ٱللَّه رسالته على قلب محمد وثبت بها فؤاده. وكان ذٰلك تلقيمًا وتجريعًا للقلب بٱلقرءان مستطرًا فيه.

وكما نعلم إلى ٱليوم فإن ٱلإنسان يسطِّر ٱلمعلومات بواسطة ٱلسمع وٱلبصر وٱلتعلم على ٱكتساب ٱلخبرة حسيًّا. وبيّن ٱلبلاغ أنَّه يمكن تسطير ٱلمعلومات فى ٱلقلب بواسطة ٱلتلقيم بٱلوحى كما جرى مع ٱلرسول محمد. ولنا أن نسأل ونبحث لنعلم كيف جرى ذٰلك.

وٱختار ٱللَّه لهٰذه ٱلأية رجلاً لم يسبق له أن شارك فىَ أىّ مسألة علم. بل كان قد نشأ وكبر فى دآئرة متأخرة عن دآئرة وٱلديه وعـاش يتيمـًا. وٱلبلاغ يوكّد ذٰلك:

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ ٦ ٱلضحى.

لقد ءاوَتهُ ٱمرأتٌ مُرضعةٌ (حليمة ٱلسعدية). فنشأ فى حضانتها وفى مجتمعها ٱلمتأخر كثيرًا عن مجتمع وٱلديه فى مكَّة. وكبر من دون تعليم أو ٱكتساب علم. ويبيّن ٱلبلاغ ذٰلك:

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

وتتوكّد هٰذه ٱلمسألة فى بلاغ أخر:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ ٤٨ ٱلعنكبوت.

وبلغ محمد ٱلأربعين عندما بدأ ٱلوحى من دون أن تكون له أىّ معرفة بعلم. وبدأت ٱلأية ٱلكبرى فى تلقيمه ٱلقرءان وحيًا installation وتنزيلا downloaded فى قلبه. فتحوَّل إلى محدِّثٍ بأحسن ٱلحديث. وءاية ٱلرسول محمد هى تلقيمه ٱلقرءان وحيًا installation من دون أن يكون يتلوا كتابًا أو يخطه بيمينه أو يدرى وقد بلغ ٱلأربعين.

وفى متابعة هذا ٱلسبيل لفهم ٱلمسألة نوصل إلى تأويل هذا ٱلحدث ٱلذى بدأ يستقر ويبين فى ٱلكومبيوتر ومناهجه. ثمَّ ٱلعمل على تأويل وٱستقرار ٱلأنبآء ٱلمتعلقة بٱلأيات ٱلأخرى (ٱسحٰق ويحيى وعيسى). وهٰذه ٱلمسألة يلزمها ٱلكثير من ٱلبحث وٱلصبر عليه وٱلكثير من ٱلمال للوصول إليها. كما يلزمها موقف يعزّره ٱلعلم وٱلسيطرة على ٱلشهوات وٱلشقآء وٱلاكتفآء بٱستهلاك يكفل تجديد طاقة ٱلحياة من دون إسراف وتبذير فى ٱلأكل. وقد بيّن ٱلبلاغ أن لونين من ٱلطعام يكفيان ٱلإنسان:

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٥٧ ٱلبقرة .

وقوم موسى (ونحن منهم جميعًا) لم يصبروا على طعام واحد وطلبوا ٱلكثير بدلاً مِّنه كما يبيّن ٱلبلاغ:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ﴾ ٦١ ٱلبقرة.

ولما كان قوم موسى لا يصبرون على طعام واحد فإن سبيلهم فى ٱلحياة سيوصلهم إلى ٱلذّلة وٱلمسكنة ويقصرون عن مواجهة أَيِّ خطر يداهمهم بما فى ذٰلك ٱلجوع ويبيّن ٱلبلاغ ذٰلك:

﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا[1] فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ ٦١ ٱلبقرة.

وقد بيّن ٱلبلاغ أن سقوط ٱلناس تحت سيطرة ٱلشهوات يسوقهم بقوة ٱلجهل إلى محاربة ٱلعلم وٱلعلمآء وإلىَ إلغآء وجودهم بٱلقتل. وهو ما يبيِّنه ٱلبلاغ من ٱلموقف ٱلجاهل ٱلقاتل للنبيِّن:

(١) ٱلمصر هو مكان كبير يتفرق فيه ٱلإنسان ويغوص فيه رغم ٱلكثرة فيصير فردًا معزولاً فى وسط كثرة تزحف سعيًا ورآء معيشتها. «ٱهبطوا مصرًا» لا تدل على وادى ٱلنيل كما جآء فى شرح أصحاب «ٱللغة ٱلفصحى».

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ ٦١ ٱلبقرة.

يأتى ٱلنبىُّ ٱلناسَ بنبإٍ ويوجههم إلىٰ إتباع ٱلوصايا وٱلأوامر ٱلإلٰهية ومنها ٱلطعام ٱلواحد ٱلذى بيَّنه ٱلبلاغ ٦١ ٱلبقرة وٱلصيام وٱلنهى عن ٱلزنى وٱلسرقة وٱلكذب وٱلعمل يوم ٱلسبت. ويحضهم علىٰ إطعام ٱلمسكين وٱليتيم وكل ألوان ٱلعون ٱلاجتماعى للمثقل بٱلدين وٱلعيال إلخ. أمّا قوم موسى فيقتلون من يدعوٓا إلى ذٰلك فى كل وقت لأنهم «يكفرون بأيٰتِ ٱللّه. . وعصواْ وكانواْ يعتدون». فٱلذى يلتزم بٱلوصايا يقبل بطعام واحد لأن حاجته للطعام فى تجديد ٱلطاقة ٱللازمة لعمل ٱلقلب (ٱلدماغ) وٱلجسم. وأىّ طعامٍ طيّب يقوم بذٰلك. ومن يقبل بطعام واحد ويصبر إلىٰ «أن يقضى إليك وحيه» يوصل إلى ٱلقدرة على مطابقة ٱلفعل للقول وتخلص نفسه من مقت ٱللّه كما يظهر ٱلبلاغ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ /٢/ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ /٣/﴾ ٱلصَّفّ.

وفى هٰذا ٱلبلاغ أن على ٱلإنسان ٱلخليفة أن يفعل ما يريد. وهٰذا لا يأتيه إذا كان سعيه فى ٱلأرض من أجل كثرة ٱلطعام وكثرة ألوانه. فٱلذى لا يقبل بطعام واحد يشقى ورآء ٱلشهوات فلا يوصل إلى موقف ٱلخليفة ٱلعليم ٱلسميع ٱلبصير ٱلقوى ٱلعزيز ٱلقدير ٱلخبير ٱلحكيم ٱلغفور ٱلرحيم إلىٰ أخر أسمآء ٱللّه ٱلحسنى. ويبقى فى دآئرة ٱلذى يفسد فى ٱلأرض ويسفك ٱلدمآء لأن أصله وحش:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

وٱلخليفة يأخذ دور ٱلمخلوف وهو ٱللّه فى جميع ٱلأسمآء ٱلحسنى. ومن يحقق مسألة ٱلخلافة فى نفسه لا ينفصل فعله عن قوله لأن ٱلمخلوف «فعَّالٌ لِّما يريد» وهو «يفعل ما يريد» و«قوله ٱلحقُّ» وما يريده يكون:

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ ٥٠ ٱلقمر.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٨٢ يس.

فكيف يحقق ٱلإنسان هٰذا ٱلأمر؟

إن أحدنا بما فى ذٰلك أكثرنا علمًا يقول ٱلكثير ويغفل عن علاقة ٱلفعل بٱلقول. وفى قولنا ٱلكثير لا فعل يقابله. وأنَّ ٱلأصل فى ٱلمأرب ٱلإلٰهى أن يصير ٱلإنسان صاحب إرادة وقول وفعـل فلا يقول إلا ما يريد فعله. وخارج هٰذه ٱلمسألة لا خلافة أبدًا. وبقآء فى دآئرة ٱلفسـاد وسفك ٱلدمآء وٱلمرض.

أمَّا ٱلذى يزكِّى نفسه فلا يقول إلا ما يريد ويستطيع أن يفعل. وهٰذه هى صفة ٱلمثل عيسى ٱبن مريم «غلامًا زكيًا». وهو مثل لَّنا على ٱلخليفة ٱلذى ٱمتلأ قلبه «بروح ٱلقدس» (معقم وطاهر من أىّ عالق) ويعلم «ٱلكتٰب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل» تلقيمًا فى قلبه وهو جنين. وقد بيّن ٱلبلاغ ذٰلك:

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ﴾ ١١٠ ٱلمائدة.

فٱلذى يعلّم نفسه ٱلصبر فى قُرء أىّ مسألة من مسآئل ٱلوجود وٱلحياة ٱلاجتماعية وٱلإنسانية ويقابلها مع ٱلبلاغ ٱلعربى ويلتزم ٱلوصايا وٱلتوجيهات ولا يُحلُّ لنفسه ٱلعصيان يوصل إلى ٱلموقف ٱلعالم ٱلذى يخشى ٱللَّه. ويستطيع إعادة تسطير ٱلعلم ٱلحقّ وتقديس روحه (تعقيمه وتطهيره) فيزيل مناهج ومفاهيم ٱلباطل من نفسه ويتحوَّل إلى قوة وقدرة ٱلخليفة ٱلذى يفعل ما يريد من دون شقآء ومن دون حاجة لإسرافٍ. كما يجرى فى قرى ٱليوم ٱلتى تسير بٱلأرض (ٱلفلك ٱلمشحون) ومن عليها إلى ٱلطامّة ٱلكبرى. بسبب ٱلفساد ٱلذى جآء ٱلتحذير منه فى ٱلنبأ:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ /٤١/ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ /٤٢/ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ /٤٣/ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ /٤٤/﴾ ٱلروم.

فما بيّنه ٱلبلاغ أن ٱلحياة لا تنته من ٱلفساد ٱلجارى. وهٰذا يتوقف على ٱلإنسان ذاته «لعلَّهم يَرجِعُون». وفيه طلب للنظر فى بقايا وأثار ٱلذين من قبل حيث تشير إلى عظمة ملكهم ٱلشهوانى من حصون وأسوار ومنشئَات مآئية وأبراج وقبور. وبيّن لنا ٱلبلاغ أن أكثرهم كانوا مشركين بسبب هٰذا ٱلتبذير ٱلشهوانى ٱلذى تركوه من بعد موتهم وهو شاهد على جهلهم.

كما وجَّه ٱلبلاغ لإقامة ٱلدين ٱلقيّم. فمن أخذ بٱلتوجيه وسار على سبيل تلقيم قلبه وإملآء أوعيته بٱلروح ٱلقدس (ٱلقرءان) فى ٱلحياة ٱلدنيا يسلك فيها ويفعل كأفعال عيسى ٱبن مريم ٱلمبينة لنا فى ٱلبلاغ:

﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ﴾ ٤٩ ءال عمران.

فإن قُرءَ (إخراج وإفصاح ما فى ٱلشىء من معلومات) ٱلمعلومات ٱلمسطورة فى كتاب ٱلعلقة (ٱلخلية) لأىّ كآئن حىّ هو بيانٌ وتفصيلٌ فى مراحل خلقه وتطوره بدءًا مِّن ترابٍ إلى وقت ٱلقُرءِ. فٱلذى يقرأ هٰذه ٱلمعلومات ويتّبع أطوارها تتكون عنده ٱلقدرة على نسخ هٰذا ٱلكآئن. وهٰذه ٱلأية ٱلتى تبين قدرة عيسى ٱلمثل على ٱلخليفة يأتى تأويلها بعد قُرءِ ٱلكتاب ٱلمسطور فى ٱلعلقة.

أما قول عيسى «وأُحىِ ٱلموتى» فإن تأويل هٰذه ٱلآية يأتِ بعد قُرءِ كتابِ علقةٍ من كآئنٍ ميّتٍ تؤخذ من أىّ بقيَّة من جثمانه. وٱلعلم ينظر ٱليوم فى مثل هٰذه ٱلأية.

وحتى لا نكون مثل ٱلمشركين ٱلذين تركوا ورآءهم ٱلحصون وٱلأسوار وغيرها شواهد على ٱلإسراف وٱلتبذير وٱلفساد وٱلكفر بأسٰطير ٱلأولين يجب أن نتوقف عند ٱلتوجيه ٱلإلـهى ٱلمتعلق بٱلبيت ٱللازم لسكن ٱلسلطة بعد أن عرضنا للتوجيه ٱلمتعلق بٱلطعام. فقد أمر ٱللَّه ٱلرسول إبرٰهيم ليقيم بيتًا وأوحى له خلق[1]

---

(١) «ٱلتصميم ٱلهندسي» فى ٱللغة ٱلفصحى وكلمة هَنْدَسَ فارسية «هَندَزَ».

ٱلبنآء ليكون بيتًا للّه حجةً ومثلاً مُّبصرًا لنا فىَ إقامة بيوت سلطتنا وفى ٱلبلاغ بيان ذٰلك:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ١٢٥ ٱلبقرة.

هٰذا ٱلتوجيه يعيدنا إلى بحث «ٱلصلوة» فى كتاب «ٱلحكم ٱلرسولى» وفيه وجدت أن «ٱلمُصَلِّى» هو صاحب ٱلموقف ٱلثانى ٱلذى يعلم موقف ٱلأول وصاحبه ويصلِّى عليه. وأجد هنآ أن «مقام إبرٰهيم» هو «ٱلمُصَلَّى» أى ٱلمقام ٱلأول. وفى ٱلتوجيه طلب من ٱلإنسان لأن يتخذ منه موقف «ٱلمُصَلِّى» أىّ ٱلمقام ٱلثانى. و«مقام إبرٰهيم» هو ٱلبيت ٱلذىَ أمره ٱللّه ليقيمه ويكون بيتًا لِّلّه مالك ٱلملك ٱلحكيم ٱلغنى ٱلحميد ٱلفعّال لما يريد ٱلقدير ٱلبديع خالق ٱلسَّمٰوٰت وٱلأرض وما بينهما. وأوحى لنبيِّه ورسوله خلق ٱلبيت كمآ أوحى له جمع ٱلحجارة ٱلتى يبنى منها. وهى حجارة جمعهآ إبرٰهيم من ٱلأرض ٱلتىَ أقام ٱلبيت عليها من دون حفر أو تجويب(١) لِّجبلٍ.

عن هٰذا ٱلبيت جآء فى ٱلتوجيه للناس لأن يتَّخذوه «مُصَلًّى» عند إقامتهم لبيوت سلطتهم حتى لا يسرفوا ولا يبذّروا ولا يفسدوا فى ٱلأرض. ولهم أن يقيموا بيوتًا تماثله لآ أن تفخر عليه. وفيه هدايتهم فى بنآء بيوتهم وبيوت سلطتهم من ٱلحجارة ٱلظاهرة على سطح ٱلأرض فلا يجوبوا ٱلصخر وٱلجبل كما فعلت ثمود:

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ ٩ ٱلفجر.

وتدل كلمة «ثمود» على ٱلقلّة وٱلنفاد. وٱسم ثمود هو لكل من قلَّ نشاطهم ومالهم وحرثهم ونفد ما لديهم منه بسبب ٱلفساد فى ٱلأرض ٱلذى يأتى به ٱلإسراف وٱلتبذير. ويبين ٱلبلاغ ١٢٥ ٱلبقرة أن ٱلبيت أو مقام إبرٰهيم هو للناس جميعًا وليس للمؤمنين منهم. كما يوكّد ذٰلك بلاغ أخر:

---

(١) جاب يجوب يدل على ٱلحفر وٱلنحت وٱلتخديد فى ٱلصخر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٢٥ ٱلحج.

ويوكّد ٱلبلاغ أن حِجَّ ٱلبيت موجّهٌ لِّلناس كافّة:

﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ٩٧ ءال عمران.

لقد جُعل ٱلبيت «مثابةً لِّلناس وأمنًا». وٱلمثابة من أصل ٱلفعل «ثَوَبَ يثوب». وأستنبط دليله بعد ترتيل ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ ١٩ ٱلحج.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ ٱلمطففين.

هى ٱلثياب ٱلتى يثوّبها ٱلكافر فى ٱلأخرة.

أما ثياب ٱلمؤمن ٱلمحسن فيبينها ٱلبلاغ:

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ٨٥ ٱلمائدة.

﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ١٨ ٱلفتح.

«أثـٰبهم» تدل على ٱللِّباس. وٱلمثابة هى ٱلكسوة ٱلتى يوفّرها ٱلثوب للجسم وٱلبيت لساكنه فهو يحميه من ٱلعرى وٱلضحى.

أمَّا كلمة «أمنًا» فهى ٱلمأرب ٱلثانى فى ٱلبيت بعد ٱلمثابة. وبها ٱلحماية من ٱلوحوش وٱلاطمئنان فى ٱلجلوس وٱلنوم وٱلإنس وطرد ٱلخوف.

لقد أقام إبرٰهيم ٱلبيت بوحى مِّن ٱللَّه ليكون «مُصَلًّى» لِّلنَّاس. وقد جمع حجارة بنآئه عن سطح ٱلأرض من دون حفر لجبل للحصول على حجر للبنآء. لأن حفر ٱلجبل يفسد فى ٱلأرض ويسوق ٱلناس إلى ٱلطّامة ٱلكبرى. فقد جعل ٱللّه ٱلجبال حماية لسطح ٱلأرض من ٱلإنزلاق:

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ ٧ ٱلنبأ.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾ ٣٢ ٱلنازعات.

«أوتادًا» ٱلأصل ٱلثلاثى «وَتَدَ» ويدل على ٱلقيام وٱلقرار وٱلقوة.

ودليل «أرسٰها» من دليل ٱلفعل «رسى يرسى» ويدل على ٱلوقوف وٱلثبات وٱلرسوخ وٱلثقل. وبيّن أن هذه ٱلأوتاد ٱلراسية هى ٱلتى تجعل ٱلأرض لا تميد بنا:

﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ﴾ ٣١ ٱلأنبيآء.

فٱلإنسان ٱلذى يوصل إلى «زكو يزكو» يعلم أنه:

«ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان» تثنية/ ٱلإصحاح ٨.

ويعلم أن ٱلحياة ليست بٱلبيوت ٱلتى تفخر على بيت ٱللّه. ولا بٱلقبور ٱلبرجية. ويمتثل لتوجيه ٱلخليفة ٱلمثل:

«لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يُفسِدُ السُّوسُ والصَّدأ وحيث ينقب السَّارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً في السمآء حيث لا يُفسِدُ سُوسٌ ولا صَدَأٌ وحيث لا ينقبُ سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبكَ أيضاً» إنجيل متى ٱلإصحاح ٦.

«لايقدر أحدٌ أن يخدم سيدين لأنَّه إمَّا أَن يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخرَ أَوْ يُلازِمَ الواحِدَ ويحتقرَ الآخرَ. لا تقدرون أن تخدموا اللّه والمالَ. لذلك أقول لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسادكم بما تلبسون» إنجيل متى الإصحاح ٦.[1]

هذه ٱلبلاغات وٱلتوجيهات وٱلأنبآء قال عنها ٱلذين كفروا «إن هذآ إلآ أسٰطير ٱلأولين» وكفروا بها ولم يصدّقوها.

وموقف ٱلذين كفروا هو ٱلذى يظهر فى «ٱلمعجم ٱلوسيط» ويعمل فى صناعة

---

(١) ٱلشاهد ٱلمأخوذ من ٱلتوريٰة أو ٱلإنجيل كما هو فى لسان ٱلتحويل إلى ٱللغة.

مفاهيم ٱللغو عن هذه ٱلأساطير. كما يعمل فى صناعة مفاهيم ٱللغو عن أساطير ٱلعلم بتأثيره على عمليات ٱلتحويل منهآ إلى «ٱللغة ٱلفصحى».

وتكبر خطورة صناعته لمفاهيم ٱللغو فىَ أعمال تحويل ٱلبلاغ ٱلعربى إلىَ ألسن أخرى بوسآئل ٱللغو وبمفاهيم كتب تزعم ٱلتفسير وكتب تزعم حديثا لِّلرسول غير ٱلقرءان. وهذا يجعل كتب ٱلتحويل ٱفترآءً يدفع بٱلناس ٱلذين يتلونهآ إلى موقف ٱلصَّدّ وٱلنبذ للدين ٱلقيّم ذاته. بسبب وصوله إليهم بمفاهيم تنقضها ٱلقُرُوء لما فى كتاب ٱلكينونة[1].

---

(١) كتاب ٱلكينونة هو ٱلكون ذاته ميته وحيّه.

ٱلتراث

وردت كلمة ٱلتراث فى ٱلبلاغ مرة واحدة:

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ ١٩ ٱلفجر.

وفيه أن «ٱلتراث» يولمّ ويؤكل. فكلمة «لَمَّ» تدل على ٱلشِّدَّة فى جمع ما تفرّق.

وأفهم من ٱلبلاغ أن ٱلأكل يحدث فيما جرى تفريقه.

فما هو دليل كلمة «تراث»؟

بمتابعة ٱلبلاغ بيان وتفصيل. ونتلوه فى ترتيله كما هو فى سورة ٱلفجر:

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ /١٥/ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ /١٦/ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ /١٧/ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ /١٨/ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا /١٩/ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا /٢٠/﴾.

ويظهر من هٰذه ٱلتلاوة مسألتان:

ٱلأولى «لا تكرمون ٱليتيم» وهو ٱلذى مات والده.

وٱلثانية «لا تحضون على طعام ٱلمسكين» وهو ٱلعاجز ٱلساكن عن ٱلعمل.

وقبل أن أفصل ٱلقول أرتل ما يلى:

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ /١/ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ /٢/ وَلَا

يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ / ٣/ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ / ٤/ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ / ٥/ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ / ٦/ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ / ٧/ ﴾ ٱلماعون.

«يدعُّ ٱليتيم» يدفعه بعنف وجفوة. وٱلذى «لا يحض على طعام ٱلمسكين» لا يحثُّ ولا يدعوًا إلى طعام ٱلذى سكن عن ٱلعمل بسبب عورة فى جسمه تمنعه. ومثله ٱلذى «يمنع ٱلماعون» وهو ٱلذى لا يشارك بل يمنع ٱلعون وٱلنفع عن ٱلناس. فٱلذى يفعل كل هٰذا هو «ٱلَّذِى يكذّب بٱلدِّين» وهو ٱلذى يأكل «ٱلتراث أكلاً لَّمًّا». فٱلأكل يجرى على طمعٍ وحردٍ وحوذٍ(*) وتعدٍّ للحدود.

وردت كلمة «ٱلتراث» فى مجامع ٱللغة ومنها «ٱلمعجم ٱلوسيط» كما يلى:

(وَرِثَ: صار إليه ما له بعد موته. الإرَاثُ: ما وُرِث. الإرْثُ: الإراث. التراثُ: الإراث).

فكلمة «ٱلتراث» تدل فى «ٱلمعجم ٱلوسيط» على «ما ورث» أى ما تركه ميت.

ووردت كلمة «ورث» فى ٱلبلاغ فى ٱلهيئات ٱلتالية (وَرِثَ ورثه ورثوا ترثوا نرث يرث يرثنى يرثها يرثون أَورثكم أورثنا نُورِثُ يُورِثُها أُورثتموها أُورِثوا يُورَثُ ٱلوارث وَرَثَهُ ميراثُ).

أما كلمة «تراث» فوردت فى ٱلبلاغ مرة واحدة مع ٱلأكل ٱلَّمِّ فى سورة ٱلفجر. وأنَّ ٱلنظر فى ٱلبلاغ (فى سورة ٱلفجر وفى سورة ٱلماعون) يُبيّن أن كلمة «تراث» تدل على قسمٍ مِّنَ ٱلميراث هو حصة يتيم أو مسكين.

أما كلمة «ميراث» فتدل على جميع ما تركه ٱلميت من دون تقسيم. وفى ٱلبلاغ بيان ذٰلك:

﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ١٠ ٱلحديد.

(*) ٱلحَردُ هو ٱلبخل ٱللئيم فى رزق أتى من دون شقآء فى جمعه. وٱلحَوذُ هو أخذ ٱلشىء بٱلقهر وٱلتسلط من دون حقّ.

فٱللّه هو ٱلوارث ٱلوحيد ولا شريك معه يجعل ٱلميراث تراثا.

لقد وردت كلمة «تراث» مع سلوك طامع يحب ٱلمال ولا يكرم ٱليتيم ويدعُّه ولا يحضّ على طعام ٱلمسكين ويمنع ٱلعون ٱلاجتماعى بكل ألوانه. وهو يفعل ذٰلك لأنه يكذب بٱلدّين ويقول مع ٱلذين كفروٓا «إن هذآ إلآّ أسٰطير ٱلأولين».

فٱلتراث هو جزء مّن ٱلميراث ٱلمقسوم على ٱلورثة وصار متفرقًا. ثمَّ يأتى ٱلمكذّب بٱلدّين ليأكله ويلمّه «لمًّا» من أصحابه ٱليتامى وٱلمساكين من ٱلورثة بجفوة ودفع وعنف بعد أن أكل حصصهم من ٱلميراث ٱلمقُسّم عليهم حصصًا تراثًا.

يستعمل جميع ٱلمفكرين كلمة «تراث» بدليل ٱلميراث ٱلمسطور ٱلمخزون من علوم وقصص وبنآء. وما جآء فى «معاجم ٱللغة» وتعليمها فعل فعله فى صناعة هٰذا ٱلمفهوم ٱللغو وضيّع دليل كلمة «تراث» وٱلموقف مما رافق ويرافق أكله من طمع وحرد وحوذ وتعدٍّ للحدود. وضاع معه ٱلانتفاع من ٱلبلاغ (١٩ ٱلفجر) فى حياتنا ٱلاجتماعية.

ٱلميراث هو كل ما تركه ٱلميت من مال وبنآء وأعمال علمية وفكرية مسطورة فى سجلات. ويوكّد هٰذا ٱلدليل ترتيل ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ١٦٩ ٱلأعراف.

﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ ٣٢ فاطر.

﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ٥٣ غافر.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ ١٤ ٱلشورى.

ٱلكتاب لا يقسم ليكون تراثًا فٱلذى وُرِثَ هو كتابٌ وهو ميراثٌ وليس تراثًا. فٱلميراث هو كل ما تُرِك من دون ٱستثنآء.

* *

ما عرضته إلى ٱلآن فى هٰذا ٱلكتاب يظهر مآ أريده من ٱلتفريق بين ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين ولسان ٱللغة. وقد رأيت أن «ٱلعِجلَ» هو كل ما ينجم عن ٱلفعل «عَجَلَ». وأن «ٱللغة» هى كل ما ينجم عن ٱلفعل «لغو». وأنَّ ما ورثناه من كتب لسانٍ وكتب تفسيرٍ وكتب حديثٍ وكتب تشريعٍ وغيرها هى ميراث وليس تراثا وفيها ٱلكثير من ٱللغة. وإنَّ عملنا ٱليوم يجب أنْ يتوجه إلى تخليص ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين من كل ألوان ٱللغو فيه. وأن ندفع بٱلرسالة ٱلعربية ٱلمبينة لتأخذ سبيلهآ إلى ٱلنّاس من دون عوق ٱللغة لها. فٱلرسالة لهم جميعهم كمآ أمر ٱللَّه:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

وبذٰلك نرفع عنها ٱلخصوصية ٱلتى تطالب بها بعض ٱلأحزاب بٱسم ٱلإسلام. وتعود ٱلرسالة للناس جميعهم. فأرض ٱللَّه كلها ساحة لرسالته. وٱلنَّاس كلهم ورثتها. ومحمدٌ رَّسول ٱللَّه للناس جميعًا. وأنَّ «ٱلعولمة» فىَ أعلىَ وأرقىَ أطوارها تظهر فى ٱلرسالة.

لقد أخذت ٱلأحزاب ٱلتى تزعم ٱلإسلام للَّه من ٱلميراث ما تربه يتعلق بلحية ٱلرجل ولباسه وٱغتساله. وما رأته فىَ أوقات ٱلصلوٰة وٱلمعروف وٱلمنكر. وقد أخذت ذٰلك من كتب ٱلناس من دون أن تنظر فى كتاب ٱللَّه. وقد وجدت هٰذه ٱلأحزاب نفسها فى صراع مع ٱلناس جميعهم. ونصَّبَت نفسهآ إلـٰهًا للناس تطلب منهم أن يأتمروا بأمرها فىَ أمور ٱلدين وأمور ٱلحياة ٱلدنيا على ٱلسَّوآء. ظانَّة أنَّها على سبيل ٱلرَّبِّ فى عدوانها على ٱلنَّاس. وفى ذاكرتها لا يوجد أثر للأمر:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ٢٩ ٱلكهف.

وقد ترك ٱللَّه للناس ٱلخيرة فىَ أمرهم. وبيّن لهم سنة خلقه للنفس وتسويتها:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا /٧/ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا /٨/﴾ ٱلشمس.

فٱلنفس هى ٱلتى تختار بين ٱلفجور وٱلتقوى. ولا يوجد من لَّه ٱلحق فى

تعطيل هذه ٱلخيرة إلا من يظلم نفسه ويظلم ٱلناس. فنحن ورثنا كتبًا كثيرة مَّسطورة. واحدٌ مِّنها يضم ٱلبلاغ ٱلإلـٰهى بلسان عربى مُّبين. أما بقية ٱلكتب فهى من أعمال ٱلناس. سوآء كانت شارحة ظناً للبلاغ أم زاعمة حديثًا لِّلرَّسول من دون أن تدرىَ أن حديث ٱلرسول مسطور «فى رَقٍّ مَّنشورٍ» ولسانه عربى مبين. أو كانت كتب لسان جآءت بفعل غلبة ٱلذين كفروا:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

وعملت هذه ٱلكتب ٱلميراث فى صناعة ٱلمفاهيم ٱلتى توقف فى وجه ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين وتمنع ظهوره وٱنتشاره بين ٱلناس فى كل ٱلأرض. وتأسست أحزاب تحبس ٱلدنيا فى مفاهيم قاسية جافية عدوانية تبعد ٱلناس عن «ٱلدِّين ٱلقيِّم» وعن ٱلعمل فى كتاب ٱللَّه نظرًا وبحثًا إلى جانب ٱلنظر فى ٱلأرض سعيًا لِّلوصول إلى ٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق» حتى يقضىَ إليهم وحيه من دون إكراه عملا بٱلبلاغ:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

لقد قطعوا رأس ٱلنبى يحيى (يوحنا). وصلبوا شبيه عيسى. وٱلذين فعلوا ذلك هم ٱلـذين يزعمون أنهم حماة ٱلشريعة رجال ٱلكهنوت ذوو ٱلقلوب ٱلقاسية. وهذا ما كان مثله فى محاكم ٱلتفتيش وما حدث مع أبى ذرٍّ ٱلغفارى ومن بعده ٱلمعتزلة. وٱلقذف بٱلزندقة[١] لكل من يسير على سبيل ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ومثله عند كهنوت ٱليوم ٱلذى يسارع إلى «هدر ٱلدم»[٢] لكل من يخالفه فى قول أو رأى.

وجميعهم ذوو بطون كبيرة من كثرة ٱلأكل للطيِّب وٱلخبيث. وبيوتهم حصون. وقبورهم مزارات وأبراج. وهم من ٱلذين «يؤثرون ٱلحياة ٱلدنيا». ومن

---

(١) ٱلزندقة كلمة ليست من ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين وأظن أنها فارسية.

(٢) كلمة هدر ليست من ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وهى من كلمات ٱلكهنوت وقد جآء بها ٱللغو. وبديلها ٱلعربى «سفك» وهى مرتبطة بٱلطور ٱلوحشى.

ٱلذين طلب إلينا ٱلبلاغ ٱلمبين ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى عاقبتهم (٤٢ ٱلروم).

ٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق» هو عمل قليل من ٱلناس يتوجهون فى كل ٱلأوقات وبكل ما لديهم من أموال للعمل وفق ٱلأمر:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وفى قلوب هذا ٱلقليل إيمان وتصديق للوصول إلى ٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق» ٱلذى يوكّده ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وهؤلآء يعلمون أن ٱتباع ٱلأمر ٱلإلـٰهى يحقق ٱلخليفة. وهو ٱلذى يبلغ حدًّا مِّنَ ٱلعلم يساوى:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

وإن ٱلعلم ٱلذى يكتسب يأتى من ٱلنظر فى بعض علم ٱللّٰه ٱلذى جعلنا خلفآء فيه.

أمّا ٱلأحزابُ ٱلدينية علىٰ إختلاف مشاربها فتجد فى ٱتباع ٱلأمر ٱلإلـٰهى من قبل بعض عباده ٱعتدآء على ٱختصاص ٱللّٰه. فأىّ دين تتبع هذه ٱلأحزاب؟!

ٱلمؤمن ٱلحق هو ٱلذى يتوجه للسير على سبيل ٱلأمر ٱلإلـٰهى. أما ٱلذى يتجسس على ٱلناس ويغتابهم ويعتدى عليهم وعلىٰ ٱختياراتهم فلا يجد وقتًا حتى للتفكير بٱلأمر ٱلإلـٰهى. وقد توجهت هذه ٱلأحزاب لتراقب مَن لبس ثيابًا توافق تسلطها وعدوانها. ومَن شرب وأكل. ومَن قال قولاً يخالفها إلخ. وهذا تجسس وعدوان ومخالفة للأمر ٱلتالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ /١١/ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ /١٢/﴾ ٱلحجرات.

ٱلمحرّم

دليل كلمة «محرّم» من دليل ٱلفعل «حَرَمَ». ويدل على ٱلمنع وٱلمسك وٱلحماية. وفى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين أوامر وتوجيهات تبيّن ٱلمحرّم فى مسآئل عديدة (ٱلنكاح وٱلفواحش وٱلرّبا وٱلطّعام وٱلصّيد وإخراج ٱلناس من ديارهم وٱلقتال فى ٱلأشهر ٱلحرم وعند ٱلمسجد ٱلحرام).

وبٱلنظر فى ٱلبلاغ يظهر أنّ ٱلتحريم ليس تضييقًا على ٱلناس. ويُبيّن أنّه حماية لهم من أخطار تتعلق بكل مسألة جآء فيها تحريم.

لقد نظرت فى حرام ٱلنكاح[1] ووجدت فى ٱلبلاغ ٱلمبين ما وجده ٱلعلم فى زواج ٱلقربى وما ينجم عنه من ورثة ٱلأمراض. أما ٱلمحرَّمُ فى ٱلطعام فأساسُهُ ٱلبلاغان ٱلتاليان:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتُۙ﴾ ٤ ٱلمآئدة.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ﴾ ١٥٧ ٱلأعراف.

دليل «ٱلطَّيِّبٰت» من دليل ٱلفعل «طاب يطيب» ويدل على ٱلغض وٱلطَّرى وٱلجيد ٱلذى خلص من ٱلعيب وٱلفساد.

ودليل «ٱلخبٰئِثَ» من دليل ٱلفعل «خبث يخبث» ويدل على ما ينقض دليل «طاب» وهو ٱلقاسى وٱلبايت وٱلفاسد. وٱلبلاغ ٱلعربى يشرح ٱلدليل:

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًاۚ﴾ ٥٨ ٱلأعراف.

---

(١) كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟» بحث «زواج ٱلمؤمنين».

«نكد» يدل على ٱلعسر وٱلقَسوة وٱلقلة وٱنقطاع ٱلنفع. فٱلذى «خبث لا يخرج إلاَّ نَكِدًا». وهذا عن ٱلبلد ٱلذى فسدت أرضه ونباتُه يُنفق طاقتَه بسبب عسرها. وبعد خروجه يكون قد هلك ولا نفع فيه.

أما ٱلأرض ٱلطيّبة فهى ٱلطرية ٱلغضة ٱلجيدة. ونباتها يخرج بيسر ويورق ويزهر ويثمر.

وٱلطعام منه طيّب ومنه خبيث. وٱلحلال للطَّيِّب وٱلحرام للخبيث.

ودليل «حلّ» هو ٱلفكُّ وٱلإرسال فى ٱلأمر وفى ٱلشىء.

وٱلحرام هو ٱلمنع وٱلمسك وٱلحماية.

وٱلحلال فى «ٱلطَّيِّبٰت» وٱلحرام فى «ٱلخبٰئِث».

وجآء تحديد ٱلطعام ٱلخبيث فى ٱلبلاغ:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ ٣ ٱلمائدة.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ ١١٥ ٱلنحل.

وجآء ذلك ٱلتحديد مفصّلاً فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمًا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ ١٤٥ ٱلأنعام.

وٱلنظر فى هذا ٱلتحديد وبيانه لا يجرىَ إلا فى نور ٱلبلاغ ١٥٧ ٱلأعراف ٱلذى يبيِّنُ أنَّ ٱلمحرَّم خبيث.

فٱلمَيتَةُ كلمة تدل على ما ينقض ٱلحىّ. وٱلكلمة تختلف عن كلمة ٱلمَيِّتَةُ وهى ٱلدآبّة ٱلتى سكنت وهمدت حياتها سوآء بذبح أم من دون ذبح. أمَّا ٱلمَيتَةُ فهو ٱسم لِّلشىء ٱلذى لا حياة فيه مثل ٱلحديد وغيره من ألوان ٱلتراب. فما يحتاجه ٱلإنسان من ٱلحديد يأخذه من مصدر حىّ. وٱلدَّآبَّةُ ٱلتى تموت لسبب من ٱلأسباب يبقى جسمها حىّ. وإذآ أُكل لحمها وهو طرىّ فهو حلال. أمَّآ إذا تُركت

من بعد توقف أفعال ٱلمناعة فى جسمها يجعله ٱلموت جثمانًا. وتبدأ فيه أفعال ٱلتفكيك وٱلتحويل إلى سوره ٱلترابية ٱلأولى غير ٱلحيَّة. وٱلذى يفعل فى هذا ٱلتفكيك وٱلتحويل هو كآئنات تثور فيه من بعد توقف ٱلمناعة وتبدأ تنسر[١] فى لحمه وتتكاثر بأعداد كبيرة فيرجس[٢] لحمه ٱلمتسنِّهُ بٱلجسيدات ٱلأولية ٱلترابية ٱلناجمة عن ٱلتفكيك وٱلتحويل (فضلات هذه ٱلكآئنات). وأكل لحم هذه ٱلدَّآبَّة يدخل ٱلخبث ٱلذى نجم عن أعمال ٱلتفكيك وٱلتحويل إلى ٱلجسم ٱلحىّ. وسيكون فيه جسيدات أولية لا يستطيع تحويلها كما يفعل مع ٱلطعام ٱلطَّيِّب. فيضعف بسبب ما ينفقه من طاقة لإخراج هذه ٱلجسيدات.[٣] وهذا هو ٱلذى «لا يخرج إِلاَّ نكدًا» فهو خبيث بسبب ٱلموت وٱلتَّسنّه وٱلرجس بٱلتراب.

وثانى ٱلمحرّم فى ٱلطعام هو «ٱلدم ٱلمسفوح» وهو دم خرج من ٱلدَّآبَّة بعد ٱلذبح أو ٱلقتل. وقد تُرك حتى جمد وتسنَّه وحدث فيه من تفكيك وتحويل مثل ما حدث فى لحم ٱلجثمان.

أما ٱلدم ٱلطرى ٱلذى يخرج من دآبّة طيّبة ٱللحم فهو كلحمها طيِّب. ولا يشمله ٱلتحريم ٱلمحدد بصفة ٱلمسفوح ٱلذى يستمدّ دليله من ٱلفعل «سَفَحَ» ٱلذى يدل على ٱلجمود وٱليباس. ومنه ٱسم «ٱلسَفح» لجزء ٱلصخر ٱلمكشوف من ٱلميل فى ٱلجبل. وهو ٱلذى لا يستقر عليه مآء بسبب جموده وقسوته.[٤] وٱلدم ٱلمسفوح كٱلمَيتَة خبيث و«لا يخرج إلاَّ نَكِدًا».

أما «لحم خنزيرٍ» فٱلخبث فيه لأنه «خنزير» من ٱلأصل «خنزر» ٱلذى يدل على ٱلعسر وٱلغلاظة وٱلقسوة. وكل كبير فى ٱلعمر لحمه «خنزير». وكل قلب قاسٍ فكره «خنزير». وأجد هذا ٱلدليل فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

---

(١) تقطع فيه أكلاً له.

(٢) يختلط ٱختلاطاً لا تفريق له.

(٣) ٱلإنسان يلزمه ٱلحديد ٱلمحول فى ٱلكينونة ٱلحية لكنه لا يستطيع أخذ ٱلحديد من ٱلكينونة ٱلميتة مباشرة.

(٤) لقد خلط ٱللغو بين سفح وسفك وهذا من ٱللغو فى ٱلبلاغ.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ /٥٨/ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ /٥٩/ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ /٦٠/ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ /٦١/ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ /٦٢/﴾ ٱلمائدة.

هذه ٱلبلاغات تكوّن بلاغًا واحدًا يبدأ فى وصف ٱلفاسقين ٱلضَّآلِّين «عن سوآء ٱلسبيل» فهم «لا يعقلون». وهذا هو ٱلمدخل إلى ٱلفسق ٱلذى يوصل صاحبه إلى «لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وغضِبَ عليه وجعل منهم ٱلقِرَدَةَ وٱلخنٰزير وعَبَدَ ٱلطَّٰغوتِ».

ودليل ٱسم «ٱلقردة» من دليل ٱلفعل «قَرَدَ يقرد» ويدل على ٱلإعيآء وٱلثمود وٱلخضوع بذلٍّ وهون.

ودليل ٱسم «ٱلطَّٰغوتِ» من دليل ٱلفعل «طغو يطغو» ويدل على تجاوز ٱلحدود.

أما «عَبَدَ» فهو فعل ٱلخضوع للأمر ٱلصادر عن سيد من دون عصيان. وٱلعبد مملوك لسيد ومالك. فيدلنا «عَبَدَ ٱلطَّٰغوتِ» على كل من ذَلَّلَ نفسه للعمل على ٱلطاعة فى تجاوز ٱلحدود. وهو يعتدى عبادةً مِّن دون تفكير ولآ إرادة. فيلقى ردًا مِّن ٱلمعتدى عليه يذلّه ويخضعه ويشرد به. وهذا ما يبينه ٱلقول «لعَنَهُ ٱللَّهُ وغضِبَ عليه» فيوصل إلى ٱلثمود وٱلخضوع بذلٍّ مّهين ويصيبه ٱلإعيآء. وٱلذى يفعل هذا به هو تذليل نفسه على ٱلعدوان. وهو ما بينه ٱلبلاغ «يُسٰرعون فى ٱلإثم وٱلعدوانِ».

أمآ «أكلِهِمُ ٱلسِّحتَ» فدليل «ٱلسِّحتَ» من دليل ٱلفعل «سَحَتَ» ويدلّ على جذِّ[1] ٱلشىء حتى يصير قليلا عن ٱلكفاية. ومثل هؤلآء ٱلذين أصابهم ٱلثمود

(١) قطعه قطعًا صغيرة.

وٱلذلّ وٱلإعيآء بفعل ٱلعدوان وبخنزرة قلوبهم وبصدّهم كلّ رأى وقول. وبرفضهم كل جديد. وبتذليل نفوسهم على تجاوز ٱلحدود من ٱلحق إلى ٱلباطل. يطلبون ٱلضُّرَّ وٱلأذى وٱلعدوان على ٱلغير. ويأكلون ٱلجذاذ من كل شىء لا يتركون شيئًا مَّهما قلَّ وصغر. ولا يعرفون للعفو سبيل. هؤلآء هم ٱلذين «جعل منهم ٱلقِردَةَ وٱلخنـٰزير».

وهذا نجده فى بلاغ أخر:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ ٦٥ ٱلبقرة.

وهذا ٱلدليل يظهر فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ /١٦٥/ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ /١٦٦/ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ /١٦٧/ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ /١٦٨/ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ /١٦٩/﴾ ٱلأعراف.

وفيه أن ٱلذين نسوا ما ذكرّوا به وفسقوا وظلموا وعَتَوا عن ما نُهُوا عنه هم ٱلذين صاروا «قردة خـٰسئين» يتسلط عليهم «من يسومهم سوٓءَ ٱلعذاب» يُطردون من ديارهم ويتفرقون فى ٱلأرض وتنشأ أمم مِّنهم ويصير «منهم ٱلصَّـٰلحون ومنهم دون ذٰلك».

لقد دلت «قردة» فى هذا ٱلبلاغ على صفة للناس. وٱلكلمة لا تدل على دآبّة تحيا على ٱلأشجار كما يُظَّن. وقد ٱقترنت هذه ٱلصفة مع صفة «ٱلخنـٰزير» فى ٱلبلاغ ٦٠ ٱلمآئدة وهم ناس قساة ٱلقلوب. وبين ٱلبلاغ قسوة ٱلقلب لهكذا ناس:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ٧٤ ٱلبقرة.

﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ٤٣ ٱلأنعام.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ ١٣ ٱلمآئدة.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ٢٢ ٱلزُّمر.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ ٥٣ ٱلحج.

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ١٦ ٱلحديد.

جميع هذه ٱلبلاغات تبين أن قسوة ٱلقلب تسير بٱلناس إلى ٱلرضى عن أعمالهم ٱلتى تنقض ٱلميثاق وتحرّف ٱلكلام وتفعل ٱلظلم وٱلضلال وٱلشقاق. وفى جميع ٱلبلاغات أن ٱلذين ينسون ما ذكّروا به يفسقون وتصيبهم ٱللعنة وتجعلهم مذلّون مهانون وقساة قلوب «قردة وخنٰزير».

وأقول أن «لحم ٱلخنزير» لا يدل على لحم دآبّةٍ محدَّدة. بل على لحم أىّ دآبّة عجوز صار لحمها قاسيًا عسرًا غليظًا. وأكله وهضمه عسرًا و«لا يخرج إلا نكدًا» وهذا يجعله خبيثًا.

«مَيتَةً أو دمًا مّسفوحًا أو لحم خنزير» هى ٱلخبآئث فى ٱلطعام بسبب أصلها غير ٱلحىّ أو بسبب أعمال ٱلتفكيك وٱلتحويل إلى سورها ٱلترابية ٱلميتة وتسنُّهِها. أو بسبب قسوتها وعسرها وغلظها بفعل ٱلعمر. فٱلحى يولد وفى جسمه أربعة أخماس وزنه مآء. وبعد أن يبلغ أشده ويسير على سبيل ٱلكهولة وٱلشيخوخة ينقص من جسمه ٱلمآء وتزيد فيه ٱلجسيدات ٱلترابية حتى تبلغ حدًّا يغلب على ٱلمآء فتجعل ٱلجسم ميّتًا. ولحم مثل هذا ٱلعجوز قاسٍ وعسر وغليظ على ٱلأكل وٱلهضم وٱلخروج بسبب خنزرته ٱلتى نشأت بفعل تراكم ٱلسور ٱلترابية فيه.

لقد جآء فى ٱلبلاغ عن هذه ٱلخبآئث أنها «رجسٌ أو فسقًا» ودليل كلمة

«رجس()» من دليل ٱلفعل «رَجَسَ» ٱلذى يدل على ٱلإختلاط. ويدل فى ٱلرأى وٱلقول علىَ إختلاط ٱلباطل فى ٱلحق كما هو فى ٱللغو. ويدل فى ٱلطعام علىَ إختلاط ٱلخبيث بٱلطيِّب. أما «فَسَقَ» فيدل على خروج وظهور ٱلعصيان على ٱلأمر وٱلتوجيه. وهو فى ٱلبلاغ خروج على ٱلطَّيِّب فى ٱلأكل.

أما ٱلقول «أُهِلَّ لغير ٱللَّهِ به» فإن دليل ٱلفعل «أُهِلَّ» من دليل ٱلفعل «هَلَّ» ويدل على بداية ظهور ٱلشىء أو ٱلأمر. ويدلّنا ٱلقول أن أكل «مَيتَةً أو دمًا مَّسفوحًا أو لحم خنزيرٍ» هو بداية ظهور ٱلفسق وٱلعصيان علىَ أوامر ٱللّه وٱمتناع عن ٱلأخذ بوصاياه وتوجيهاته. وأكل ٱلخبآئث يأتى به نسيان أوامره ووصاياه وتوجيهاته وٱلفسق عليها. وٱلذين ينسون ويفسقون هم ٱلذين «لا يعقلون» ولا يدركون أن أكل ٱلخبآئث ينشر فى ٱلجسم ٱلحىّ ٱلسور ٱلترابية ٱلمَيتَة. وهى ٱلخبيث ٱلذى لا يخرج إلا نكدا ويجلب ٱلمرض وٱلموت ويعطّل سنَّة ٱلاصطفآء. وسبب ذلك ٱتباع ٱلشهوات من دون تبصر ولا علم.

فٱلدَّآبَّة ٱلتى تعرف ٱليوم بٱسم «خنزير» يطبق ٱلوصف على لحمها بٱلاسم إذا كانت عجوزًا قاسية ٱللحم. أمآ إذا كان لحمها طريًّا غضًّا فهو طيِّب.

فكلمة «خنزير» لا تدل على دآبَّةٍ محدَّدة. وقد وردت فى ٱلبلاغ كصفةٍ لِّلَّحمِ (لحم ٱلخنزير/ لحم خنزيرٍ) وكصفة لِّلناس ٱلقاسية قلوبهم.

وإذا نظرنا إلى طعام ٱلذين يتَّبعون ٱلإنجيل فهم يأكلون لحم هذه ٱلدَّآبَّة. وجآء فى ٱلبلاغ أن طعامهم من ٱلطَّيِّبات وهو حِلّ:

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ ٥ ٱلمآئدة.

وجآء فى كتاب موسى أن جميع ٱلدوّآبّ من دون ٱستثنآءٍ حلال:

«كل دابَّةٍ حيَّةٍ تكون لهم طعاماً، كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع» تكوين ٱلإصحاح ٩.

لقد بين كتاب موسى أن «كل دابة حية تكون لهم طعاماً» من دون ٱستثنآء

لأىّ لونٍ منها. كما بين ٱلبلاغ ٱلعربى أن ٱلذى حُرِّمَ على ٱلذين هادوا هو من ٱلطيبات وقد حُرِّمَ عليهم بسبب ظلمهم:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ ١٦٠ ٱلنسآء.

وقد ٱستمر هذا ٱلعقاب حتىٰ أتى رفع بعضه عنهم عيسى ٱبن مريم:

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ٥٠ ءَال عمران.

ومن بين ٱلدَّوآبِّ ٱلتى حُرِّم أكلها على ٱلذين هادوا بسبب ظلمهم دآبَّة ٱسمها «حَزير». وهذه ٱلدَّآبَّة تدعى بهذا ٱلاسم فى ٱلأرامية وٱلكنعانية وٱلعبرية. وهى ذاتها ٱلتى تدعى لغوًا فى ٱللغة ٱلفصحى بٱسم «خنزيرٍ».

لقد رأيناَ أن دليل ٱسم «خنزير» من دليل ٱلفعل «خَنزَر» ٱلذى يدل على ٱلصلابة وٱلغلظة وٱلقسوة. وأنَّ لحم ٱلخنزير هو لحم قاسٍ صلب وغليظ. وهو ما يعرفه ٱلأميون بٱسم «جلف». ومثل هذا ٱللحم يرجس بٱلسور ٱلترابية بسبب كبر ٱلسن. وهو بذلك مصدر ٱلمَيتَة وهذا هو سبب تحريمه.

أما «ٱلحزير» فهو خير ما عند ٱلمرء. ودليله من دليل ٱلفعل ٱلشامىّ «حزر» ومنه ٱسم ٱلشهر «حزيران» أول أشهر ٱلصيف وخيرها بسبب كثرة ٱلثمار ٱلتى تنضج فيه. وأتباع عيسى يأكلون «ٱلحزير» لأنه طيّب. وطعامهم حلّ لأنه من ٱلطيّبات. وهو طيّب ما لم يكن مَيتَة أو خنزيرًا.

ٱلطَّيِّب يفقد ٱلطِيبَ عندما يرجس بٱلخبيث. ويدلنا على ذلك ٱلبلاغ:

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ٥٧ ٱلبقرة.

ٱلأمر لا يوجِّه بٱلأكل لكلِّ ٱلرزق ٱلمنزل. ولم يأتِ ٱلأمر بٱلقول «كلوا ما رزقناكم».

وأجد تعريبًا للأمر فيما يلى من كتاب موسى:

«وقال موسى لا يُبقِ أحدٌ منه إلى ٱلصباح. لكنهم لم يسمعوا لموسى بل أبقى منه أناسٌ إلى ٱلصباح. فتولد فيه دودٌ وأنتن» سفر خروج ٱلإصحاح ١٦.

ٱلذىَ أنزله عليهم كله طيِّب. أما ٱلذى بقى منه إلى ٱلصباح ولد فيه دود ورَجَسَ به وتسنَّه. فلم يعد طيِّبًا وصار خبيثًا لا يخرج إلا نكدًا.

لقد بيّن ٱلبلاغ أن ٱلتحريم يلزمه بيّنة وشهدآء:

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ ١٥٠ ٱلأنعام.

أمّا ما ينتشر بين ٱلناس من حرام من دون بيّنة فهو كثير. ويدخل موقف ٱلناس فى هذه ٱلمسألة فى ٱلإفترآء وٱلكذب:

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ ١١٦ ٱلنحل.

﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ ١٤٠ ٱلأنعام.

وبيَّن ٱلبلاغ أمرًا للمؤمنين يمنعهم فيه من تحريم مآ أحلَّ ٱللَّه لهم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ٨٧ ٱلمائدة.

وجآء هذا ٱلتوجيه إلى ٱلنبى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ ١ ٱلتحريم.

وكلُّ تحريم فردى يجب أن يكون مشفوعًا بٱلبينة. ولا يكون تحريمًا عامًّا:

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ٩٣ ءال عمران.

فما حرَّمه ٱللَّه لا عجمة فيه. بل هناك بيان وتفصيل:

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ ١١٩ ٱلأنعام.

لقد جآء ٱلتحريم مفصّلاً. وليس لمدّعٍ بٱلبيان وٱلتفصيل بعد بيان وتفصيل ٱللَّه. وهناك سبيل واحد فى ٱلمسألة وهو ٱلتصديق بواسطة ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميين. وهو ما يفعله ٱلعلم ٱلناظر ٱلذى يمثل ٱلعاملون فيه ٱلشهدآء ٱلذين يشهدون أن هذا ٱلطعام يضرُّ مريضًا بٱلسكّر أو قسوة أوعية ٱلدم وغيرها من ٱلأمراض. وهو ما فعله «إسرآءيل» بنفسه.

ونذكّر كلّ مدّعٍ بٱلأمر ٱلتالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ ٣٢ ٱلأعراف.

وهناك تحريم من نوع أخر جآء قاطعًا:

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ٢٧٥ ٱلبقرة.

دليل «ٱلرِّبوٰاْ» من دليل ٱلفعل «رَبَوَ يربو» ويدل على ٱلإنتفاخ وٱلزيادة وٱلعلو فى ٱلقَدرِ وٱلبَدَن. سوآء ءَكان ذلك فى ٱلأرض ٱلتى ينزل عليها ٱلمآء. أم فى ٱلمال ٱلمتداول بين ٱلناس. وأرتل ٱلبلاغات ٱلتى تفصّل فى ٱلمسألة:

﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ٣٩ ٱلروم.

﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ ٢٧٦ ٱلبقرة.

﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ١٦١ ٱلنسآء.

جميع هذه ٱلبلاغات تدل على ٱلرِّبا فى ٱلدَّين.

وهناك بلاغ عن ٱلرّبا ٱلمضاعف أكثر من مرّة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ١٣٠ ءَال عمران.

وقد وجد ٱلذين خلوا فى هذا ٱلبلاغ مخرجًا لأخذ ٱلرّبا فى ٱلدَّين مالاً كان أم بيعًا مؤجلا. وهذا يخالف ويناقض ما جآء فى جميع ٱلبلاغات ٱلأخرى ٱلتى تؤكّد وتقطع فى تحريم ٱلرّبا فى ٱلدَّين مالاً كان أم بيعًا.

أما ٱلرّبا فى ٱلبلاغ ١٣٠ءَال عمران وما فيه يدل على ٱلزيادة على رأسمال ٱلبضاعة ٱلمعروضة للبيع. وقد وجّه ٱلبلاغ إلى زيادة على رأسمالها لا تتجاوز ضعفه. فٱلزيادة فى ٱلمال جوازها فى سعر ٱلبيع علىَ أن لا تكون هذه ٱلزيادة «أضعٰفًا مُّضَٰعَفَةً».

أمَّا بيوت ٱلمال ٱلتى تعمل وسيلة(*) بين خازن للمال ومقترض له فلهآ أن تأخذ أجرًا على هذا ٱلعمل لآ أن تعطى للخازن ربًا ولآ أن تأخذ من ٱلمقترض ربًا أخر. وحتى تكون زيادة منتظرة للمال ٱلمخزون لديها يجب أن يوجَّه إلى ٱلمؤسسات

(*) بدلاً من كلمة وسيط ٱلتى تدل على ٱلموقف ٱلوسط بين طرفين من دون ربط بينهما.

ٱلصناعية وٱلتجارية وٱلزراعية وغيرها من ٱلمؤسسات ٱلتى تطلب تمويلاً. وتتولى بيوت ٱلمال توثيق هذا ٱلتمويل ومراقبته. وينجم عن هذا ٱلتمويل ربح أو خسارة تقسم على ٱلحصص ٱلمشاركة فى نهاية كل عام (بيع وشرآء أسهم).

أما ٱلبيوت ٱلمالية ٱلتى تقرض لشرآء منزل أو شرآء فرش. فيمكن شرآءُ ٱلمنزل وفرشُهُ أو بنآؤه ثم بيعه بعد إضافة ربح يلتزم ٱلبلاغ ١٣٠ ءال عمران. أو بيع ٱلمنزل وٱلفرش كمثيله فى ٱلسوق ٱلذى لا يحكمه دين ربوىّ.

وإذا كان ٱلقرض لمريض يطلب ٱلإستشفآء فإن سبيلهآ إلى إلتزام ٱلبلاغ هو قرض لا زيادة عليه. وفى حال ٱلمريض ٱلصدقة بكامل ٱلقرض أو قسم منه.

أما ٱلبيوت ٱلتى تقرض ٱلأفراد ٱلذين يعملون بأجر فلا زيادة عليها. وٱلصدقة بكامل ٱلقرض أو قسم منه يحثُّ عليها ٱلبلاغ.

وأجد فى ٱلبلاغ أن ٱلمفاهيم ٱلتى تجعل ٱلناس يأخذون ٱلرّبا هى ذاتها ٱلتى تفعل ٱلظلم وقسوة ٱلقلب وٱلتمسك بٱلباطل:

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا / ١٦٠/ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا / ١٦١/﴾ ٱلنسآء.

ويظهر أن أخذ ٱلرّبا ظلمٌ وصدٌّ عن سبيل ٱللَّه وفسق وباطل.

فى ٱلبلاغ تحريمٌ لِّصيد ٱلبرّ فى ٱلأشهر ٱلحرم (ٱلبلاغ ٩٦ ٱلمآئدة). وتحريم لإخراج ٱلناس من ديارهم (ٱلبلاغ ٨٥ ٱلبقرة). وتحريم للقتال فى ٱلأشهر ٱلحرم وكذلك عند ٱلمسجد ٱلحرام إلا إذا بدأ معتدٍ بٱلعدوان (ٱلبلاغان ١٩١ و١٩٤ ٱلبقرة). وتحريم للفواحش (ٱلبلاغ ٣٣ ٱلأعراف).

وكل ذلك من أجل أن يسير ٱلناس إذا ٱلتزموا ٱلبلاغ على ٱلسبيل وصولاً إلى ٱلخليفة ٱلذى يفعل ما يقول ويريد بإذن ربّه ٱللَّه.

ٱلقرءان ١١٤ سورة

دليل كلمة «قرءان» من دليل ٱلفعل «قرأ». ويضمّ دليل ٱلفعل دليل كل من ٱلفعلين (خرج فصح). فٱلقرءان هو إخراج وفصح لمعجم فى ٱلشىء ٱلمنظور فيه. وهنا هذا ٱلشىء هو ٱلتكوين جميعه. وقد جآء وصف ٱلقرءان فى ٱلبلاغ:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ٱلأعراف.

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٣ فصلت.

أما دليل كلمة «سورة» فهو من ٱلفعل «سَوَرَ» ويضمّ دليل ٱلفعل دليل كلٍّ من ٱلأفعال (حاط وعلا وغلق وتميّز).

فى مقالى هـذآ أسعىَ إلى ٱلموازنـة بيـن سُوَرِ ٱلقرءان وبين «جدول ٱلعناصر» elements of Classification موازنة لا توصل إلى ٱلتفصيل بسبب غياب ٱلوسيلة ٱلأساس (مَلَك صنعى Computer) للحساب وٱلاحصآء يقوم على منهاج ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين وخطّه ٱلمسطور. وسأكتفى هنا بشدِّ ٱلنظر إلى ٱلمنهاج ٱلمسطور فى كتاب ٱللّه «ٱلقرءان».

وقبل ٱلخوض فى ٱلموازنة أريد ٱلقول أن فعل ٱللغة ٱلفصحى صنع مفاهيمًا غريبة عن ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين وملأ رءوُسَنا بٱلمفاهيم ٱلمحولة من ألسنٍ أجنبية ٱختار لها كلام لا قرابة بينه وبين ٱلِّسان ٱلعربى. وهذا ٱلفعل عطّل وأخَّر ٱلقيام

بهذه ٱلموازنة. لأن ٱلذى يفكر بكلام ٱللغة ٱلفصحى عندما يتلوا ٱلقرءان لا يجد فيه أىَّ صلة مع ٱلمفاهيم ٱلمسطورة فى قلبه. وبٱلتالى فإن أعمال ٱلموازنة لا تجرى بسبب غياب ٱلصلة بين ٱلكلام وٱلمفاهيم. فقد حولت ٱللغة ٱلفصحى كلمة element إلى كلمة «عنصر». وهذه ٱلكلمة فى ٱلمعجم ٱلوسيط تدل على (الحسب والجنس). ثمّ وسّع ٱلمعجم لغوه فى ٱلدليل إلى ٱلقول:

[مادة أولية لا يمكن تحليلها كيمياوياً إلى ما هو أبسط منها. ـ والمادة التي تدخل في تكوّن جسم ما كالهدروجين والأوكسجين في تكوّن الماء (ج) عناصر. والعناصر (عند القدماء) أربعة وهي النار، والهواء، والتراب، والماء].

لا توجد فى ٱلمعجم ٱلوسيط إشارة إلىَ أصل كلمة «عنصر» وهى ليست من كلام ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين.

أما كلمة «مادة» فلها بحث خاص وفعلها «مَدَّ» يدل على «بسط ووسع».

فى لسان ٱلإنكليز كلمة element وكلمة atom بذات ٱلدليل. وفيه أن كلمة atom من مكونات ٱلـ element.

وحولت كلمة atom بلسان ٱللّغة ٱلفصحى إلى كلمة «ذرَّة». وقال ٱلمحوّل أن «ٱلهدروجين وٱلأوكسجين» كل منهما «عنصر».

وبذلك نبقى مع ٱلّسانين فى حيرة بين ٱلكلمتين وفيما تدلّ كلّ منهما عليه. وكلاهما تستعملان فى مكان واحد. ٱلعنصر هو ٱلذَّرَّة فى ٱللغة ٱلفصحى وٱلـ element هو ٱلـ atom فى ٱلّسان ٱلانكليزى. فما هو ٱلمقابل فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين؟

فى ٱلقرءان ٱلكلام «ذرّ وذرّة وذريّة» وتدل علىَ أخفّ وأضعف شىء. وٱلبلاغ يبين ذلك:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ٤٠ ٱلنساء.

﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ٦١ يونس.

﴿وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ ٢٦٦ ٱلبقرة.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ ٩ ٱلنسآء.
﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ ٤٥ ٱلكهف.
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ ١ ٱلذاريات.

ويظهر أن «ٱلذَّرّ وٱلذَّرَّة» أقلُّ وأخفُّ وأضعفُ مثقال يمكن تعليمه وتحديده. وهذا لا يطابق ٱلكلمة element. لكن قد تكون كلمة atom تدل على ٱلذرّ.

كذلك هو ٱلأمر مع كلمة Classification ٱلتى حوّلتها ٱللغة ٱلفصحى إلى كلمة «جدول». وهى ليست من كلام ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. وٱلكلمة ٱلانكليزية من ٱلأصل Class وهى تدل على «منزلةٍ وصَفٍّ وطبقةٍ» وهو ٱلصواب.

فى مقالى هذا سأورد كلمة «صفّ» بدلا من كلمة «جدول». أما كلمة «عنصر» فسأبين أن ٱلكلمة ٱلبديل هى كلمة «سورة». أما ٱلشواهد ٱلمأخوذة من مقالات محولة إلى ٱللغة ٱلفصحى فسأتركها كما هى فى ٱلتحويل.

لقد بدأ صفّ ٱلسُّوَر منذ ٱلعام ١٨٦٢ وقام بذلك (الجيولوجي الفرنسي B.E.A دو شانكورتوا الذي رتب العناصر بدلالة أوزانها الذرية).[١] إلاّ أن ٱلصف ٱلذى كسب ٱلشهرة كان ٱلعالم ٱلروسى «ديمترى ماندلييف» قد وضعه عام ١٨٦٩ وضمَّ [٦٣ عنصراً كانت معروفة حينذاك، مرتبة بدلالة تزايد أوزانها الذرية، وتركت فيه مواقع شاغرة لعناصر لم تكن معروفة في ذلك الوقت، وتنبأ ماندلييف بأنها ستكتشف لاحقاً، وحدّد أوزانها الذرية التقريبية].[٢]

وتحقق نبأ «ماندلييف» بعد أن جرى ٱكتشاف ١١٢ سورة لغاية ٱلعام ١٩٩٦. وما زال ٱلباحثون يجهدون للكشف عن سور أخرى خصوصًا ٱلسورتين ١١٣ و١١٤.

يقول كل من «P أمبروستر» و«P. F. هيسبركر»:

---

(١) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ١٥ ٱلعدد ٥/١٩٩٩.
(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

[ويعود اهتمامنا بالعنصر ١١٤ إلى كون الحسابات النظرية تشير إلى أن هذا العنصر يتمتع بثبات خاص، لأن نواته لا بد أن تمتلك ما يُطلِق عليه الفيزيائيون الغلاف (القشرة) المغلق Closeed shell].[١]

كما يقولان عن تصنيع ٱلسور أنه يحدث من: [جعل نوى عناصر خفيفة مثل الكربون (٦) النتروجين (٧) أو الأكسجين (٨) تتصادم عند سرعات هائلة مع نوى ما بعد اليورانيوم transuanic والتي تبدأ من البلوتونيوم (٩٤) وحتى الأينشتانيوم (٩٩)].[٢]

وٱلمأرب من ذلك هو توحيد ٱلنوى لتكوين سور أثقل.

وإذا نظرنا فى ٱلقرءان نجد ١١٤ سورة لكل منها منزلتان:

ٱلأولى منزلة فى تسلسل ٱلنزول وأول ٱلسور فيه سورة «ٱلعلق» وأخر سورة فيه سورة «ٱلنصر».

وٱلثانية منزلة فى تسلسل ٱلصفّ وتسطير ٱلقرءان وأول سورة فيه «ٱلفاتحة» وأخر سورة «ٱلناس».

وإذا ما وازنا مع ما يسميه ٱلباحثون isotope «ٱلمثيل»[٣] وهو ٱلذى يظهر عند تصنيع سورة جديدة فى ٱلمسرع ٱلفيزيآئى. فينطلق من ٱلنوى ٱلمتكونة «نيوترون» فتتكون ٱلسورة ٱلمثيل وتستقر.

تسلسل نزول ٱلسور فى ٱلقرءان يدل على تسلسل ٱلورود وٱلاقامة وٱلتمكن. وهذا ما تدل عليه كلمة «نزل». فهل تسلسل ٱلصَّفِّ يدلنا على ٱلاستقرار للسورة وٱتخاذها منزلة فى تسلسل ٱلاستقرار؟

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

(٣) ٱلتحويل إلى ٱللغة ٱلفصحة «نظير ونظائر» فإذا رجعناَ إلىَ أصل ٱلكلمة فى «نظر» وجدناه يدل على ٱلتفكير وٱلتدبير وٱلحكم. وهذا لا يطابق ولا يقارب دليل كلمة isotope ونجدها فى ٱلمعجم ٱلوسيط فى باب «نظر» لغوا. إلاّ أن كلمة «نظير» تدل على كلمة isotop فى ٱلِّسان ٱلباكستانى.

يبدأ تسلسل ٱلنزول بسورة «ٱلعلق» ٱلمكونة من ١٩ ءاية. وينتهى بسورة «ٱلنصر» ٱلمكونة من ٣ ءايات.

ويبدأ تسلسل ٱلصَّفِّ بسورة «ٱلفاتحة» ٱلمكونة من ٧ ءايات وينتهى بسورة «ٱلناس» ٱلمكونة من ٦ ءايات.

وعدد ءايات ٱلسورة ١١٤ فى تسلسل ٱلنزول هو ٣. أما عدد ءايات ٱلسورة ١١٤ فى تسلسل ٱلصَّفِّ فهو ٦. فعلى ماذا يدل ذلك؟

صفّ ٱلباحثون مسطورات جديدة للسور أساسها صفُّ «ماندلييف». وقد جآء فى هذه ٱلمسطورات ١١٨ سورة منها ١١٢ سورة جرىَ إكتشافها لغاية ٱلعام ١٩٩٦. وجآء ترتيبها فى تسلسل يتابع عدد «ٱلبروتونات» فى ٱلنوى. فى حين كان صفُّ «ماندلييف» يرتل ٱلسور فى تسلسل يتابع ما يسمَّى «ٱلوزن ٱلذرىّ» وهو مجموع كل من «ٱلبروتونات وٱلنيوترونات» فى ٱلنوى.

فى صفِّ ٱلباحثين ٱلجدد ٤ سور زيادة على عدد ٱلسور ٱلمسطورة فى ٱلقرءان. فهل نتابع ٱلموازنة من بعد هذا ٱلفرق فى ٱلعدد؟

إن ٱلدافع للباحثين إلى ٱلبحث هو ٱلسعى للوصول إلى كيف بدأ ٱلخلق وٱلعمل على صنع ٱلسور ٱلتى يحقق ٱمتلاكها تفوّقًا مشروعًا لهم ولمجتمعاتهم.

أما ما يدفعنى هنا فينطلق من ٱلإرادة فى تأييد ٱلبحث ٱلعلمى مع ٱلبيان أن ما يرىٰه ٱلعلمآء فى بحوثهم لا يخرج عن ٱلحقِ ٱلمبين فى كتاب ٱللَّه ٱلخالق وٱلمسوى للكون. وٱلذىَ أرسل للناس بيانًا عن كل شىء فى هذا ٱلكون ٱلمخلوق وٱلمسوَّى. وبيّن فيه أن كلَّ نبإٍ يوصل إلى مستقرّه بٱلنظر كيف بدأ ٱلخلق وهو ما يكشف عنه ٱلبحث ٱلعلمى بٱستمرار.

ولما كان عمل ٱلباحثين على عظمته يكبر فى جوٍّ من ٱلظن وٱلبغتة بسبب غياب ٱلمنهاج ٱلهادى عندهم. ٱلأمر ٱلذى دفعنى للنظر فى كتاب ٱللَّه وعقل لما يكشف عنه ٱلبحث ٱلعلمى مع أنبآئه طبقًا لما يتشابه لى فهمه منها لعلّى أستطيع

ٱلبيان أنّ فى كتاب ٱللّه منهاجا يهدى ٱلذين يبحثون من دون هداية ولا منهاج. وهم مَن قالوا عن غياب ٱلمنهاج ٱلهادى فىَ أعمالهم. ومنهم كل من «F.E. كلوز» و«R.P. بيج»:

[إن الكروموديناميك الكمومي هو أقرب ما يكون إلى النظرية التي تتسم بالفوضى[1]. ذلك أن الطبيعة الخاصة والصعبة للقوة الشديدة تجعل من المستحيل على الفيزيائيين إجراء حسابات دقيقة. ويكاد يكون كل ما نعرفه عن اللون والكَلوون مصدره ليس الحساب المباشر وإنما المحاكاة الحاسوبية الضخمة مثل الشبكة QCD].[2]

فٱلنظرية ٱلتى تحمل منهاجا يهدى ٱلفيزيآئيين فى ٱلحساب «تتسم بالفوضى».

هذا ٱلوصف للنظرية يوكّد غياب ٱلمنهاج ٱلهادى. وهذا يقوى إرادتى على ٱلعمل للكشف عن ذلك ٱلمنهاج بعمل يقوم على ٱلعقل (ٱلمقارنة وٱلموازنة وٱلحكم) بين ما يتشابه لى فهمه من ٱلنبإ وما فيه من بيان وبين ما يكشف عنه ٱلبحث ٱلعلمى ببيانه. وأرىَ أنّ ٱلبيان ٱلوحيد ٱلذى يمكن ٱلوثوق به هو بيان ٱللّه فى كتابه «ٱلقرءان» ٱلذى قال عنه:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

وٱلنّبأ فيه يستقر فيما يكشف عنه ٱلبحث ٱلعلمى.

لقد بيّن ٱلبحث ٱلعلمى أن ٱلسورة تبنى من أشيآء أصغر منها وعلّم ٱلكثير منها وحددها وسماها. ومن هذه ٱلأشيآء أذكر أمثلة من دون إحصآء كامل لها ومنها:

كلمة proton ٱلإغريقية ٱلتى تدل علىَ «أوّلىَ». وتستعمل ٱلكلمة لتدل على جسيد ذو طاقة شحنته +١.

وكلمة neutron ٱلانكليزية تدل على جسيد أوّلـىّ متعادل ٱلشحنة (٠). وبيّن

---

(١) خط ٱلتشديد لنا.

(٢) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ١٥ ٱلعددان ١٩٩٩/٧/٦ .

ٱلبحث ٱلعلمىّ أنّ كلا من «ٱلبروتون» و«ٱلنترون» يتكون من صبغات تسمى quark منها ثلاثة ٱلأحمر وٱلأصفر وٱلأزرق وشحناتها (-٣/ ١ -٣/ ١ +٣/ ٢).

وكلمة electron من ٱلأصل elect وتدل على ٱلمصطفى وتستعمل لتدل على جسيد ذو طاقة شحنته (١-).

وهناك كلمة baryon من ٱلأصل bar ٱلذى يدل على حاجز وذراع وعقبة. وتستعمل لتدل على تكوين ثلاثى جملونى هو كل من ٱلبروتون وٱلنيوترون.

وهناك كلمة gluon ٱلذى يقول عنه ٱلباحثون أنه بلا شحنة. إلآ أنه يجمع بين ٱلصبغة وٱلجسيد. ويمثل ٱلقوى ٱلشديدة ٱلتى تشد هذه ٱلأشيآء إلى بعضها. وٱلكلمة من ٱلأصل glue ٱلتى تدل على ٱلمسك وٱلشَّدِّ[1].

هذه ٱلكلمات (وهناك كلمات أخرى لم أجد حاجة لتعدادها جميعها) جآء بها ٱلباحثون لتدل كل منها على ظاهرة ظهرت لهم فى محراب (مخبر) ٱلنظر. وهذه ٱلظاهرات تنبعث فى ٱلمحراب بعد صدع «ٱلبروتونات» ببعضها. كما تنطلق عند ٱتحاد «ٱلإلكترون وٱلبوزترون».

هذه ٱلصبغات ٱلملونة ٱلتى تظهر فى ٱلمسرّعات لهآ أسمآء فى ٱلقرءان لا تدرى بها ٱللّغة ٱلفصحى. وهى كما سأعرضها ستكون وسيلتى فى ٱلعقل (ٱلمقارنة وٱلموازنة وٱلحكم).

كلمة «ٱلذَّر» ٱلواحد منها «ذرة». وفى ٱجتماعها مع بعضها تكون «ٱلذَّرِّيَّةُ». وهى ٱلتى يبدأ بها ومنها بنآء ٱلأية (ٱلشىء):

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا / ١/ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا / ٢/ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا / ٣/ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا / ٤/﴾ ٱلذاريات.

فى ٱلذاريات حمل وجريان وقسم وتعليم. وهذا يدل على ٱلذَّرِّيَّةِ ٱلتى تحدد شيئًا هو ٱلأية. أما ٱلبنآء ٱلكامل فهو «ٱلسُّورة».

---

(١) ٱلكلمة حوّلت إلى ٱللغة ٱلفصحى بكلمة «غراء».

ويشير ٱلذَّرَّ إلى ٱلكلمات ٱلزوجية ٱلشهور حيث ٱلعدَّة «ٱثنا عشر شهرًا». فكلمة quark فى ٱلفيزيآء منها شهر أحمر شحنته (١/٣-) وأخر أصفر شحنته (١/٣-) وزرق شحنته (٢/٣+). وكلمة gluon فى ٱلفيزيآء هى رسول مبعوث يجمع بين شحنتين مختلفتين فيتكوّن ٱلذّر «ميزون».

وتشير ٱلأية إلى شىء مفروق عن غيره بعد أن تكوّن من ذرّ كٱلميزون. وأخرى تكوّنت من ءايات مثل «ٱلميزون meson». ومن ٱتحاد ٱلأيات تتكون ءايات أكبر «ٱلبروتون وٱلالكترون وٱلنيوترون وٱلبوزترون». ومن ٱتحاد ٱلأيات ٱلكبيرة تتكون «ٱلسُّورة» من نوى وقمر (إلكترون).

وكلمة proton فى ٱلفيزيآء هى ءاية شحنتها (+١). وكلمة electron ءاية شحنتها (-١). وكلمة neutron ءاية متعادلة ٱلشحنة (٠).

وكلمة element ٱلتى تتكون من ٱلـ atom فى ٱلّسان ٱلعربى كلمة «سورة» تبيّنها.

وهكذآ أجد نفسى فى موقف لسانى يساعدنى على ٱلموازنة بين ٱلبحث ٱلعلمى وبلاغ ٱلقرءان وٱلعمل على توكيد ٱستقرار ٱلنبإ:

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

لقد قال علمآء ٱلبحث أن عدد ٱلسور ٱلمكتشفة حتى ٱلأن هو ١١٢ سورة. وأن هناك ستة أخرى. فهل فى بيان ٱللّه ما يهدينآ إلى ٱلحق؟

بتوجيه ٱلنظر إلى تسلسل نزول ٱلسور فى ٱلقرءان رأيت بيانا للتكوين من ٱلبدء. فقد بدأ ٱلنزول بأربعة سور ٱلأولى هى ٱلعلق وٱلثانية هى ٱلقلم وٱلثالثة هى ٱلمزّمل وٱلثالثة هى ٱلمدثر.

ما رأيته فى تسلسل ٱلنزول هو ٱلدليل على تسلسل ٱلتكوين. وٱلسور ٱلأربعة تمثل كل منها منزلة من منازل ٱلتكوين. ومآ أن يصل إلى ٱلمنزلة ٱلرابعة «ٱلمدثر» (ويدلّ ٱسمها على ٱلهدم وٱلفكّ) حتى يبدأ ٱلهدم وينشأ عنه تكوين جديد. ليس عودة على بدء. بل هو سورة جديدة مستقرة هى ٱلسورة ٱلخامسة فى تسلسل

ٱلنزول «ٱلفاتحة» ٱستقرت وأخذت منزلة ٱلسورة ٱلأولى فى مسطور ٱلكتاب. وجرى ذلك بعد سورة ٱلهدم. أىّ أن ٱلأيات ٱلمتفرّقة عن ٱلهدم بنى منها سورة مستقرّة هى سورة «ٱلفاتحة».

لقد نزلت ٱلسور ٱلأربعة ٱلأولى فى تسلسل ٱلنزول من دون أن تكون فيهآ ءاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم». وهذه ٱلأية ظهرت أول مرة مع ٱلسورة ٱلخامسة «ٱلفاتحة» ٱلتى ٱتخذت منزلة ٱلسورة ٱلأولى فى مسطور ٱلكتاب. وبعد «ٱلفاتحة» يبدأ ٱلنزول للسور متابعًا منازل ٱلنزول وٱلتسطير معًا حتى كمل بنآء ١١٤ سورة مستقرة. بما فى ذلك إكمال بنآء ٱلسور ٱلأربعة ٱلأولى بدخول ءاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» فى تكوين فلكها ٱلخارجى وبه تحتل منزلة فى تسلسل ٱلتسطير ٱلمستقر ٩٦ لسورة ٱلعلق و٦٨ لسورة ٱلقلم و٧٣ لسورة ٱلمزّمِّل و٧٤ لسورة ٱلمدثر.

ٱلسور ٱلأربعة ٱلأولى فى تسلسل ٱلنزول هى ٱلأساس للسورة ٱلمستقرّة ٱلأولى «ٱلفاتحة». وٱلسورة ٱلأولى ٱلمستقرّة هى ٱلأساس لجميع ٱلسور ٱلمستقرة ٱلـ ١١٤.

هذا ٱلرأى يستند إلى ما قال علمآء ٱلبحث عن عدد ٱلسور ٱلتى ٱكتشفوها. ومنها ما هو مستقر ومنها ما هو فى طور ٱلورود. وعدد ٱلاثنين ١١٨ سورة. وقولهم عن هذا ٱلعدد يطابق ٱلعدد فى كتاب ٱللَّه. أربعة أولى (ٱبتدائية) يصل بها ٱلبنآء إلى ٱلسورة ٱلأولى ٱلمستقرة «ٱلفاتحة». وبها يتابع ٱلبنآء بعدها ليكمل ٱلعدد ١١٤ سورة مستقرة فيكون ٱلكل ١١٨ سورة كما رأى علمآء ٱلنظر وٱلبحث.

فى سورة «ٱلفاتحة» ءاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» معدودة من أصل تكوين ٱلسورة وهى ٱلأية ٱلأولى فيها يليها ستة ءايات. وإذا ما وازنا مع ٱلجسيدات ٱلتى ظهرت للباحثين فى ٱلمسرعات فإن ما نجده أن ٱلأيات ٱلستة بعد ٱلأولى تمثل «بروتونًا» متكونًا من ثلاثة «كواركات» وثلاثة «كَلوونات». فى ٱلوقت ٱلذى تمثل ٱلأية ٱلأولى «ٱلإلكترون». وهذه ٱلسورة ٱلتى يعود ٱستقرارها إلى ٱلبدء حيث

جآءت منزلتها «ٱلخامسة» فى ٱلنزول و«ٱلأولى» فى تسلسل ٱلاستقرار. وهى ٱلسورة ٱلوحيدة ٱلتى تنطبق عليها «ٱلمبادئ ٱلأساسية للميكانيك ٱلكمومى». وهى ٱلتى جآء فى قول «R. E. سرّى» عنها:

[لم تفلح في تفسير ترتيب ملء الطبقات بالالكترونات، كما لم تفلح بإشتقاق التشكيلات الالكترونية للذرات، وهو ما بُني عليه فهمنا الحديث للجدول الدوري. يرجع ذلك أولاً إلى أن معادلة شرودنكَر لم تُحَلَّ بدقة تامة إلا **لذرة الهيدروجين**].[١]

وسورة «ٱلهيدروجين» هى سورة أساس لبقية ٱلسور. وإذا عدنا للنظر فى سورة ٱلفاتحة وتابعنا تسلسل ٱلنزول بعدها. نرىَ أنها لا تصير «هدروجينًا» كما يصفه ٱليوم ٱلباحثون حتى تجتاز ٱلمنزلة ٱلعاشرة فى تسلسل ٱلتكوين ٱلذى تظهره سورة «ٱلفجر» ومن ٱلأنبآء ٱلتالية:

﴿وَٱلْفَجْرِ /١/ وَلَيَالٍ عَشْرٍ /٢/ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ /٣/ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ /٤/﴾ ٱلفجر.

وفيها «ٱلشَّفع وٱلوتر» فى ٱلموقع ٱلمطابق لدليل ٱسم سورة «ٱلضحى» ٱلذى يدل على ٱلسطوع وٱلنور وٱلألأة. وإن عدَّ ءاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» مع تعداد ءايات سورة «ٱلفاتحة» يبيّن لنا مسألة فى ٱلتكوين ٱلبدئى للسورة وهى وحدة «ٱلإلكترون» مع «ٱلبروتون» من دون فصل بينهما. أىَ أن «ٱلإلكترون» يمسك به «ٱلبروتون» وهو لا يتحرك فى فلك حوله.

وهذا يظهر لنا مسألة «ٱلّيال ٱلعشر» ٱلتى تسبق ٱلفجر. فعندما تجتاز ٱلسورة ٱلّيل ٱلعاشر تدخل فى طور «ٱلفجر» وتبدأ قوى ٱلشموس ٱلشديدة gluons بفلق «ٱلإلكترون» عن «ٱلبروتون». وهنا نجد أمامنا «ٱلشَّفع وٱلوتر». فٱلشفع هو ٱلإلكترون وزوجه ٱلبروتون. وٱلوتر هو قوى ٱلشموس ٱلشديدة. وعندما يكمل فلق ٱلإلكترون عن ٱلبروتون من دون فصل لهما تكون سورة «ٱلفاتحة» قد وصلت

(١) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ١٥ ٱلعدد ١٩٩٩/٥.

إلى منزلة «ٱلضحى» فى ٱلتكوين. وٱلفاعل فى ذلك هو معلومات مقدّرة من قبل ٱلخالق تشبه معلومات ٱلجينوم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ . . . / ٩٥/ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ . . / ٩٦/ ﴾ ٱلأنعام.

أما بقية ٱلسور فيجرى بنآؤها من ٱتحادات تُجرى وأساسُها ٱلسُّورة ٱلأولى من بعد فلق ٱلإلكترون عن ٱلبروتون وجعله قمرًا فى فلك حوله. ويصير لكل سورة معادلتها ٱلخاصة بها خصوصًا «ملء ٱلطبقات بٱلإلكترونات».

١١١ سورة فى تسلسل سور «ٱلقرءان» لا تدخل ءَاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» فى تعداد ءاياتها. وفى سورة «ٱلنمل» (تسلسل نزولها ٤٩ وتسلسل ٱستقرارها ٢٧) تدخل هذه ٱلأية فى تعداد ءَايات ٱلسورة ٱلبالغة ٩٣ ءاية كما هو فى سورة «ٱلفاتحة». كما تشترك مع ٱلـ ١١١ سورة ٱلأخرى بمسألة وجود ءَاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» فوق ٱلسورة من دون أن تدخل فى تعداد ٱلأيات ٱلمكونة.

وهناك سورة واحدة تسلسل نزولها هو ١١٣ وتسلسل ٱستقرارها ٩. وهى تخالف جميع ٱلسور بمسألة ءاية «بسم ٱللَّه ٱلرَّحمٰن ٱلرَّحيم» فلا هى فى تعداد ٱلأيات ٱلـ ١٢٩ ولا هى فوقها. وكأنها سـورة قوامها نوى فقط من دون قمر (إلكترون) لا فى ٱلنوى ولا فى فلك حول ٱلنوى. وٱسم هذه ٱلسورة هو «ٱلتوبة».

ونعدُّ ٱلسُّورَ ٱلقرءانية فى ٱلترتيل ٱلتالى:

سورة واحدة هى «ٱلفاتحة» أساس لجميع ٱلسور وقمرها (إلكترونها) واحد وهو من ٱلأسس ٱلمكونة للسورة.

١١١ سورة عدد ٱلأقمار (ٱلإلكترونات) فى كل منها غير محدَّدٍ فى فلك ٱلنوى.

سورة واحدة هى «ٱلنمل» فيها قمر (إلكترون) من أسس تكوينهآ. أما فلكها فهو مفتوح لأقمار أخرى.

سورة واحدة هى «ٱلتوبة» من دون قمر.

٤ سور ٱبتدآئية نزلت قبل ٱلفاتحة:

ٱلأولى هى ٱلعلق وتتكون من ١٩ ءاية.

وٱلثانية هى ٱلقلم وتتكون من ٥٢ ءاية.

وٱلثالثة هى ٱلمزَّمِّل وتتكون من ٢٠ ءاية.

وٱلرابعة هى ٱلمدثر وتتكون من ٥٦ ءاية.

وهذه ٱلسُّوَر ٱلأربعة تتهدم فى ٱلمرحلة ٱلرابعة من ٱلتكوين وتتحول إلىَ ءايات تدخل فى تكوين ٱلسورة ٱلأولى ٱلفاتحة.

«ٱلميزون وٱلإلكترون وٱلبروتون وٱلنيوترون» جميعهآ ءايات كبيرة نشأت بفعل بنآء ٱلسور ٱلابتدآئية ٱلأربعة من ءايات صغيرة صبغية هى «ٱلكواركات وٱلغلوونات». وبفعل ٱلهدم جآءت مواد بنآء ٱلأيات ٱلكبيرة ٱلتى ٱفتتحت ٱلتكوين فى بنآء ٱلسورة ٱلمستقرة ٱلأولى.

يقول كل من «E. F. كلوز» و«R. P بيج»:

[إن أوضح دليل على وجود الغلوونات يأتي من تلاشي الإلكترون مع البوزترون إذ تؤدي الطاقة المتحررة لدى اتحاد هذين الجسيمين عادة إلى إنتاج كوارك وكوارك مضاد ينطلقان في اتجاهين متعاكسين. أما الأنبوب بينهما فيتجزأ محدثاً هَمْرَة Shower من الميزونات والباريونات. وهكذا يرى المجرّب دفقات من الجسيمات المركبة تنبثق مندفعة في اتجاهات متعاكسة].[1]

ويظهر من هذا ٱلقول أن كلاً من «ٱلإلكترون وٱلبوزترون» مبنىّ من جسيدات طاقية أساسها «ٱلكواركات». وينفى ٱلرأى ٱلقآئل أنَّ ٱلإلكترون هو من ٱلجسيدات ٱلأولية. وأنّ ٱلمشاهدة ٱلمبينة فى قول «E. F. كلوز» و«R. P بيج» تظهر ٱلتكوين «ٱلميزونىّ وٱلباريونىّ» لكلٍّ من ٱلإلكترون وٱلبوزترون.

---

(١) مجلة ٱلعلوم ٱلأمريكية ٱلمجلد ٣ ٱلعدد ٦/ ١٩٨٧.

وفى مخطط «فايمان» فإن ٱلمشاهدة تبين أنّ «التصادمات بين الإلكترونات والبوزترونات تعطي سيلكترونات ذات شحنة موجبة أو شحنة سالبة».[١] وأرىَ أن هذه ٱلأيات «ٱلإلكترون وٱلبوزترون» ظهر تكوينها علىَ أثر ٱلهدم للسور ٱلأربعة ٱلابتدآئية وصارت من أسس ٱلبنآء للسور ٱلمستقرة بدءًا من سورة «ٱلفاتحة».

ٱلقرءان بيان متشابه. وفهم ٱلبيان يتوقف على علم ودراية ٱلذى ينظر ويتلوا ويقرأ ما فى ٱلأشيآء من مسآئل علوم ٱلكون ٱلمختلفة. وعلى ٱلسعى للعلم بدليل ٱلكلمة فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. وهى مفتاح لهذا ٱلبيان. وكلما زاد ٱلعلم وٱلدراية فى ٱلمسألتين ٱزداد ٱلناظر إدراكًا للبيان وصولاً إلى ٱلنبإ:

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

وٱلإنسان ٱلذى يدرى بعلوم ٱلكون من دون دراية بٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين لا يدرك أنَّه عَلِمَ «ٱلنَّشأة ٱلأولى». لأن ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين هو ٱلبيان ٱلذى قرأها وبيّنها. وعلى ٱلإنسان ٱلعامل فى علوم ٱلكون أن يعمل ويهتدى بنور بيانه.

لقد وردت ٱلسور ٱلـ ١١٤ إلى ٱلرسول «محمد» على فترة تمتد إلى ٱثنين وعشرين عامًا. وقد وردت أكثر ٱلسور مجزأة وبقى فيهآ أماكن خالية لأيات وردت لاحقًا. وهذا دليل علىَ أشراط ٱلورود وكمال ٱلسورة. وأرى تفسير ذلك فىَ أشراط ٱلكشف عن ٱلجسيدات فى ٱلمسرعات. وقد بُنيت ٱلمسرعات لتوفير طاقات كبيرة يجرى تركيزها فى مكان ضيّق لتسريع جسيدين وجعل أحدهما يصدع ٱلأخر. وهذا يبيّن ما للمكان وٱلطاقة من لزوم فى ٱلكشف. وقد ورد مع كل سورة فى ٱلقرءان ٱسم لمكان نزولها وٱسم لمكان كمالها. وفيما يلى أسمآء تلك ٱلأماكن ودليل كل منها:

ٱلمكان ٱلأول ٱسمه «بكّة» من دليل ٱلفعل «بكّ» ويدل على ٱلحشر وٱلزجر

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

وٱلدفع. وٱسم بكَّة يدل على هيئة هى ممر ضيق وطويل وهو يشبه عنق زجاجة. ويبيّن ٱلنبأ أنَّ أوَّلَ بيتٍ وضع فيه:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ٩٦ ءال عمران.

ٱلبيت هو مكان ٱلسكن وٱلاستقرار. وهو هنا بيت للعدة ٱلتى صارت أزواجا. وحجارة ٱلبيت (وهو ٱلرّمز ٱلحسىّ) سوداء ٱللون. وهذا يشير إلى لون بيت ٱلتكوين ٱلأول. ٱلذى حشرت وزجرت ودفعت فيه ٱلشهور لتتكون ٱلكلمات ٱلزوجية ٱلأولى.

ودليل كلمة «ناس» فى دليل ٱلأفعال (حرك ذبَّ سعى خلط طلب) وهنا «ٱلناس» هو ٱسم للعدَّة ٱلمتفرقة وٱلتى تظهر فى ٱلنبإ:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٣٦ ٱلتوبة.

ٱلمكان ٱلثانى ٱسمه «مكَّة» ودليله من دليل ٱلفعل «ملكَّ» ويدل على ٱلسحب ٱلشديد. وٱسم مكَّة يدل على هيئة بطن فارغ. وبسبب ٱلفراغ فى ٱلبطن تحدث قوَّة ٱلسحب فيه. وهذه ٱلهيئة ٱلمستنبطة من دليل ٱلاسمين تماثل هيئة ٱلمسرعات فى مراكز ٱلبحث ٱلعلمى.

ٱلمكان يبدأ ضيقًا وطويلاً وهو ٱلجزء ٱلأول «بكَّة». ٱلذى تُحشر فيه ٱلشهور وتُزجر ليتلقىٰها بطن مكَّة ٱلفارغ ويسحبها بسرعة عالية فى خلآء أسود. ومآ أن تجتاز ٱلشهور ٱلمكان ٱلضيق حتى تظهر ٱلكلمات وتندفع إلى بطن واسع شديد ٱلسواد تتكون فيه ٱلأيات من ٱلكلمات. وقد جآء فى ٱلنبأ وصف لهذا ٱلمكان:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ ٣٧ إبراهيم.

وفيه كلمة «وادٍ» تدل عليها ٱلأفعال (سلك وسال ونفذ وجمع). وٱلوادى هو ٱلمكان ٱلذى يسلك إليه ٱلسيل وينفذ ويجتمع فى بطنه. وفى ٱلبلاغ لـ «مكة» بطن:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ ٢٤ ٱلفتح.

وورود كتاب ٱلبيت «ب» فىَ أول كلمة بطن «ببطن» يدل على ٱلعون وٱلسبب وٱلشفع وٱلوسيلة للزواج. ولو كان ٱلمراد ٱلإشارة إلى ٱلمكان لوردت كلمة «فى».

وكلمة «كفّ» تدل على ٱلمسك وٱلتوجيه. وٱلكف هنا هو «للزاجرات». ووسيلة ٱلكفّ هى «ببطن مكة». فٱلذريّة أسكنت «بوادٍ غَيرِ ذِى زَرعٍ». وهذا يدل على خلآء مقدّس (معقم وكطهر) من ٱلكينونة. وقد زجرت وحشرت ودفعت إليه «ٱلذاريات» وٱنتشرت فيه «ذروًا». وٱتبعت فى ٱنتشارها سلوك ٱلصّفّ «ٱلصَّافات صفًا». وعقبتها تحثها وتزجرها «ٱلزاجرات» وفق معلومات مقدرة ومحفوظة program «ٱلتاليات ذكرًا». وهو منهاج هداية يجرى فعله «يسرًا» وينشأ عنه «ٱلمقسمات أمرًا».(١)

«بكَّة» و«مكَّة» مكانان ٱلأول وادٍ مقدّسٍ تحشر فيه ٱلذريّة. وٱلثانى له بطن خال. ويبدأ ٱلتكوين بحشر وزجر ٱلذَّريَّة فى ٱلمكان ٱلأول بكّة. وفيه نشأ أول بيت فى ٱلتكوين من زرع ٱلذرّ فى مكان لونه شديد ٱلسواد وفيه تحشر وتزجر «ٱلشهور ٱلاثنا عشر» فيتكون منها «ٱلذرّ» أزواجا ومن ٱلأزواج «ٱلأيات» ومن ٱلأيات «ٱلسُّوَر».

وبسحب ٱلأيات إلى بطن ٱلمكان «مكَّة» يبدأ تكوين ٨٧ سورة منها ٥١ سورة كاملة و٣٦ كمل بنآؤها بعد أن وصلت إلى ٱلمكان ٱلذى يحمل ٱسم «ٱلمدينة».

ٱلمكان ٱلثالث حمل ٱسم «بٱلجحفة أثنآء ٱلهجرة» وهو مكان يخطف ٱلأشيآء خطفًا. وهذا ما يدل عليه ٱلفعل «جحف». ولفعل هذا ٱلمكان ما يشبه ٱلقوة ٱلتى يشار إليها فى فيزيآء ٱلتكوين بٱسم «ٱلثقب ٱلأسود».

ٱلمكان ٱلرابع حمل ٱسم «فى ٱلطريق أثنآء ٱلهجرة». وهذا يشير إلى مكان لا عودة منه.

---

(١) كتاب «ٱلكلمة».

ٱلمكان ٱلخامس ٱسمه «بين مكّة وٱلمدينة». هذا ٱلمكان فى منتصف ٱلطريق بين ٱلخلآء ٱلواسع «مكّة» وٱلامتلآء وٱلاجتماع وٱلقرار «ٱلمدينة». ومنتصف ٱلطريق حرج فى قوّة ٱلسّير ٱلتى تبدأ بٱلتزايد ويبدأ ٱلسير بٱلتسارع ٱلشديد.

ٱلمكان ٱلسادس ٱسمه «ٱلمدينة». ودليله من دليل ٱلفعل «دَيَن يَدِين» ويدلّ علىَ أشراط ميثاق يخضع لها ٱلسّاكنون فيكون لهم دينا. وٱلمثل عليه فى عقد ٱلدَّين. فٱلمدينة مكان يمتلئ بٱلسور نزولاً وٱستقرارًا وجميعها تخضع لدينه. وفيه تكمل كل ٱلسور ٱلمكية ٱلنزول. وفيه تبنى سور جديدة تتبع أشراط ٱلامتلآء.

ٱلمكان ٱلسابع ٱسمه «بمنى فى حجَّة ٱلوداع».

كلمة «منى» تدل على ٱلشهوة وٱلطلب.

وكلمة «حجّة» تدل على ٱلبرهان وٱلدليل.

وكلمة «ودع» تدل على ٱلطرح وٱلترك.

لقد شُفِعت «منى» بٱلبيت «ب» ٱلذى يدل على ٱلعون وٱلسبب وٱلشفع وٱلوسيلة وٱلقرار. وهذا ٱلكتاب (حرف فى ٱللغة) لا يشير إلى ٱلمكان كما وجدنا فى كلمة «ببطن». فٱلقول «بمنى فى حجَّة ٱلوداع» يدلنا علىَ أن بنآء ٱلأية أو ٱلسورة بٱلكامل يجرى بقوة ٱلطلب ٱلقآئم على ٱلبرهان وٱلدليل. وهذا ما يتوجه إليه ٱلباحثون ٱليوم لصناعة ٱلسورة ١١٤[١] وهى سورة محكوم تكوينها بٱلطلب وفيه طرح لما لا لزوم له. سوآء ءَكان ذلك فى بنآء ٱلأية أم فى بنآء ٱلسورة. وسورة «ٱلنصر» قد نزلت جميعها «بمنى فى حجَّة ٱلوداع» ومنزلتها فى تسلسل ٱلنزول هو ٱلتسلسل ١١٤. كمآ أنّ ٱلأية ٢٨١ من سورة ٱلبقرة قد نزلت هى ٱلأخرى «بمنى فى حجَّة ٱلوداع».

ٱلمكان ٱلثامن ٱسمه «فى ٱلطريق عند ٱلانصراف من ٱلحديبية».

---

(١) لقد جرى ٱكتشاف هذه ٱلسورة خلال شهرى ١١ و١٢ / ١٩٩٨ فى مختبرات دوبنا فى روسيا «مجلة ٱلعلوم ٱلامريكية» ٱلمجلد ١٦ ٱلعدد ٤/ ٢٠٠٤.

«حَدَبَ» تدل على تقوّس وميل شديد إلىَ أعلا. وٱسم «ٱلحديبيّة» مصغر من «حَدبٍ». وأن ٱلسورة ١١١ فى تسلسل ٱلنزول نزلت جميعها «فى ٱلطريق عند ٱلانصراف من ٱلحديبية». ويرشدنا هذا ٱلاسم إلى بنآء حدبة فى ٱلمسرع ومراقبة تكوَّن ٱلسورة من بعد خروج ٱلجسيدات منها.

ٱلمكان ٱلتاسع ٱسمه «بعرفات فى حجَّة ٱلوداع».

كتاب ٱلبيت «ب» كما قلت فيه سابقًا. و«عرف» يدل على ٱلعلامة وٱللون وٱلشحنة وكل ما يميز ٱلشىء. وهذا يعرفنا ببنآء ٱلأية ٱلذى يقوم على معرفة علاماتها وتقديم ٱلبرهان وٱلدليل من دون ظنٍّ. مع طرح وترك لما لا لزوم له فى ٱلأية من بعد تحديد لعلاماتها ولألوانها ولشحناتها وتقديم ٱلبرهان وٱلدليل فى كل ذلك.

وٱلأية ٱلتى نزلت «بعرفات فى حجَّة ٱلوداع» هى ٱلأية ٣ من سورة ٱلمآئدة:

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

وعندما يعرف ٱلإنسان ما يدل عليه هذا ٱلتحريم يكون قد ٱمتلك ٱلقدرة على معرفة كمال ٱلدِّين وٱلقدرة على ٱلبرهان وتقديم ٱلدليل فيه.

إن معرفة دليل هذه ٱلأسمآء يساعد فى ٱلموازنة بين بيان ٱلقرءان ومكتشفات ٱلبحث ٱلعلمى. كما يساعد فى خلق ٱلمسرّعات ٱلقادرة على صنع ٱلأية أو ٱلسورة. وأرىَ أنّ تثبيت ٱسم مكان ٱلنزول مع كل سورة من سور ٱلقرءان أو مع بعض ٱلأيات. كان ٱلمأرب منه مثل هذه ٱلموازنة ٱلتى عرضنا بعضها وٱلتىَ أرىَ أنها تُوصِلُنآ إلى بيان ٱستقرار ٱلنبإ:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.
وهو ما يوكّده نبأ أخر:
﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

لقد بدأ ٱلقرءان بٱلأمر ٱلتوجيهىّ ٱلتالى:
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.
وكلمة «ٱقرأ» تدل علىٓ أمرٍ لاخراج وإفصاح ما فى ٱلتكوين من معلومات وعدّة وهداية.

فكلمة «ٱقرَأ» تدل على طلب للبدء فىٓ إخراج وإفصاح لتلك ٱلمعلومات وٱلعدّة وٱلهداية فى ٱلتكوين ٱلجارى فى وادى ٱلتكوين ٱلخالى من أى تكوين سابق وٱلذى يعمُّ فيه سواد ٱلّيل. كما تدلنا ٱلأية ذاتهآ إلى ٱلسبيل ٱلذى علينا سلوكه فى قُرءِ دليل كلام ٱلكتاب بلاغًا وبحثًا فى ٱلتكوين. وفى ٱلأمر لنا طلب لاخراج وإفصاح ما فى ٱلحقّ كما يفعل علمآء ٱلنظر وٱلبحث وصولاً إلى ٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق».

إن قول ٱلرَّسول:
﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.
يدل عليه حال قومه ٱليوم. فقد هجروا ٱلقرءان بعد أن هجروا لسانه ٱلعربىّ ٱلمبين. وٱتبعوا قول ٱلسّلف ومعاجم ٱللغة ولغوها. وجآء ٱلهجر بضياع ٱلسبيل إلى ٱلنظر فى «كيف بدأ ٱلخلق» وتسوروا بقول ٱلكافر «من تمنطق فقد تزندق» فٱمتنعوا عن ٱلنظر وٱلبحث وٱعتدوا على كل من نظر وبحث وما زالوا يعتدون.

أما ٱلذين ساروا فى ٱلأرض ينظرون ليعلموا «كيف بدأ ٱلخلق» فهم قوم أخرون. وقد جآءوا بعلوم ٱلتطور وٱلتكوين. وصنعوا ٱلكثير من ٱلأيات ٱلعظيمة. وقد علا صوت قوم ٱلرسول بٱلاحتجاج على كل ءاية جآء بها علم ٱلأخرين. وسبب ذلك ما فى قلوبهم من لغو ٱللغة ٱلفصحى. وصار ٱلبلاغ عن ٱلِّسان ٱلأعجمى يدل على لسانهم وحدهم:

﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣ ٱلنحل.

أتوقف عند هذا ٱلحد من ٱلقول بأنتظار كشوف جديدة للباحثين. وفى نفسىَ أمل لأن يشدَّهم قولىَ إلى ٱلبيان ٱلعربىّ «ٱلقرءان». كمآ أوجّه لهم طلبى ليعملوا على صناعة منهاج windows وOffice word للخطّ ٱلعربى كما هو فى ٱلقرءان ليسهل علينا خط قولنا به.

وفيما يلىَ أرتل سور ٱلقرءان فى تسلسلين مع بيان أماكن ٱلنزول. ٱلأول فى منازل ٱلنزول. وٱلثانى فى منازل ٱلصَّفّ ٱلمسطور فى ٱلكتاب:

ٱلسورة	منزلتها فى ٱلقرءان	منزلتها فى ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتى وردت فى فترة أخرى
ٱلفاتحة	١	٥	٧	-		
ٱلبقرة	٢	٨٧	٢٨٦		-	٢٨١ بمنى فى حجة ٱلوداع «الم»
ءال عمران	٣	٨٩	٢٠٠		-	«الم»
ٱلنساء	٤	٩٢	١٧٦		-	
ٱلمائدة	٥	١١٢	١٢٠		-	٣ بعرفات فى حجة ٱلوداع
ٱلأنعام	٦	٥٥	١٦٥	-	-	٢٠، ٢٣، ٩١، ٩٣، ١١٤، ١٤١، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣ مدينة
ٱلأعراف	٧	٣٩	٢٠٦	-	-	١٦٣ إلى ١٧٠ مدينة «ا ل م ص»
ٱلأنفال	٨	٨٨	٧٥	-	-	من ٣٠-٦٠ مكة
ٱلتوبة	٩	١١٣	١٢٩	-	-	١٢٨، ١٢٩ مكة
يونس	١٠	٥١	١٠٩	-	-	٤٠، ٩٤، ٩٥، ٩٦ الر ـ تلك
هود	١١	٥٢	١٢٣	-	-	١٢، ١٧، ١١٤ مدينة الر ـ تلك
يوسف	١٢	٥٣	١١١	-	-	١، ٢، ٣، ٧ مدينة الر ـ تلك

ٱلسورة	منزلتها فى ٱلقرءان	منزلتها فى ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتى وردت فى فترة أخرى
ٱلرعد	١٣	٩٦	٤٣		-	المر ـ تلك
إبراهيم	١٤	٧٢	٥٢	-	-	٢٨ ، ٢٩ مدينة الر ـ تلك
ٱلحجر	١٥	٥٤	٩٩	-	-	٨٧ مدينة الر تلك
ٱلنحل	١٦	٧٠	١٢٨	-	-	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ مدينة
ٱلإسرآء	١٧	٥٠	١١١	-	-	٢٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ و٧٣ إلى ٨٠ مدينة
ٱلكهف	١٨	٦٩	١١٠	-	-	٣٨ و٨٣ إلى ١٠١ مدينة
مريم	١٩	٤٤	٩٨	-	-	٥٨ ، ٧١ مدينة «كهيعص»
طه	٢٠	٤٥	١٣٥	-	-	١٣٠ ، ١٣١ مدينة «طه»
ٱلأنبيآء	٢١	٧٣	١١٢	-		
ٱلحج	٢٢	١٠٣	٧٨		-	من ٥٢ إلى ٥٥ بين مكة وٱلمدينة
ٱلمؤمنون	٢٣	٧٤	١١٨	-		
ٱلنور	٢٤	١٠٢	٦٤		-	
ٱلفرقان	٢٥	٤٢	٧٧	-		٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ مدينة
ٱلشعراء	٢٦	٤٧	٢٢٧	-		١٩٧ ومن ٢٢٤ إلى ٢٢٧ مدنية «طسم»
ٱلنمل	٢٧	٤٨	٩٣	-		طسم . تلك
ٱلقصص	٢٨	٤٩	٨٨	-	-	من ٥٢ إلى ٥٥ مدينة ٨٥ بٱلجحفة أثنآء ٱلهجرة «طسم»
ٱلعنكبوت	٢٩	٨٥	٦٩	-		١ إلى ١١ مدينة الم
ٱلروم	٣٠	٨٤	٦٠	-	-	١٧ مدينة «الم»
لقمان	٣١	٥٧	٣٤	-	-	٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ مدينة «الم»
ٱلسجدة	٣٢	٧٥	٣٠	-	-	من ١٦ إلى ٢٠ مدينة «الم»
ٱلأحزاب	٣٣	٩٠	٧٣		-	
سبأ	٣٤	٥٨	٥٤	-	-	٦ مدينة

ٱلسورة	منزلتها فى ٱلقرءان	منزلتها فى ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتى وردت فى فترة أخرى
فاطر	٣٥	٤٣	٤٥	-		
يس	٣٦	٤١	٨٣	-	-	٤٥ مدينة «يس»
ٱلصّافات	٣٧	٥٦	١٨٢	-		
ص	٣٨	٣٨	٨٨	-		" ص - وٱلقرءان ذى ٱلذكر
ٱلزمر	٣٩	٥٩	٧٥	-	-	٥٢، ٥٣، ٥٤ مدينة
غافر	٤٠	٦٠	٨٥	-	-	٥٦، ٥٧ مدينة «حم»
فصّلت	٤١	٦١	٥٤	-		«حم»
ٱلشورى	٤٢	٦٢	٥٣	-	-	٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧ مدينة حم عسق
ٱلزخرف	٤٣	٦٣	٨٩	-	-	٥٤ مدينة «حم»
ٱلدخان	٤٤	٦٤	٥٩	-		«حم»
ٱلجاثية	٤٥	٦٥	٣٧	-	-	١٤ مدينة «حم»
ٱلأحقاف	٤٦	٦٦	٣٥	-	-	١٠، ١٥، ٣٥ «حم»
محمد	٤٧	٩٥	٣٨		-	١٣ فى ٱلطريق أثنآء ٱلهجرة
ٱلفتح	٤٨	١١١	٢٩		-	نزلت فى ٱلطريق عند ٱلانصراف من ٱلحديبية
ٱلحجرات	٤٩	١٠٦	١٨		-	
ق	٥٠	٣٤	٤٥	-	-	٣٨ مدينة «ق - وٱلقرءان ٱلمجيد»
ٱلذاريات	٥١	٦٧	٦٠	-		
ٱلطور	٥٢	٧٦	٤٩	-		
ٱلنجم	٥٣	٢٣	٦٢	-	-	٣٢ مدينة
ٱلقمر	٥٤	٣٧	٥٥	-	-	٤٤، ٤٥، ٤٦ مدينة
ٱلرحمن	٥٥	٩٧	٧٨		-	
ٱلواقعة	٥٦	٤٦	٩٦	-	-	٨١، ٨٢ مدينة
ٱلحديد	٥٧	٩٤	٢٩		-	

ٱلسورة	منزلتها فى ٱلقرءان	منزلتها فى ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتى وردت فى فترة أخرى
ٱلمجادلة	٥٨	١٠٥	٢٢		-	
ٱلحشر	٥٩	١٠١	٢٤		-	
ٱلممتحنة	٦٠	٩١	١٣		-	
ٱلصف	٦١	١٠٩	١٤		-	
ٱلجمعة	٦٢	١١٠	١١		-	
ٱلمنافقون	٦٣	١٠٤	١١		-	
ٱلتغابن	٦٤	١٠٨	١٨		-	
ٱلطلاق	٦٥	٩٩	١٢		-	
ٱلتحريم	٦٦	١٠٧	١٢		-	
ٱلملك	٦٧	٧٧	٣٠	-		
ٱلقلم	٦٨	٢	٥٢	-	-	من ١٧ إلى ٣٣ ومن ٤٨ إلى ٥٠ مدينة «ن. وٱلقلم وما يسطرون»
ٱلحاقة	٦٩	٧٨	٥٢	-		
ٱلمعارج	٧٠	٧٩	٤٤	-		
نوح	٧١	٧١	٢٨	-		
ٱلجن	٧٢	٤٠	٢٨	-		
ٱلمزمّل	٧٣	٣	٢٠	-	-	١٠، ١١، ٢٠ مدينة
ٱلمدّثر	٧٤	٤	٥٦	-		
ٱلقيامة	٧٥	٣١	٤٠	-		
ٱلإنسان	٧٦	٩٨	٣١		-	
ٱلمرسلات	٧٧	٣٣	٥٠	-	-	٤٨ مدينة
ٱلنبأ	٧٨	٨٠	٤٠	-		
ٱلنازعات	٧٩	٨١	٤٦	-		
عبس	٨٠	٢٤	٤٢	-		

ٱلسورة	منزلتها في ٱلقرءان	منزلتها في ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتي وردت في فترة أخرى
ٱلتكوير	٨١	٧	٢٩	-		
ٱلانفطار	٨٢	٨٢	١٩	-		
ٱلمطففين	٨٣	٨٦	٣٦	-		أخر سورة نزلت بمكة
ٱلانشقاق	٨٤	٨٣	٢٥	-		
ٱلبروج	٨٥	٢٧	٢٢	-		
ٱلطارق	٨٦	٣٦	١٧	-		
ٱلأعلى	٨٧	٨	١٩	-		
ٱلغاشية	٨٨	٦٨	٢٦	-		
ٱلفجر	٨٩	١٠	٣٠	-		
ٱلبلد	٩٠	٣٥	٢٠	-		
ٱلشمس	٩١	٢٦	١٥	-		
ٱلَّيل	٩٢	٩	٢١	-		
ٱلضحى	٩٣	١١	١١	-		
ٱلشرح	٩٤	١٢	٨	-		
ٱلتين	٩٥	٢٨	٨	-		
ٱلعلق	٩٦	١	١٩	-		
ٱلقدر	٩٧	٢٥	٥	-		
ٱلبيّنة	٩٨	١٠٠	٨	-		
ٱلزلزلة	٩٩	٩٣	٨		-	
ٱلعاديات	١٠٠	١٤	١١	-		
ٱلقارعة	١٠١	٣٠	١١	-		
ٱلتكاثر	١٠٢	١٦	٨	-		
ٱلعصر	١٠٣	١٣	٣	-		
ٱلهُمَزَةُ	١٠٤	٣٢	٩	-		
ٱلفيل	١٠٥	١٩	٥	-		

ٱلسورة	منزلتها في ٱلقرءان	منزلتها في ٱلنزول	عدد ٱلبلاغات	مكة	ٱلمدينة	ٱلبلاغات ٱلتي وردت في فترة أخرى
قريش	١٠٦	٢٩	٤	ـ		
ٱلماعون	١٠٧	١٧	٧	ـ	ـ	١، ٢، ٣ مكية ٤، ٥، ٦، ٧ مدينة
ٱلكوثر	١٠٨	١٥	٣	ـ		
ٱلكافرون	١٠٩	١٨	٦	ـ		
ٱلنصر	١١٠	١١٤	٣		ـ	نزلت بمنى في حجة ٱلوداع وهي أخر سورة نزلت
ٱلمسد	١١١	٦	٥	ـ		
ٱلإخلاص	١١٢	٢٢	٤	ـ		
ٱلفلق	١١٣	٢٠	٥	ـ		
ٱلناس	١١٤	٢١	٦	ـ		

عِدَّة ٱلكواكب «ٱثنا عشر كوكبًا»

ٱلأثنا عشر هو عدد «عدّة ٱلشهور» فى كتاب ٱللّٰه. وهذه ٱلعدة هى عدة كل ٱلشهور(*) بدءًا من رموز تكوين كلمات ٱلتكوين ٱلأولى وحتى نهاية أعظم ٱلتكوينات. وكتاب ٱللّٰه هو ٱلكون ذاته وهو مكان هذه ٱلعدة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ الروم.

وكل تكوين عدته ٱثنا عشر شهرًا ومنه تكوين ٱلكواكب فى ٱلمجموعة ٱلشمسية ٱلتى نحيا فيها.

وقبل ٱلخوض فى مسألة عدة ٱلكواكب أرىَ أنَّ بيان ما تدل عليه ٱلكلمات (نجم وشمس وكوكب ومجرَّة وبرج) من أولىَ أسس ٱلبحث. فقد دلت هذه ٱلكلمات علىَ أشيآء منذ بدء ٱستعمالها. وما زال ٱلبحث ٱلعلمى يرى فى هذه ٱلكلمات ذات ٱلدليل من دون نقص. وهذا يكشف عن معرفة وعلم واضع ٱلكلمة منذ ٱلبداية لتدلنا على ٱلحق فى هذه ٱلأشيآء.

دليل ٱلاسم «نَجم» من دليل ٱلفعل «نَجَمَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (نشأ وحدث وطلع وبدى وظهر وخرج). وٱلأسم منه «نَجم». وٱسم «منجم» هو لمكان تخرج منه ٱلأشيآء ٱلمكنوزة. وهو شىء منقطع عن غيره ولا يتصل فيه.

(*) ٱلشهور جمع شهر وهو ٱلإظهار وٱلإعلان وٱلإذاعة.

ومنه كل نبات لا ساق له. فٱلنجم هو كنز عظيم للجسيدات ٱلطاقية ٱلأولية.

دليل ٱسم «ٱلشمس» من دليل ٱلفعل «شَمَسَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (جمح ونفر وعصى وأبى وعَنَدَ). ومنه ٱسم «شُموسٍ» لِّكلِّ دابَّةٍ لَّم يجرِ تأديبها وتأهيلها. فٱلشمس ءاية عصية جامحة أبية عنيدة يصعب ٱلاقتراب منها. وشموسها يبقى حتى وصولهآ إلى «ٱلتكوير»(*) كما جآء فى ٱلقرءان:

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ ١ ٱلتكوير.

فيتوقف شموسها وتتحول إلى «كَورٍ» أبيض بعد أن تخلوا من ٱلطاقة وقوَّة ٱلنفور. ويبقى فيها ما يشبه «نفاية نووية».

دليل ٱسم «كوكب» من دليل ٱلفعل «كَكَبَ» وفيه دليل ٱلأفعال (غزل وسحب ودخل وعصر وزحم وثقل). وجميع هذه ٱلأفعال جارية فى تكوين ٱلكوكب بدءًا من ٱلدخان.(**)

دليل ٱسم «مجرّة» من دليل ٱلفعل «جَرَّ» وفيه دليل ٱلأفعال (سحب وهَزَّ وكفَّ وٱتصل). وهناك ٱسمان للمجرة ٱلتى يظن ٱلناظرون وٱلباحثون فى ٱلكون أن مجموعتنا ٱلشمسية واقعة فيها. ٱلأول هو «درب ٱلتّبانة» وٱلثانى هو «ٱلطريق ٱللَّبنى». ولكلٍّ مِّنه دليل.

كلمة «درب» شامية منسية فى لسان ٱلقرءان ٱلعربىّ ٱلمبين. ودليلها من دليل ٱلفعل «دَرَبَ» ٱلذى يدل على تعلم ٱلسّير وتذليل ٱلمكان بٱلمشى عليه. وٱلدَّربُ هو ٱلمضيق فى ٱلجبال وٱلمدخل ٱلضّيّق.

ودليل كلمة «تبانة» من دليل ٱلفعل «تَبَنَ» فى لسان شام وهى كلمة منسية. وتدل على (حطم وهشم) ومنه ٱسم «ٱلتّبنُ» لحطام ساق ٱلزرع. فدرب ٱلتبانة هو

(*) تستعمل ٱللغة ٱلفصحى كلمة «قزم» بدلاً من كورٍ. وكلمة «قزم» تدل على قصير ٱلقامة بسبب عوق فى ٱلتكوين. فى حين تدل كلمة «كَوَر» على نفق غطآؤه سميك. وكلمة «قزم» لا تدل على تكوير كمآ أنها ليست عربية.

(**) بدلاً من كلمة غاز ٱلانكليزية ٱلّلسان gas.

ٱلطريق ٱلضيق ٱلذى يذلل فيه ٱلحطام وٱلهشيم ليسلك فيما بعد ويصير ٱلطريق ٱللبنيّ.

ودليل كلمة «طريق» من دليل ٱلفعل «طَرَقَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (سلك ودأب وقرع وحدث).

ودليل كلمة «ٱللَّبنى» من دليل ٱلفعل «لَبَنَ» ٱلذى يدل علىَ أخذ ٱلحاجة من دون نقص. وهو طعام ٱلرضيع.

وبذلك أستنبط من دليل أسم «ٱلطريق ٱللَّبنى» The milky way Galaxy ٱلمحوّل من ٱلِّسان ٱلانكليزى أن ٱلمجرّة هى طعام لرضيع كونىّ وهى لَبَنه ٱلذى يقدّم له حاجته من دون نقص. وأنَّ ٱلرضيع هو ٱلنّجم.

وأستنبط من دليل ٱلاسمين أنَّ ٱلمجرة نشأت عن حطام كبير ثم تحولت فيما بعد إلى عدة صالحة لبنآء تكوين جديد.

أما دليل كلمة «برج» فهو من دليل ٱلفعل «بَرَجَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (رفع وظهر وحصن وسَور ووسع). وعدة ٱلبروج هى أثنا عشر برجًا تتوزع حول ٱلمجموعة ٱلشمسية مكونة حصونًا ظاهرة مرتفعة تسورها من كل أطرافها وتزين ٱلسمآء بتوزعها ٱلمنير.

وهناك تجمّع كونىّ كشف عنه ٱلِّسان ٱلانكليزىّ وهو جديد فى علم ٱلكون أسمه Rich clusters of Galaxies. وقد حُوّل إلى ٱللغة ٱلفصحى بكلمة «حشد». وهذه ٱلكلمة ليست من ٱلِّسان ٱلعربىّ ٱلمبين. وكلمة cluster ٱلانكليزية تدل على ٱلتجمع وٱلتدافع وٱلإلتفاف. وأرىَ أنَّ مثل هذا تدل عليه كلمة «حشر» ٱلعربية. وقد أستعمل علمآء ٱلكون هذه ٱلكلمة عندما أكتشفوا تكوينًا يبتلع مجرات متعدِّدة. وقد وجدوّا أن هذا ٱلتكوين هو مركز تكوكب حوله ٱلمجرّات. وهذا ٱلقول يستند على مشاهدات بواسطة ٱلمقرّبات ٱلبصرية ٱلضوئية. وكمال هذا ٱلتكوين يُحدَّدُ لاحقًا إذا كان نجمًا أم شمسًا. وذلك من بعد أن يبنى من ٱللبن ٱلمجرّىّ ويبلغ أشدّه.

وأرىَ أن ٱلكلمة ٱلانكليزية cluster ٱلتى ٱستعملت لتشير إلى جمع وحشر مجرىّ فى داخل تكوين عظيم لا تدل على ذلك ٱلتكوين. إلآ أنها تدل على ٱلفعل ٱلجارى فيه. وقد يكون هذا ٱلتكوين هو «ٱلطارق».(١) وهو ٱلذى جآء وصفه فى ٱلقرءان بٱلوصف «ٱلنجم ٱلثاقب».(٢) وٱلطارق هو ٱسم ٱلسورة ٱلتى تلى سورة ٱلبروج فى تسلسل تسطير ٱلقرءان.(٣)

هذه ٱلكلمات ٱلتى تدل علىَ ءايات فى ٱلسمآء. كان ٱلدليل عليها بهذه ٱلكلمات قبل فترة طويلة على نفاذ ٱلإنسان فى ٱلفضآء ٱلكونىّ بواسطة ٱلمقرّبات ٱلبصرية ٱلضوئية ٱلمختلفة. سوآء ءكانت طآئرة أم ثابتة على ٱلأرض. وإن ٱختيار ٱلكلمة لتدل عليه وتطابق سماته ٱلأساس هو دليل على علم ٱلذى ٱختار ٱلكلمة ٱلتى تدل على هذه ٱلسمات ٱلحقّ. ومن واجب ٱلعلمآء ٱلعاملين فى هذا ٱلعلم أن يعترفوٓا أن ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين هو ٱلذى حمل ٱلدليل ٱلحقّ وبلّغ عن كل ءاية فى ٱلكون.

مقالى هذا عن عدة ٱلكواكب حفّزنى عليه مقال «الكواكب المهاجرة»(٤) ٱلذى جآءت فيه نظرية جديدة تقول بهجرة ٱلكواكب. وقد تركزت أعمال ٱلنظرية على كوكبين هما نبتون وبلوتو. وهى نظرية مؤسسة على ٱلنظرية ٱلسابقة عليها وٱلتى تقول إن ٱلكواكب ولدت جميعها فى وقت واحد كل منها فى موقعه منذ خمسة «بلايين» من ٱلسنين. وتختلف ٱلنظرية ٱلجديدة عن ٱلقديمة بمسألة هجرة ٱلكواكب من مواقع ولادتهآ إلى مواقعها ٱلحالية. ويقول «R. مالهوترا»:

[لقد بدأت هذه الهجرة في مرحلة كانت فيها عملية تكون الكواكب قد اكتملت تقريباً، وليس تماماً. وكانت العمالقة الغازية ـ المشتري وزحل

---

(١) سورة ٱلطارق.

(٢) ٱلأية ٣ من سورة ٱلطارق.

(٣) ٱلبروج ٨٥ ٱلطارق ٨٦.

(٤) مجلة ٱلعلوم ٱلامريكية ٱلمجلد ١٦ ٱلعدد ٣/ ٢٠٠٣.

وأورانوس ونبتون ـ أنهت تقريباً تكتلها من السديم الشمسي]. [١]

تناولت هذه ٱلمسألة فى كتابى «ٱلدين خرافة أم علم؟» وكذلك فى كتابى «ٱلاستنساخ» وجآء قولى عن ٱلتكوين ٱلكوكبىّ أنه بدأ فى ٱلدخان[٢] ٱلشمسى:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ١١ فصلت.

وقد نشأت ٱلكواكب واحد من بعد ٱلأخر وليس دفعة واحدة.

وقَوِىَ قولى هذا من بعد ٱكتشاف مجموعات شمسية أخرى بعضها يتكون من كوكب واحد حول ٱلشمس وهو قريب منها. وبعضها يتكون من ثلاثة كواكب حول ٱلشمس.

يقول ٱلمكتشفون للمجموعة ٱلشمسية ذات ٱلكواكب ٱلثلاثة:

[أبسيلون أندروميدي Upsilon Andromedae الذي يبعد عن نظامنا الشمسي ٤٠ سنة ضوئية، وهو أضخم قليلاً من الشمس، وأشد تألقاً منها بنحو ثلاث مرات]. [٣]

ويتابع ٱلمكتشفون قولهم عن هذه ٱلمجموعة إنها:

[أول حالة معروفة لنظام كوكبي مكوّن من عدة أجسام بضخامة المشتري تدور حول نجم شبيه بالشمس]. [٤]

هذه ٱلاكتشافات. سوآء كانت ٱلمجموعة ٱلتى تضم كوكبًا واحدًا حول شمس. أم ٱلتى تضم ثلاثة كواكب. وكذلك مجموعتنا ٱلشمسية ٱلتى تضم تسعة كواكب موكّد وجودها وأسمآؤها معروفة. تظهر وتوكّد قولى عن ولادة ٱلكواكب قريبًا من ٱلشمس واحد بعد ٱلأخر. كما توكّد هجرتها بعيدًا عن ٱلشمس حتى

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.
(٢) دخان بدلاً من كلمة غاز ٱلمنقولة من ٱللّسان ٱلانكليزى Gas.
(٣) ٱلمرجع ٱلسابق.
(٤) ٱلمرجع ٱلسابق.

تكمل عدة ٱلكواكب ٱثنا عشر كوكبًا. وهى تكبر وتشيخ ثم تموت واحد بعد ٱلأخر من دون توقف. وٱلخلق يبدأ ثم يعود:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ ٢٧ ٱلروم.

لقد بين أصحاب نظرية هجرة ٱلكواكب أنهم يستندون إلى ٱلفلك ٱلذى يسبح فيه كوكب «بلوتو» فيقولون:

[بلوتو ولد وراء نبتون في منطقة تفصلها عنه مسافة ليست كبيرة، وأنه كان يسير في البداية في مدار قريب من الدائري وذي ميل طفيف، مثلما هي الحال في الكواكب الأخرى، لكنه نُقِلَ مداره الحالي بواسطة التأثرات التثاقلية الرنينية gravitational and interactions resonant مع نبتون. إن إحدى السمات الرئيسية لهذه النظرية هي أنها لا تستند إلى الفرضية القائلة بأن الكواكب الغازية العملاقة تكوّنت مفصولة عن الشمس بنفس مسافاتها (أبعادها) الحالية. وتذهب فرضيتنا، خلافاً للفرضيات الأخرى، إلى أنه حدثت هجرة للمدارات الكوكبية في وقت مبكر من تاريخ النظام الشمسي، وأن مدار بلوتو غير المألوف دليل على هذه الهجرة].[1]

أتفق مع هذه ٱلنظرية فى مسألة ٱلهجرة. وأختلف معها فى ٱلموقع ٱلذى بدأت منه هذه ٱلهجرة. فٱلهجرة بدأت من موقع ولادتها قريبًا من ٱلشمس. وإن ٱلفاعل فى ٱلهجرة كان تعاقب ٱلولادة فى ذات ٱلموقع.

أصحاب نظرية ٱلهجرة يستندون فى بنآء نظريتهم على «مدار بلوتو غير المألوف». وما كان عليهم هو أن لا يغفلوا عن ٱكتشافاتهم للمجموعة ٱلشمسية ٱلتى تضم كوكبًا واحدًا وٱلتى تضم ثلاثة كواكب. وٱلتىَ أرى فيها بيانًا لقولى عن ولادة ٱلكواكب قرب ٱلشمس واحد من بعد ٱلأخر. وأن ٱلهجرة تبدأ من موقع ٱلولادة.

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق.

كمآ أرى فى ٱنحراف بلوتو ٱلمدارى ما يفسر لى وجود ثلاثة كواكب فىَ أفلاك حول ٱلمشترى كان ٱلظن يقول عنهآ أنها أقمار. وهذه ٱلكواكب هىَ «أيو IO» و«أوربا Europe» و«جانيميد Ganymede». وقد أظهرت رحلة «جاليلو» ٱلتى ٱنطلقت عام ١٩٨٩ إلى ٱلمشترى أن: (تسمية توابع المشتري الأربعة[١] أقماراً تسمية غير دقيقة في الواقع. فهي إلى حد ما وبحكم مواصفاتها الذاتية، تمثل كواكب).[٢]

وهذه ٱلكواكب ٱلثلاثة كانت قد هجرت أفلاكها حول ٱلشمس وٱتخذت بدلاً عنهآ أفلاكًا لها حول ٱلمشترى. وهى تسبح معه فى فلكه حول ٱلشمس أربعة كواكب فى فلك واحد حول ٱلشمس.

وبعودة إلى فلك «بلوتو» حيث يظهر أنه يسبح حول ٱلشمس. فإنّ سباحته تجرى كونه يتبع كوكب «نبتون» كما هو حال ٱلكواكب ٱلتابعة للمشترى. وسباحته حول ٱلشمس مشتركة فى فلك «نبتون» وكأنه قمر له.

وما يبيّنه ٱكتشاف توابع ٱلمشترى ٱلكوكبية بواسطة «جاليلو» أن عدة ٱلكواكب ٱثنا عشر كوكبًا منها ثلاثة حول ٱلمشترى.

وتظهر ٱلمجموعات ٱلشمسية ٱلتى ظهرت بواسطة ٱلمقرّبات ٱلبصرية ٱلضوئية أنها جديدة ٱلنشأة وأن عدتها ٱلاثنا عشر لم تكتمل بعد. كما تظهر أن مجموعتنا ٱلشمسية هى ٱلأكبر سنًا.

وأرى فى نظرية هجرة ٱلكواكب أنها من أهم مفاتيح ٱلفهم لهذه ٱلوجهة فى ٱلعلم. ومسألة ٱلهجرة تجعلنآ أمام حقٍّ فى ٱلتكوين ٱلذى لا يتوقف كما بين لنا ٱلبلاغ ٢٧ ٱلروم.

---

(١) ٱلرابع هو كاليستو Callisto. وقد وجد ٱلعلمآء ٱلناظرون فى ٱلمعلومات ٱلواردة عن جاليلو أن ٱلكوكب من دون نوى حديدية. فى حين هناك نوى حديدية وقوة شد لكل من ٱلتوابع ٱلثلاثة ٱلأخرى.

(٢) مجلة ٱلعلوم ٱلامريكية ٱلمجلد ١٦ ٱلعدد ٤/ ٢٠٠٠ بعثة سفينة ٱلفضاء جاليلو إلى ٱلمشترى وأقماره.

جآء قولى فى مقال «ٱلقرءان ١١٤ سورة» يوازن بين سور ٱلقرءان وصفِّ ٱلسور Classification of elements . وقد سرت بعيدًا فى ٱلقول عن مواقع ٱلنزول وٱستقرار ٱلسور ودليل كل منها. ومؤيدى فى قولىَ أبعد بكثير من مؤيد أصحاب نظرية هجرة ٱلكواكب بسبب ٱستنادهم على فلك «بلوتو» وهم يقولون:

[إن مدار بلوتو ذو اختلاف مركزي eccentric: ففي دورة واحدة كاملة له حول الشمس يتغير بعده عنها من ٢٩,٧ إلى ٤٩,٥ وحدة فلكية(١). ثم يرتفع مع مداره ٨ وحدات فلكية فوق المستوى الوسطي لمدارات الكواكب الأخرى وينخفض ١٣ وحدة فلكية تحت هذا المستوى. وطوال نحو عقدين من دورته المدارية، التي قدرها ٢٤٨ سنة، يظل بلوتو أقرب إلى الشمس من نبتون].(٢)

فٱلقول «بلوتو أقرب إلى الشمس من نبتون» يدل علىَ أن «بلوتو» يسبح حول «نبتون» ومعه حول ٱلشمس. إلآ أن بُعده عن «نبتون» يجعله على مقربة من «درب ٱلتبانة» وسيجرى سحبه إليها فيتحطم ويهشم ليخرج هشيمه إلى «ٱلطريق ٱللَّبنى». وسندى فى قولى هذا هو ٱلقول ٱلعربى:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ /١٥/ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ /١٦/﴾ ٱلتكوير.

كلمة «خَنَسَ» تدل على (تأخر وتخلف وتوارى).

وكلمة «كَنَسَ» تدل على (زحزح وزال).

فٱلخُنَّس هى ٱلتى تتأخر وتتخلف وتتوارى وبقوة جريها فى ٱلأطراف ٱلبعيدة من ٱلمجموعة ٱلشمسية. وبسبب قربها من درب ٱلتبانة تُكنس خارج ٱلمجموعة ٱلشمسية وتدفع فى درب ٱلتبانة فتتحطم وتصير هشيمًا يُدفع فيما بعد إلى ٱلطريق ٱللَّبنى.

---

(١) ٱلوحدة ٱلفلكية تقدر بـ ١٥٠ مليون كيلومترا وهو ٱلبعد بين ٱلأرض وٱلشمس.
(٢) مجلة العلوم الامريكية المجلد ١٦ العدد ٣ - ٢٠٠٠.

هناك مسألة أخرى تتعلق بنوى ٱلكوكب ٱلتى يحتاج تكوينها لحركة مغزلية عالية حول مركز ٱلكوكب ٱلداخلى وحول ٱلشمس فى وقت واحد. مع حمل حرارىّ مرتفع ليجعل ٱلدخان ٱلمجتمع وٱلمحشور فى ٱلمركز سآئلاً. ولوّ أن ولادة ٱلكواكب حدثت جماعية كلّ كوكب فى موقعه بعيدًا عن ٱلشمس لما وجدنآ أىَّ كوكب على ٱلاطلاق. وما يدل على هذه ٱلمسألة هو ٱسم «كوكب» ذاته. ويدل على ٱلحركة ٱلمغزلية وٱلسحب وٱلحشر وٱلثقل. وهذه ٱلحركة لو توفرت للكواكب ٱلمولودة جماعيًا وأنشأت قوة سباحتها حول ٱلشمس وكذلك أنشأت نوى لكلٍّ منها لكان من ٱللازم أن تنشأ للقمر ٱلتابع لأرضنا نوى كبيرة. وكذلك ٱلأقمار ٱلأخرىَ أينما وجدت.

كمآ أن ٱلقول إن ٱلدخان ٱلشمسى كان يمتد إلى مواقع ولادة ٱلكواكب جميعها يبطله ٱلكشف عن مجموعات شمسية جديدة ٱلتكوين.

ٱلدخان ٱلشمسى قبل تكوين ٱلكواكب كان عظيمًا. إلآ أن ٱمتداده لم يصل إلى موقع «بلوتو ونبتون». بل كان محصورًا بما قبل موقع عطارد أقرب ٱلكواكب إلى شمسنا. وإن قوة ٱلريح ٱلشمسى ٱلتى تلفظ ٱلدخان هى ٱلقوة ٱلمولدة للحركة ٱلمغزلية داخل ٱلدخان ٱلكثيف ٱلتى تسحب وتجمع وتحشر ٱلسُّوَر فى مركز يكبر ويتعاظم حتى يتكون ٱلكوكب سآئلا ثقيل ٱلوزن. فتبدأ حركته ٱلمغزلية بٱلتناقص حتى تصل إلى قريب من ٱلتوقف. ويوقف سحب وجمع وحشر ٱلسور ٱلدخانية ٱلتى تتابع هذه ٱلحركة ٱلمغزلية فى موقع جديد بين ٱلكوكب ٱلسآئل وٱلشمس. وهذا يخرجه من ساحة ٱلدخان لتبدأ ولادة كوكب أخر.

ثقل ٱلكوكب ٱلسآئل يدفعه نحو ٱلخلآء فيبدأ يفقد قدرًا عظيمًا من حرارته. كما يبدأ سطحه بٱليباس حول نوى عظيمة سآئلة عالية ٱلحرارة. ويبدأ ٱلكوكب يكسب قوة شدّ (مغناطيسية) كبيرة تشده نحو ٱلشمس ٱلتى تواجهه بقوة نفور شمسى كبيرة جدًا. ٱلشمس تشمس وٱلكوكب يشدّ ويبتعد ٱلكوكب بفرق ٱلقوتين. ولو كانت ٱلشمس تشدّ لدخل ٱلكوكب فيها بقوة عظيمة تتولد عن قوة

ٱلشدّ. بل إن وجود ٱلدخان حول ٱلشمس كان يستحيل ظهوره بفعل ٱلشَّدِّ. فٱلشمس لا تشدُّ بل تشمس. وٱلقول بولادة جماعية للكواكب ثم ٱلهجرة عن مواقع ٱلولادة لا يستقيم عند ٱلسؤال عن نشوء قوة ٱلسباحة للكوكب حول نفسه وفى فلك حول ٱلشمس.

كماً أن مسألة تكوّن ٱلنوى وقوة ٱلشَّدِّ هى ٱلأخرى لا تستقيم. لأن ٱلحركة ٱلمغزلية ٱلعالية حول مركز ٱلكوكب وحول ٱلشمس يلزمها قوة شموس عظيمة. وقوة سباحة ٱلكواكب حول نفسها وحول ٱلشمس كما هى ٱليوم لا تكفى لنشوء كوكب. ودليلنا على ذلك أن نوى ٱلقمر صغيرة جدًا وقوة شده لا تذكر. وهو فى تكوينه يشبه ٱلقمر «غاليستو» ٱلتابع للمشترى.

كماً أنَّ دليل كلمة «قمر» هو من دليل ٱلفعل «قَمَرَ» وهو ٱسم لأىِّ شىء أدركه ٱلبرد من قبل كماله. وأن هيئته تخدع ٱلناظر إليه فيظن أنه كامل.

وأجد فى وصف كوكب عطارد ٱلذى ورد فى قول «M. R. نيلسن»:

[يدور حول نفسه ببطء شديد كل ١٧٦ يوماً مرة واحدة، ويدور حول الشمس كل ٨٨ يوماً كثافته عالية جداً، وهو أكبر من قمر الأرض بقليل، وكثافته تدل على نوى حقل مغناطيسي قوي يجعل النوى سائلة].[١]

وبقوله هذا يقوى عندى ٱلرأى عن ولادة ٱلكوكب فى ٱلدخان ٱلشمسى. فنوى عطارد كبيرة وسآئلة. وٱلكثافة عظيمة. وقوة ٱلشَّدِّ كبيرة. ولوَ أن ٱلكواكب ولدت كل منها فى موقعه بعيدًا عن ٱلشمس لكانت جميعهآ أقمارًا تماسكها ضعيف ونوى كل منها صغيرة وقوة ٱلشَّدِّ ضعيفة. ولكانت ٱبتعدت بقوة ٱلشموس وزالت. كماَ أن ٱسم كوكب لا يصلح لهكذا تكوين.

ٱلكواكب ٱلأولى ٱلتى تولد فى دخان ٱلشمس تكون كبيرة جدًا بسبب عظمة ٱلدخان وقوة ٱلشموس ٱلمغزلية. أما ٱلكواكب ٱلتى تولد بعد ذلك فتكون أصغر.

---

(١) «عطارد ذلك الكوكب المنسى» مجلة العلوم الامريكية المجلد ١٤ العدد ١٢/١٩٩٨.

ويفسر هذا ٱلقول كبر ٱلكواكب فى ٱلمجموعات ٱلمكتشفة. وكذلك كبر شموسها. حيث أن شمسنا نقص منها كل ٱلسُّوَرِ ٱلداخلة فى تكوين كواكب مجموعتنا ٱلشمسية. فٱلهجرة واقعة وتبدأ من دخان ٱلشمس ٱلعظيم. ومع أول كوكب يولد تبدأ ٱلهجرة بعيدًا عن ٱلشمس. ويبقى ٱلكوكب ٱلمهاجر فى فلك حول أمه ٱلشمس بفعل قوة شده لها وقوة شموسها له حتى تتفكك نوىٰه ويفقد قوة شده. فيخرج من ٱلمجموعة ٱلشمسية ويرمى فى درب ٱلتبانة فيتحطم ويهشم فى مجرَّة يسير فيها ٱلهشيم بسرعة عالية حتى يصل إلى ٱلطريق ٱللبنىّ فيبدأ يتحول إلى لبن وطعام لمولود جديد.

كبر ٱلشموس ٱلبعيدة يدل أنها جديدة. وصغر شمسنا بٱلموازنة معها يدل أنها شاخت وخسرت ٱلكثير من سور ٱلدخان ٱلتى كونت ٱلكواكب ٱلسابحة فىَ أفلاك حولها.

كماَ أن دليل ٱلكلمة فى ٱللّسان ٱلعربى ٱلمبين يكشف لنا عن مسألة أخرى فى نظريات ٱلتكوين. فٱلمجرة ٱلتى تسمى درب ٱلتبانة هى موقع ٱلحطام ٱلذى يخرج من ٱلمجموعة ٱلشمسية. وإن ٱلطريق ٱللَّبنى هو موقع ٱللبن ٱلأساس لتكوين جديد. وأن مجموعتنا ٱلشمسية كينونة تحتل موقعًا خاصًا بها وهى ليست قسمًا من مجرة. كما يظن أصحاب ٱلنظرية ٱلفلكية. فٱلمجرّة بموقعها ٱلأول درب ٱلتبانة تجتمع فيه سور ٱلكواكب وتحشر وتزجر فتتدافع وتتهشم لتعود إلى ٱلعدَّة ثم يبدأ ٱلتكوين بٱلذَّرِّ. ودرب ٱلتبانة هو موقع ٱلنزول ٱلأول «بكة». وبموقعها ٱلثانى «ٱلطريق ٱللَّبنى» يجتمع ٱلذَّرُّ فى مكان واسع تهدأ فيه قوة ٱلتدافع وهو موقع ٱلنزول ٱلثانى «مكّة» وبطنها. وفيه تبدأ أفعال ٱلزواج وٱلتكاثر وبنآء ٱلسُّوَر فى دخان ينتشر فى «ٱلطريق ٱللَّبنى». ثم تبدأ ٱلهجرة إلى ٱلاستقرار فى موقع «ٱلمدينة» وفيها يكمل بنآء ٱلسور ١١٤ سورة وهو تكوين جديد عظيم هو «ٱلحشر ٱلمجرىّ» Rich clusters of Galaxies.

إن ٱلكون محراب واسع يبدأ فيه ٱلتكوين ثم يتحطم ويتهشم. ثم يعود إلى ٱلبنآء كما جآء فى ٱلبلاغ ٢٧ ٱلروم. وأن مواقع ٱلكون هى ذاتها مواقع ٱلنزول ٱلمسطورة فىَ أعلا سور ٱلقرءان. وبها نهتدىَ إلى بنآء ٱلمسرعات ٱلفيزيآئية ٱلتى تجعل ٱلعلمآء ينظرون ويصدقون.

وأعود إلىَ أساطير ٱلأولين لأرىَ أن ٱسم جوبيتر (ٱلمشترى) هو ٱبن لساتورن (زحل) وأخ لنبتون وبلوتون. وفيهآ أن جوبيتر تزوج من أوروبا Europe ومن أيو IO ومن كاليستو Callisto. أما جانيميد Ganimede ساقى ٱلألهة فقد أحبه جوبيتر (زوس) وخطفه إلى سمآئه.

وهذا ما وجدته «جاليلو» فى سباحتها حول ٱلمشترى وحول توابعه.

لقد سبقتنا ٱلأسطورة فى قول هذا ٱلحقّ ٱلذى جرى فى ٱلسمآء بين ٱلمشترى وثلاثة كواكب ومعهم ٱلقمر «كاليستو». فقد قام ٱلمشترى بخطف ٱلأربعة من أفلاكها وأدخلها فىَ أفلاك تسبح حوله وكوّن عآئلة كوكبية تسبح فى فلك واحد حول أمهم ٱلشمس.

ٱلأَبُ وٱلابنُ وٱلرّوحُ ٱلقُدُسُ

دليل «ٱلأَب» من دليل ٱلفعـل «ءَابَ». وتدل عليه ٱلكلمات (علّم وعان وعهد وكفل ورجع وعاد ونهج).

ودليل «ٱلابن» من دليل ٱلفعل «أَبَنَ». وتدل عليه ٱلكلمات (تلقى وتبع ولزم ونهج وسار على سبيل ٱلأَب).

أما «ٱلروح ٱلقدس» فقد بينّت دليله فى كتاب «ٱلكلمة» وهو نسخة أصليّة من منهاج يفتح ٱلنفس ويحرّكها لتدرك ما هو خارجها يشبهه ويندوز ٱلكومبيوتر لا باطل فى نسخته ولا لغو ولا تحريف موروث.

فٱلأَب هو ٱلمعلم وٱلمعين وٱلكفيل وٱلمعيد ٱلذى عهد وكفل وراجع وعاد فى منهاج على ٱلابن تلقيمًا وإختبارًا. ومأربه ٱلارتقآء بٱلابن إلى ٱلخليفة بوسيلة منهاج.

أما ٱلابن فهو متلقى ٱلعلم وٱلمنهاج. وقد فهمه وفقهه وصدّقه وسار على سبيل ٱلخليفة بهدايته.

وٱلروح ٱلقدس صدر عن ٱلأَب ٱلصانع وهو نسخة أصليّة لا باطل فيها ولا لغو ولا تحريف موروث. وهو ما تلقىٰه ٱلابن من ٱلأب.

فٱلقـول «ٱلأَب وٱلابـن وٱلـروح ٱلـقـدس إلـٰه واحـد» يدل علـىَ أن ٱلـمـنـهـاج ٱلأصلى ٱلذى لا يرقىَ إليه باطل هو من أبٍ موجّه إلى متلقٍ هو ٱلابن. ويبيّن ذلك سلوك ٱلابن ٱلذى يسير على سبيل ٱلأَب وهو ٱللَّه إلـٰه واحد.

وٱلإلـٰه ٱلواحد يدل عليه ٱتباع ٱلابن لمنهاج ٱلأب وفق منهاج ٱلروح ٱلقدس. فٱلإلـٰه ٱلواحد يُدرك وجوده ويدل عليه إلتزام ٱلابن لمنهاج ٱلأب بٱلروح ٱلقدس. وهذا ٱلقول لا يشير إلىَ أن ٱللَّه هو ثلاثة كما يظن ٱلكثيرون. بل إن ٱلأَب وحده هو إلـٰه ٱلابن ٱلذى تلقى ٱلروح ٱلقدس. وفىَ إتباعه لمنهاج ٱلروح ٱلقدس يتجلى ٱلإلـٰه ٱلواحد فى معرفة وعلم ٱلابن لكيف بدأ ٱلخلق. حيث يظهر للابن أن أذون وأشراط ٱلكينونة واحدة كيفما توجّه ٱلابن فى علوم ٱلحقّ. ويدرك أن ٱلخالق واحد فى كل ألوان ٱلتكوين. وهذا ما رأيته فى تكوين ٱلكلمة ٱلكينونة وٱلكلمة ٱلبلاغ.[١]

إلـٰه ٱلابن هو أبوه. سوآء ءَكان ٱلأب ٱللَّه أم كتاب. أم معلم. أم والد. أم شيطان. فٱلذى يسير ٱلابن على منهاجه هو أب له وهو إلـٰهه. ويظهر هذا ٱلدليل فى ٱلحوار ٱلتالى:

«أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأَنَّ كلامي لا موضع له فيكم، أنا أتكلم بما رأيت عند أبي. وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع لو كنتم أولاد[*] إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان وقد كلمكم بالحقِّ الذي سمعه من اللَّه. هذا لم يعمله إبراهيم. أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: إننا لم نولد من زناً. لنا أب واحد وهو اللَّه. فقال لهم يسوعُ: لو كان اللَّه أباكم لكنتم تحبونني لأنني خرجت من قِبَلِ اللَّه وأتيت. لأني لم آتِ من نفسي بل ذاك أرسلني. لماذا لا تفهمون كلامي. لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا لي. أنتم من أبٍ هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتَّالاً للناس من البَدْءِ ولم يثبت في الحقِّ لأن ليس فيه حقٌّ. من تكلم بالكذب فإنَّما يتكلم مما له لأنـه كذّابٌ وأبو الكذّاب. وأمّـا أنا فلأنِّي أقول الحقَّ لستم تؤمنون

(١) كتاب «ٱلكلمة».

(*) كلمة أولاد لا تناسب ٱلدليل وٱلصواب هو أبنآء. وهذا من أثر ٱللغة فى ٱلتحويل.

بي. من منكم يبكتني علي خطيَّةٍ. فإن كنت أقولُ الحقَّ فلماذا لستم تؤمنون بي. الذي مِنَ اللَّه يسمع كلام اللَّه. لذلك لستم تسمعون لأنكم لستم من اللَّه» إنجيل يوحنا ٱلاصحاح ٨/ ٣٧/ ٤٧.

في هذا ٱلحوار يظهر لنا مفهوم ٱلأب. فهو إبليس عند ٱلمحاورين لـ عيسى. وعند عيسى هو ٱللَّه. وهم من ذريّة واحدة هي ذرية إبراهيم. وفي ٱلبلاغ ٱلعربي بيان ٱلمسألة:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ١٢٤ ٱلبقرة.

ٱلظالمون لا ينالهم عهد ٱللَّه ءكانوا من ذرية إبراهيم أم من ذرية أخر. وٱلذين يحاورون عيسى فىَ إنجيل «يوحنا» هم من ذرية إبراهيم. ولكن أباهم هو إبليس لأنهم لا يؤمنون بٱلحق بل بٱلباطل. فذريّة إبراهيم ليست سوآء. منهم من يتبع ٱلحق فيكون ٱبنًا له. ومنهم من يتبع ٱلباطل فيكون ٱبنا له.

منهاج ٱلابن يظهر فى ٱلإتباع للأب صاحب ٱلمنهاج. فإذا كان ٱلأَب هو ٱللَّه فٱلابن هو ٱبن ٱللَّه. وإذا كان ٱلأَب هو إبليس فٱلإبن ٱبن إبليس. فٱلقول «ٱلأب وٱلابن وٱلروح ٱلقدس إلـٰه واحد» يدل على عوذ ٱلابن ولجوئه وأمنه وعبادته لأبٍ واحد هو ٱللَّه من خلال ٱلعلم ٱلحقّ وٱلمعرفة للإنسان ٱلمؤمن ٱلذى هو ٱلابن. فٱلذى فهم من هذا ٱلقول أن ٱللَّه هو ٱلابن نفسه. فقد كفر بدليل ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ /٧٢/ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ /٧٣/﴾ ٱلمآئدة.

وعيسى هو إنسان ورسول من ٱللَّه كما يظهر من حواره.

«وأنا إنسان وقد كلمكم بالحقِّ الذي سمعه من اللَّه» يوحنا اصحاح ٨.

وما جآء فىَ إنجيل «متى» يوكّد أنه رسول من ٱللَّه:

«من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبلُ الذي أرسلني» الاصحاح ١٠/ ٤٠.

وفيه بيان على لسان عيسىَ أنه مرسل وأنه إنسان يتكلم بٱلحق. وهذا يوكّد عليه ٱلبلاغ:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ ٧٥ ٱلمآئدة.

وبذلك أقول أنّ عيسىَ هو ٱلابن ٱلوحيد للأَب حتى ٱليوم. وهو رسول لبنىَ إسرآءيل. ويوكّد هذا ٱلقول ما جآء فىَ إنجيل «متى»:

«لأن مِنْكِ يخرجُ مدبِّرٌ يرعى شعبي إسرائيل» الاصحاح ١/ ٦.

وشعب ٱللّه قد جرى تحديده بٱلاسم إسرآءيل. ليس فى ٱلتورىٰة وٱلإنجيل بل وفى ٱلقرءان:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ٤٧ ٱلبقرة.

وٱلنبىّ يعقوب هو ٱلذى ٱكتسب هذا ٱلاسم من ربِّه بما ٱستطاع كشفه ببصيرته وصبره على ٱنتظار تأويل رؤية ٱبنه يوسف ٱلذى يعلم تأويل ٱلأحاديث (أى يعلم فى كيف بدأ ٱلحدث).

وٱسم «إسرآءيل» من دليل ٱسم «إسرآء» وهو ٱسم سورة «ٱلإسرآء» وفيها ٱلفعل «أسرى» يدلّ على ٱلحركة ٱرتفاعا وعلوّا بخفية ويسر. فبنىَ إسرآءيل هم أبنآء لمنهاج ٱلارتفاع وٱلعلوِّ بعلم تأويل ٱلأحاديث وٱلعلم بكيف تحدث وبه يتمكنون ويعلون فى ٱلأرض.

وبمآ أنّ يعقوب كان نبيًّا ونبّوته تُلهم إليه إلهامًا فقوّة كشف بصيرته وعلوّها ليست من فعل رأسه بل هى منهاج موحىً إليه. وهذا يبيّنه خطّ ٱلكلمة «إسرآءيل». فٱلكلمة لا ثور فيها يثير ٱلرأس وفيها مكانه عدده (١) ٱلذى يدلّ عليه. وعندما يكون علمه من فعله يظهر ٱلثور فى ٱلكلمة ويصير ٱسمه «إسرآءيل».

بذلك ٱلمنهاج ٱلموحى صار يعقوب أبًا. وأبنآء هذا ٱلمنهاج يهاجرون فى ٱلأرض ينظرون ويكشفون ويؤولون ٱلأحاديث وبه يكون ٱكتسابهم ٱلعلم وٱلقوّة

وٱلسلطة وٱلمال. وبنو إسرآءيل هم أبنآء ذلك ٱلإنسان ٱلذى عاهد ٱللَّه على ٱلنظر وٱلعلم وتأويل ٱلأحاديث وإلتزم ٱلعهد وٱلميثاق. وينتظر من أبنآئه أن يلتزموا ٱلعهد وٱلميثاق ٱلذى لأبيهم إسرآءيل. وٱسم إسرآءيل ليس ٱسمًا لشعبٍ لا تنطبق عليه لزوميات ٱلدليل لهذا ٱلاسم.

عيسى هو رسول ٱللَّه إلى هؤلآء ٱلناس ٱلذين يتمسكون ويلتزمون بٱلعهد وٱلميثاق لزيادة صلاحهم وعلمهم وعلوّهم وتفوقهم على ٱلذين لا عهد ولا ميثاق لديهم مع ٱللَّه.

ٱلعقل بين ٱلإنجيل وٱلقرءان يبين للعاقل أن ٱلمرسِلَ لكلٍّ من عيسى ومحمد واحد هو ٱللَّه. فقد وكّد عيسى ٱمتناع ٱلنقض للبنآء ٱلروحىّ ٱلذى بدأ بـ:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ ٱلبقرة.

فيقول موجهًا كلامه إلى ٱلنبى «يوحنا»:

«لأنه هكذا يليقُ بنا أن نكمّل كلَّ برٍّ» متى ٱلاصحاح ٣.

كما يوكّد ٱمتناع ٱلنقض فىَ إجاباته أمام إبليس:

«مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكلِّ كلمةٍ تخرجُ من فم اللّه. مكتوب أيضاً لا تجرب الرَّبَّ إلهك. أنه مكتوب للرَّبِّ إلـٰهك تسجُدُ وإياه وحده تعبُدُ» متى ٤.

وفىَ إجاباته يوكّد على ما سبقه من وصايا جآءت برسالات قبله ولا ينقض منها شيئًا.

ويزداد توكيد ٱمتناع ٱلنقض فى ٱلقول ٱلتالى:

«لا تظنُّوا أنِّي جِئتُ لأَنقُضَ النَّاموسَ أو الأنبياء. ما جئتُ لأنقُضَ بل لأكمِّلَ. فإنِّي الحقَّ أقولُ لكم إلى أن تزولَ السماء والأرضُ لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتَّى يكونَ الكُلُّ» متى ٥.

وفى توكيده «حتى يكون الكل» يدل على من سيأتى بعده وبه ٱلكمال:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ ٣ ٱلمآئدة.

وفى قول عيسى:

«لأنه هكذا يليقُ بنا أن نُكَمِّلَ كلَّ برٍّ» متى ٣.

دليل على نبوّة من سبقه.

وفىَ إنجيل «يوحنا» نجد دليلاً عمن سيأتى بعده:

«لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزّي» يوحنا ١٦.

وكلمة «ٱلمعزِّى» ٱختارها ٱلمحول بدلا من كلمة «أحمد». وقد حرص ٱلمحوّل علىَ أن تكون ٱلكلمة غير ٱسم «أحمد» وأن تحمل من دليل ٱلفعل «عزّ» ٱلذى يدل على ٱلدعم وٱلرفد. فٱلمعزى هو ٱلداعم وٱلرافد لما جآء به ٱلمسيح من فعل وقول. وبهذا ٱلدليل للكلمة ٱلمختارة من قبل ٱلمحوّل بقى مفهوم يدل أن نبيًّا ورسولاً سيأتى من بعد عيسى.

وما جآء فى ٱلقرءان يبيّن أن محمدًا هو رسول ٱللّه للناس جميعًا:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

وجآء فىَ إنجيل «يوحنا» ٱلقول ٱلتالى للمسيح:

«ومتى جآء ذاك روح الحق يُبكِّتُ العالم على خطيّةٍ وعلى برٍّ وعلى دينونة» يوحنا ١٦.

وجآء فيه عمّا سيأتى به ذلك ٱلمعزى:

«وأَمّا متى جآء ذاكَ رُوحُ الحقِّ فهو يُرْشِدُكُمْ إلى جميع الحقِّ لأنه لا يتكلَّم من نفسه بل كلُّ ما يسمعُ يتكلَّمُ به ويخبركم بأُمورٍ آتيةٍ. ذاك يُمجِّدُني لأنَّهُ يأخُذُ مِّما لي ويخبركم» يوحنا ١٦.

وفيه مسآئل متعددة. فٱلذى يخبر عنه يوحنا من قول لعيسى هو ما يلى:

«ذاك روح الحقِّ».

وهو «يرشدكم إلى جميع الحقّ».

وهو «لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلَّمُ به ويخبركم بأمورٍ آتية».

وهو «يمجدني».

ما خبّر به يوحنا من قول لعيسى جآء فى ٱلقرءان تصديق له:

﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ﴾ ٩١ ٱلبقرة.

وعن محمد:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ﴾ ١١٩ ٱلبقرة.

وعن ءايات ٱللَّه:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ٢٥٢ ٱلبقرة.

ويظهر فى هذا ٱلبلاغ أن ٱلأيات تُتلى على ٱلرسول لأنه «لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به». كما يبين أن ٱلرسول محمد هو رسول للناس وأن ما جآء به هو ٱلحق:

ﮋيا أيُّها ٱلناس قد جاءَكم ٱلرَّسولُ بٱلحقِّ مِن رَّبِّكُم﴾ ١٧٠ ءال عمران.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ ٣٣ ٱلتوبة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ ١ ٱلرعد.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ ١٠٥ ٱلإسرآء.

﴿أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ ٧٠ ٱلمؤمنون.

﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ ٩٠ ٱلمؤمنون.

﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ﴾ ٧٩ ٱلنمل.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ ٣١ فاطر.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ ٢ ٱلزمر.

ويبين ٱلبلاغ أن ٱلذىَ أُوحىَ إلى محمد هو ٱلروح:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ /١٩٣/ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ /١٩٤/﴾ ٱلشعرآء.

وعن تمجيد عيسى جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ ٢٥٣ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ ٤٥ ءال عمران.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ٥٥ ءال عمران.

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ ١٧١ ٱلنسآء.

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ٣٤ مريم.

وعن ٱلإرشاد إلى جميع ٱلحق جآء فى ٱلبلاغ:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ١٥٨ ٱلأعراف.

إنَّ ٱلقول عن ٱلمعزّى «وهو يرشدكم إلى جميع الحق» فيه دليل على خروج ٱلرسالة ٱلتى بعد ٱلإنجيل عن حدود ٱلعلم فى ٱلجزء إلى ٱلبيان لكلِّ شىء برًّا كان أم خطيَّة. وٱلبرُّ هو ٱلصدق وٱلوفآء وٱلخلو من ٱلكذب وٱلخيانة. وقول عيسى «متى جآء ذاك يبكِّت العالم على خطيّةٍ وعلى بـرٍّ وعلى دينونة» يُظهر توجُّه ٱلرسالة وٱتساع بيانها. فكلمة بكَّت تدل على ٱلتهشيم وٱلتمزيق. وٱلإنسان يمزَّق بين ٱلحق وٱلباطل. وعليه تُؤسَّس ٱلدينونة وفيها ٱلحساب لطرفى ٱلجدلية ٱلبارُّ وٱلخَطِئُ.

وعودةٌ إلى ٱلأَبِ وٱلابن فقد جآء عن لسان عيسى:

«فكونوا أنتم كاملين كما أنَّ أَباكم الذي في السّموات هو كامل» متى ٥.

وفيه بيان أن ٱلأب «الذي في السَّموات» ليس أبًا لـ عيسى وحده. بل هو أَب للذين يخاطبهم جميعًا. وٱلطلب فى قول عيسى يدعو ٱلإنسان ليكون كٱلأب «الذي في السَّموات» وهو ٱللّه ٱلخالق ٱلعليم ٱلفعّال لما يريد. وٱلإنسان هو ٱلخليفة فى ٱلأرض وعليه أن يتبع منهاج ٱلأب حتى يصير كاملاً.

وجآء فى ٱلبلاغ عن ٱلخليفة:

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

وجآء عن ٱقتران ٱلقول بٱلفعل:

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ٣ ٱلصّف.

كلمة «أب» لا تدل على ٱلوالد. كمآ أن كلمة «ٱبن» لا تدل على ٱلولد. وإنّ ٱلعلاقة بين ٱلأب وٱلابن هى علاقة علم ومنهاج وليست علاقة توالد وتكاثر ونسب. فٱلأب هو صاحب ٱلعلم وٱلمنهاج. وعيسى ٱبن مريم هو أحد أبنآء ٱللّه ٱلذين ٱلتزموا ٱلعلم وٱلمنهاج ٱلإلـٰهىّ. وهو أكثرهم وأبرزهم ٱتباعًا للّه. لأنه ٱلوحيد بينهم ٱلذى تأيّد بٱلروح ٱلقدس ولم يكن فريسة لوسوسة ٱلشيطان ٱلذى يتولد فى ٱلنفس بسبب نقص ٱلتقوى وٱلدراية وٱلعلم.

لقد أيد ٱللّه عيسى بٱلروح ٱلقدس وعلمه ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل وبذلك جعله ءاية للناس. وٱلأية لهآ أشراطها وأذونها. وعلى ٱلإنسان أن يكشف عن هذه ٱلأشراط وٱلأذون ليتعرف على ٱلأية ويعلم ٱلحقّ. كما عليه أن يعمل على تثبيت ذكر ٱللّه فى قلبه بوسيلة فهم ٱلكتاب ٱلمبين حتى يوصل بجهده إلى جعل ما فيه من روح روحا قدسا. وعند ذلك يستطيع وقف وسوسة ٱلشيطان بأى أسلوب يأتيه. ويصير ٱبنًا للأَب ٱلذى لم يلد ولم يُولَد.

جآء فىَ إنجيل «متى»:

«ليسَ كل من يقول لي يا ربُّ ياربُّ يدخل ملكوتَ السَّمٰوات. بل الَّذي يفعل إرادة أبي الذي في السَّمٰوات» ٱلأصحاح ٧.

«أبي الذي في السَّمٰوات» هو ٱللّه بٱلنسبة لـ عيسى. أمّا ٱلذين حاوروه من ذريّة إبراهيم فإلـٰههم إبليس وهو أبوهم. وهم ومن مثلهم ضالون بدليل ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ٤٣ ٱلفرقان.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٢٣ ٱلجاثية.

وأرىَ أن إدراك وعلم ٱلمرء يصنع إلـٰهه. فٱلضَّال إلـٰهه هوىٰه. وإذا تليت عليه ٱلحقَّ لا يسمعه ولا يوصل إلى قلبه. وهو لا يبصره بسبب ٱلغشاوة. فلا ينفع معه حوار ولا بيان مهما كان مفصلاً.

وأقول أنَّ أبَ عيسى هو ٱللَّه. وهو ٱبنٌ لِّلَّهِ. وقد أيَّدَهُ ٱللَّه بٱلروح ٱلقدس فصار منيعًا على ٱلشيطان. وظهر تطابق قوله وفعله فى ٱلأيات ٱلمبيّنات ٱلمبصرات ٱلتى جرت أمام ٱلناس محققًا بذلك إرادة ٱلأب ٱلذى فى ٱلسَّمٰوات ٱلتى يظهرها ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

ٱلخليفة يفعل ما يقول لأنه خليفة ٱلفعّال لما يريد. وخلافته تحدث بٱلتزامه ٱلعلم ٱلذىَ أتىٰه من ٱللَّه:

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ ١١٠ ٱلمائدة.

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ٢٥٣ ٱلبقرة.

فقد علّمه «ٱلكتٰب وٱلحكمة وٱلتّورىٰة وٱلإنجيل» وأيّده «بروح ٱلقدس»

وكلّ ذلك ما هو إلاّ بعض علم ٱللَّه ٱلعليم بدليل ٱلبلاغ:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

فكل ٱلعلم ٱلذى يمكن للإنسان أن يحصل عليه قليل. وهو ٱلروح ٱلقدس وٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل. وهو علم حقّ لا ظن ولا باطل فيه. فمن يتبع ٱلحقّ ويعيشه هو ٱلذى يسير فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق. فيعلم كيف بدأ. ويخلق ويسوِّى ويُحِى ٱلموتى كما فعل ٱلخليفة ٱلمَثَلُ عيسى.

فىَ إنجيل «لوقا» ٱلقول ٱلتالى:

«وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً» الاصحاح الأول ١٧.

فعندما «امتلأ زكريا من الروح القدس» بدأ يقول معلومات غير معروفة. وهذا دليل علىَ أن ٱلروح ٱلقدس هو ٱلعلم.

ونتابع مع «لوقا» فىَ إنجيله:

«أما الصبي فكان ينمو ويتقوى بالروح» الاصحاح الأول ٨٠.

«وكان الصبي ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمة» الاصحاح الثاني ٤٠.

ٱلامتلآء بٱلحكمة سببه هو ٱلتقوية بٱلروح. وهذا يدل على ٱلعلم. ويزداد بيان هذا ٱلأمر فى ٱلقول ٱلتالى:

«ولما كانت له اثنتا عشرة سنة . . . وجداه في الهيكل جالساً في وسط المعلمين يسمَعُهُم ويسألهم. وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . . . وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند اللّه والناس» ٱلاصحاح ٱلثانى ٤١/٤٦ و٥٢.

وهنا تظهر لنا فترة تأييده بٱلروح ٱلقدس. فٱلصبى يتقدم بٱلحكمة.

وجآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ١١٠ ٱلمائدة.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ٤٦ ءال عمران.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ ٢٩ مريم.

فٱلذى يتكلم فى ٱلمهد يتكلم لأنه تلقى علمًا بما يقول. ومن يتكلم بٱلمهد يكون تلقيه للعلم يسبق وضعه.

وكما جآء فىَ إنجيل لوقا فإن ٱلصبى ٱلذى تكلم فى ٱلمهد عندما «كانت له اثنتا عشرة سنة» كان ٱلعلم ٱلذى تلقّٰه بدأ يفصح عن نفسه حكمة.

أعود إلى ٱلخليفة ٱلمطلوب منه أن يفعل ما يقول. وأعرض قولا جآء فىَ إنجيل «يوحنا»:

«لأنه كما أَنَّ الآب يقيمُ الأمواتَ ويحيي كذلك الإِبنُ أيضاً يحيي من يشاء» ٱلاصحاح ٥/٢١.

وٱلابن ٱلذى فعل ذلك هو عيسى ٱلمثل على ٱلخليفة. وهو ٱلأية ٱلتى علينا ٱلعلم وٱلمعرفة بأشراطها وأذونها حتى نكون أبنآء أخرون للأب. أما ٱلذين لا يتوجهون لكسب ٱلروح ٱلقدس وٱلعلم بٱلأية ٱلمَثَلِ فهم مثل ذرية إبراهيم ٱلتى حاورت عيسى (ٱلاصحاح ٨/ إنجيل يوحنا). وقد جآء فى قول عيسى لمحاوريه:

«أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم» يوحنا ٤.

فٱلذين هم أبنآء لإبليس يخضعون لما لا يعلمون بسبب ٱلجهل. أمآ أبنآء ٱللَّه فيخضعون عن علم ملتزمين ٱلأمر ٱلتالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

لقد بين حوار عيسى مع هؤلآء أنَّ مِن ذرية إبراهيم مَن هو ٱبن لإبليس. كذلك بين ٱلبلاغ ٱلعربى ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وبين ٱلحوار أن عيسى ٱبن ٱللَّه لأنه إنسان يتكلم بٱلحقِّ «الذى سمعه من اللَّه». كما بين أن ٱلمحاورين هم أبنآء لإبليس وأنهم لا يسمعون كلام ٱلحقِّ وهذا يوكّده ٱلبلاغ:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ٥ فصلت.

فٱلعلاقة بين ٱلأب وٱلابن هى علاقة ٱلتابع للمتبوع فى ٱلمنهاج وٱلفعل وٱلقول. بين ٱلمعلم وٱلطالب للعلم. وهى ليست علاقة نسب وتوالد. ونجد فى ٱلحوار أن ٱلذين يتبعون إبليس يطلبون قتل ٱلذى يقول ٱلحقَّ. وهذا نجده ٱليوم عند أولـٰئك ٱلذين «يهدرون ٱلدم». فمآ أشبه هؤلآء بأولـٰئك ٱلذين يدَّعون أنهم أبنآء إبراهيم وهم لا يعملون أعمال إبراهيم!.

لَبسُ ٱلدليل

تحشر ٱللغة ٱلفصحى كلاما يلبس دليل كل منه بٱلأخر. بل يكاد يكون بدليل واحد. ومن هذا ٱلكلام: لبس وجلب وثاب وقمص وخَمَرَ. وكان ٱلذين كفروا منذ ٱلبداية ورآء هذا ٱللبس ٱلذى يجعل ٱلعجمىّ يُلبس ٱلعربىّ ويعمى عن ٱلحقّ فى كتاب ٱللَّه.

فى ٱلقرءان بيان يفرق فيه ٱلّسان ٱلأعجمىّ عن ٱلّسان ٱلعربىّ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٠٣ ٱلنحل.

ٱلذى يلحدون إليه هو ٱلقس ورقة بن نوفل أو ٱلكاهن بحيرة أو سلمان ٱلفارسىّ. وٱلثلاثة بشر ولسانهم هو لسان بشر. وفى ٱلبلاغ ١٠٣ ٱلنحل تفريق بين لسان ٱلبشر ٱلذى يأتى بقول عن ٱلحق بحدود ما يعلم فيه. ويعجم عن بقية ما لا يعلم. وبين لسان ٱلوحى ٱلذى يحمل قوله بيانًا عن جميع ٱلحق ولا يعجم عن شىء منه.

لسان هذا ٱلوحى حمل ٱلصفة عربىّ. وهى ٱلصفة ٱلتى تدل على ٱلكشف وٱلظهور وٱليسر. وهو لسانُ وحديثُ ٱلرَّسول محمد أوحَىٰه له ربُّهُ وأنزله على قلبه.

لسان ٱلوحى عربىٌّ مُّبينٌ لِّجميع ٱلحقّ. أمّا لسان ٱلبشر فلا يُعرب من ٱلحقّ إلا ما علم به منه. وعندما يزعم ٱلبشرُ ٱلعلمَ بجميع ٱلحقّ يَصعُب لِسانه ويُبهم.

وتتداخل وتلبس كلماته ببعضها. ويرجس فيه ٱلحق بٱلباطل.

هذا ما دفعنى للبحث فيما يرجس فيه دليل كلمة «لَبَسَ» فيَ أعمال ٱلذين لغوا فى ٱلقرءان شرحًا وحديثًا وجمعًا للكلام من هنا ومن هناك.

لقد جرت كلمة «لبس» فى ٱلبلاغ ومنه ما يلى:

﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ ٤٢ ٱلبقرة.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ ٨٢ ٱلأنعام.

وما يبينه ٱلبلاغ أن ٱلباطل يتداخل مع ٱلحق ويغطيه. وأن ٱلظلم يتداخل مع نور ٱلإيمان ويغطيه. وأفهم أن «لَبِسَ» يدل على تداخل بين أمرين متناقضين وأن على ٱلإنسان أن يميز بينهما.

كمآ أرىَ أنّ «لبس» يقوَى علىَ إخفآء أحد ٱلأمرين تاركًا لنا ٱلبحث عنه. أو ٱلإيمان ٱلظنىّ بأحد طرفى ٱلزوجية:

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ ٦٥ ٱلأنعام.

فهو يلبسنا ٱلفرقة وٱلظن أن كّلاً مِنّا هو مالك ٱلعلم بٱلحقّ. وأن ٱلأخر لا حقّ عنده. وينشأ عن هذا ٱلظن تحاربنا وتخاصمنا وتقاتلنا.

ولا يخرج جريان «لبس» فى ٱلبلاغ عن هذا ٱلدليل ٱلجدلى:

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

ونعلم أن «لباس ٱلتَّقوىٰ» يغلب لباس ٱلكفر وٱلعدوان بسبب ٱلوسع فى حركة ٱختيار ٱلقول وٱلفعل. وهو ما تدل عليه كلمة «خير» من ٱلأصل «خَيَرَ».

أما لباس ٱلكفر وٱلعدوان فهو ضيّق على حركة ٱلقول وٱلفعل بسبب ٱلجهل.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ ١١٢ ٱلنحل.

ٱلغالب هو «لباس ٱلجوع وٱلخوف». وٱلفاعل فيه هو «بما كانوا يصنعون». ولوَ أن صناعتهم سارت فى سبيل ٱلتقوى وٱلخير لغلب لباس ٱلوفرة وٱلأمن.

ويبيّن ٱلبلاغ أن نزع ٱللباس يكشف ٱلحقّ:

﴿يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾ ٢٧ ٱلأعراف.

ٱلفعل «يرى» يجرى فى ٱلقلب وهو من أفعاله وليس من أفعال ٱلعين. ومعرفة ٱلسُّوء تحدث فى ٱلقلب وليس فى ٱلعين. وهذا حدث فكرىّ ينجم عنه حكم على ٱلأعمال. وفهم ما فى ٱلبلاغ لا يبين أن نزع ٱللباس جرى عن جسم فصار عاريًا كما ظن ٱلمفسرون للبلاغ ومن تبعهم. وإنَّ ٱللباس ٱلمنزوع هنا هو ٱلظلام وٱلعمى فى ٱلقلب ٱلذى بدأ بنور فيه يرى ويحكم.

كمآ أن كلمة «سوءٰتهما» هى ٱسم جمع لسوءة ودليلها من دليل ٱلفعل «سآء يسوّء». وهى لا تدل على ٱلفروج كما جآء عند ٱلسادة ٱلمفسرين ومن سار على طريق قولهم ٱلأعجمىّ. وكلمة سوءة تصغير لكلمة سوّء. لأن أعمال ءادم وزوجه لم تأتِ عن علمٍ وعزمٍ. ولم يبدأ ٱلعزم فعله لديهما حتى نزع عنهما لباسهما وبدأ ٱلقلب يرى ويميز بين ٱلأعمال. وهذا ما يبينه ٱلبلاغ:

﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ ١١٥ طه.

لقد تعلم ءادم «ٱلأسمآءَ كُلَّها» لكنه ما زال فى طور ما قبل ٱلذكر فنسىَ. وهذا يجعل ٱلطور ٱلجنىّ(*) ٱلوحشىّ «كان ظلوما جهولا» يلبس ٱلعلم بٱلأسمآء. وءادم لا عزم لديه. لأن أبرز أشراط ٱلعزم هو ٱلذكر. وٱلذى ينسى يفقد ٱلعزم. وءادم تعلم «ٱلأسمآءَ كُلَّها» وهو كان «ظلوما جهولا» لكنه لم يبدأ تعلم ٱلنظر فى «كيف بدأ ٱلخلق» لهذه ٱلأسمآء. فهو ما زال عند ٱلبداية وٱلاسم عنده هو كينونة كلية ظاهرة لا تفصيل فيها بعد. ونزع لباسه عنه جعله يرىٰ أن فى بعض أعماله سوءة لكنه لا يملك ٱلخبرة فى صناعة ٱلإصلاح. وهذا ما بينه ٱلبلاغ:

﴿فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ ١٢١ طه.

ٱلفعلان «طفق» و«خصف» لم يجر أىّ منهما فى بلاغات ٱلقرءان خارج

(*) ٱلجنىّ نسبة إلى ٱلجنّ وهى قوى خفية فى ٱلإنسان يظهر فعلها عند فقدان ٱلحلم. وهو ما يعرف فى ٱللغة ٱلفصحى لغوًا بٱسم ٱلغريزة.

ٱلبلاغات ١٢١ طه و٢٢ ٱلأعراف و٣٣ ص. وٱلفعلان يفعلهما من لا خبرة له بما يفعل مثل ءادم وزوجه. وبمتابعة فقه دليل كل من ٱلفعلين توصلت إلى ٱلبيان.

فٱلفعل «طفق» يدل على ٱلانطلاق للقيام بأعمال من دون دراية وخبرة فيها ولا فيما ينجم عنها. وهو فعل كل طفل كان قد قام بفعل ثم توجّه ليزيل أثره بعد أن رأى قلبه فيه سوءة. فيقوم بأفعال يأتى بها نقص ٱلدراية وٱلخبرة فتزيد من سوءة فعله ٱلأول. وهو ما يبينه ٱلفعل «خصف» ٱلذى يدل على ٱلأعمال ٱلتى يقوم بها ٱلطفل على عجلٍ من دون دراية وخبرة بما يعمل.

«بدت لهما سوءٰتهما» ٱلفعل «بدت» يدل على ٱلكشف وٱلعرض وٱلحكم. وهذا ٱلفعل يستند إلى ٱلفعل «رأى». وكل من ءادم وزوجه لم يصل إلى طور ٱلخبرة فى ٱلأعمال. فكانت أعمالهما من دون دراية وخبرة. وجآء ٱلفعل «طفق» ليدلنا على ٱلانطلاق فى ٱلعمل يتبعه ٱلفعل «خصف» ليدلنا علىَ أفعال مَن يريد إصلاحا من دون خبرة ودراية فى كيف يحدث ٱلإصلاح.

ولقد بين لنا ٱلبلاغ وسآئل هذين ٱلفعلين وهى «من ورق ٱلجَنَّة». ودليل «ٱلورق» من دليل ٱلفعل «وَرَقَ» ٱلذى يدل على ٱختلاط لونين كٱلأسود وٱلأبيض وٱللبن بٱلمآء. وٱلورقآء هو مكان حُبس عنه ٱلمآء وهو يابس لا نبت فيه.

وأفهم من ٱلبلاغ أن أعمال ءادم وزوجه كانت خليطًا بين فعل لازم للعمل وفعل لا لزوم له. فجآء عملهما رمادى ٱللون.

وأرى فى كلمة «ٱلجَنَّة» زيادة فى ٱلبيان. فدليل ٱلكلمة من دليل ٱلفعل «جَنَّ» ٱلذى يدل على ٱلستر وٱلخفآء وٱلظلام. وٱلجَنَّة هى قوى ٱلأفعال ٱلجنية ٱلوحشية ٱلخفية ٱلمستورة فى نفس ءادم وزوجه. وكلاهمآ أقرب إلى ٱلوحش من ٱلإنسان ٱلمفكر ٱلخبير.

لقد خلق ٱللَّه ٱلجن وسوَّىٰه قبل خلق وتسوية ٱلإنس. وهى ٱلقوى ٱلفاجرة فى نفس ٱلوحش ٱلتى تحكم نفوره وسكنه من دون أن يرىَ أو يدرى بتلك ٱلقوى. وهو ما يعرف فى ٱللغة ٱلفصحى بٱلغريزة. فٱلإنس طور يلى طور ٱلوحش بنفخ

ٱلروح. وبه يكسب ٱلتعلم بٱلأسمآء. وبعد أطوار من ٱلتدريب على ٱكتساب ٱلخبرة يبدأ يقلِّم بينها ويكتسب ٱلدراية وٱلخبرة فى ٱلنظر كيف بدأ خلقها. وهذا ٱلاكتساب يُنقص أفعال ٱلجن ولا يزيلها. فٱلإنسان تلبسه قوى ٱلجن عند زوال ٱلعزم فيبدأ «يطفق ويخصف» وتكون وسآئله «من ورق ٱلجَنَّة» فينجم عنها رماد ويبس وحبس للمآء.

جرى ٱلفعل «لبس» فى ٱلقرءان وبين أنه غطآء وستر لأحد طرفى جدلية زوجية وكشف للأخر. فٱلجهل يلبس ٱلعقل وٱلعمى يلبس ٱلبصر وٱلوقر يلبس ٱلسمع وٱلباطل يلبس ٱلحقَّ.

أما لباس ٱلجسم فقد جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ٢٣ ٱلحج.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ﴾ ٨٠ ٱلأنبيآء.

فى هذين ٱلبلاغين لباس للجسم. وهو إمآ أن يكون ليِّنًا طريًّا دافئًا كٱلحرير. أو يكون حصنًا لأجسامنا فى ٱلقتال كٱلدريئة ٱلحديدية ٱلتى تعرف فى ٱللغة ٱلفصحى بكلمة درع. ولباس ٱلجسم يلبس جسمنا ويواريه ورآءه. سوآء ءكان حريرًا أم دريئة حديدية.

لقد قال ٱلمفسرون أنَّ «من ورق ٱلجَنَّة» لباس لجسم ءادم وزوجه. وقد رأيت أنه من وسآئل ٱلفعل «خصف» وهو بيان لأعمالهما ٱلموجهة لإصلاح ٱلسَّوءَة لا لباس لجسميهما.

فقد رأى ءادم وزوجه أن بعض أعمالهما قبيحة وكريهة ومشينة فٱنطلقا من دون دراية وخبرة فى صناعة ٱلإصلاح. فجآءت أعمالهما بقوى ٱلفعل ٱلجنّيّ «ٱلغريزيّ» ٱلتى تخلوا من ٱلعزم ٱلذى يعتمد على ٱلذكر وٱلحلم فيه. ومن يعمل بهذا ٱلفعل يدرك أن عمله لم يصلح ويتوصل إلى حكمٍ يدفعه إلى طلب ٱلزيادة فى ٱلعلم ويتوب. وهذا ما نرىٰه فى ٱلبلاغ:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ ٣٧ ٱلبقرة.

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ ١٢٢ طه.

ٱلفعل «تاب» يدل على طلب ٱلعذر وٱلعهد بٱلتزام موقف جديد صالح يقوم على ٱلعزم ويبعد عن ٱلطفق وٱلخصف ٱلجنيِّين. وتلزم للفعل «تاب» زيادة فى ٱلكلمات. كما تلزمه هداية. وهذا طور جديد من ٱلعلم وٱلمعرفة يلبس ٱلطور ٱلجنىّ. وهو ما يدل عليه ٱلفعل «ٱجتبٰه» ٱلذى يدل على ٱلورود وٱلجمع وٱلاصطفاء. ويبين ٱلاصطفآءَ ٱلبلاغُ ٱلتالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

وهذا جرى بفعل «تَلَقَّىٰٓ ءَادمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عليه». ويبدأ ٱلفعل ٱلإنسانى يلبس أفعال وأعمال ءادم ٱلتى صار ٱلعزم ٱلفاعل فيها. ويبعد ٱلمصطفى عن ٱلفعلين «طفق» و«خصف» وعن وسآئله «من ورق ٱلجَنَّة».

وأرىَ أننآ أمام أعمال طفل صغير لم يبلغ طور ٱلعزم. وما قاله ٱلمفسرون ومن يتبعهم فى ٱلقول أعجمىٌّ يلبس ٱلبيان. وقد رأوٓا أن «من ورق ٱلجَنَّة» لباس للفروج. وفهموٓا أنه ورق أشجار وأنها كانت ٱلبداية للباس ٱلجسم.

وحتى يكون قولنا بيّن فى مسألة ٱللباس أتابع فى فقه ٱلكلمات ٱلمتعلقة بلبس ٱلمسألة. ونأخذ ٱلفعل «حَفَظَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال «حرس وصان وحصن» كما تبينه ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْۚ﴾ ٣٠ ٱلنور.

﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ ٣١ ٱلنور.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ٩٢ ٱلأنعام.

﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ ٢٣٨ ٱلبقرة.

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ ٧ ٱلصافات.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ١٢ يوسف.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ ١٠٤ ٱلأنعام.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ ٥٥ يوسف.

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ ١١٢ ٱلتوبة.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ٩ ٱلحجر.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ ٥ ٱلمؤمنون.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ ٣٢ ٱلأنبيآء.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ ٢٢ ٱلبروج.

وأفهم من ٱلبلاغ أن حفظ ٱلفروج يأتى به فعل إرادة وعزم. فٱلمؤمن يحفظ فرجه ويواصب(*) على حرسه وصونه وحصنه فلا يستعمله إلا لإرادة ٱلتوالد بٱلإشتراك مع زوجه. ولا يضرع(**) لأى عارض. ولآ أجد فى هذا ما يشير إلى لباس للجسم. فٱلحفظ فعل إرادة ودراية وعلم ووقاية وعزم. ولباس ٱلجسم ليس فيه عزم من ذاته. وٱلإنسان ٱلمؤمن يحفظ فرجه ولو كان عاريًا. وٱلنظر فى ٱلبلاغ يبيّن ٱلعزم لدى ٱلمؤمن:

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ ٣٠ ٱلنور.

ٱلفعل «يَغُضُّواْ» يدل عليه ٱجتماع ٱلأفعال (لآنَ وخَفَضَ وكَفَّ وحَطَّ) وهو يتوجه إلى قلب ٱلمؤمنين ليفعل فى بصرهم. وٱلفاعل فى ٱلبصر هو ٱلعزم. فٱلذى لا يغضُّ بصرَه لا عزم لديه. وبصرُه شاخص صارم. أما ٱلذى يغضُّ بصره فقد ذلّل أفعاله ٱلجنيّة وألبسها بٱلعلم وٱلاتقان وٱلخبرة وٱلحلم وٱلعزم. ولذلك جآء فى ٱلبلاغ «إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ». وٱلفعل «صنع» يدل على ٱتقان أعمال كان صانعها قد ذللها من قبل بما تعلم وكسب وخبر.

(*) يواظب فى ٱللغة ٱلفصحى.

(**) ضَرَعَ يدل على ٱلخضوع من بعد ضعف.

ونتابع ٱلنظر فى ٱلكلمات ٱلتى تلبس فى ٱلدليل ومنها ٱلفعل «حَصَنَ»:
﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ١٢ ٱلتحريم.
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ٢ ٱلحشر.
﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ٣٣ ٱلنور.
﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ ٨٠ ٱلأنبيآء.
﴿لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ ١٤ ٱلحشر.

ٱلفعل «حَصَنَ» يضم دليل كل من ٱلأفعال (منع ووقى وعفَّ). فٱلتىَ أحصنت فرجها فتاة بلغت ٱلنكاح ويكثر طالبوهآ إن أرادت ذلك. إلآ أنها جعلت بينها وبينهم حصنًا فٱتخذت من ٱلمحراب(*) إلى جانب معلمها زكريا مقرًّا لها تكتسب فيه ٱلعلم «بكلمٰت ربها». وقد توصلت إلى طلب ٱلرزق فى ٱلمحراب وسعت إليه حتى تحقَّق طلبها. فٱلذىَ أحصن فرجها هو ٱنصرافها للنظر وٱلبحث وٱلعلم وٱلعمران فى ٱلمحراب.

بين ٱلبلاغ أن ٱلحصن منيع يوقى ساكنيه من أعدآئهم. كذلك هى ٱلدريئة ٱلحديدية (ٱلدرع) حصن للجسم عند ٱلقتال من ٱلطعن. وقد رأينا أن «حَصَنَ» فعل يجرى بإرادة ٱلفاعل للامتناع وٱلوقاية وٱلعفة. وهو فعل كل من كان لديه عزم.

بعد لبس وحفظ وحصن ننظر فى ٱلبلاغ ٱلتالى:
﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى

(*) ٱلمحراب هو ٱلمخبر كمخابر ٱلفيزيآء وغيرها.

ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٣١ ٱلنور.

ونبدأ بٱلأمر «وَلْيَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ». فإنّ ٱلفعل «ضرب» يدل على ٱلحركة وٱلانتشار ومنه ضرب ٱلمثل وضرب فى ٱلأرض.

وٱسم «ٱلخُمُر» جمع «خَمرٍ» ودليله من دليل ٱلفعل «خَمَرَ» ٱلذى يدل على ٱلمخالطة فى سرٍّ وخفية وغلق ونشر رآئحة طيبة. وهذا ما يحدث عند تخمير سكّر ٱلفاكهة وتغييره إلى خمر. وهو ٱلذى يعرف فى ٱللغة ٱلفصحى بٱسم ٱلنبيذ أو ٱلكحول. ولآ أجد فى ٱلبلاغ جريانًا للفعل إلى «خمار» كما فى ٱللغة ٱلفصحى. ولم يجر ٱستعمالها فى ٱلبلاغ إلا بهذا ٱلدليل:

﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ١٥ محمد.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ﴾ ٣٦ يوسف.

﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ﴾ ٤١ يوسف.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾ ٢١٩ ٱلبقرة.

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ ٩٠ ٱلمآئدة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ ٩١ ٱلمائدة.

لقد دل ٱلبلاغ ١٥ محمد ٣٦ وٱلبلاغ ٤١ يوسف أن ٱلخمر شراب. فكيف صار ٱلخمر لباسًا للجسم عند ٱلمفسرين؟

كما بيّن ٱلبلاغ ٩١ ٱلمآئدة أن ٱلخمر يجعل فكر شاربه ٱلمكثر يرجس ٱلحقّ فى ٱلظن وتغلب ٱلظنون على فكره وتُوقعه فى ٱلعداوة وٱلبغضآء.

فٱلخمر شراب وٱسم ٱلجمع له «خُمُرٌ». وفى ٱلأمر وٱلتوجيه «وَلْيَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ» لون من ٱلتعقيم للجيوب وليس لباسًا يغطيها. وٱلمؤمن ٱلذى يعلم ويفقه دليل كلّ من (لبس وحفظ وحصن) يستطيع أن يحفظ فرجه ولو

كان عاريَ ٱلجسم. وهو يعلم أن تعقيم ٱلجيوب بنشر ٱلخمر عليها يمنع ٱلفطور وٱلجراثيم من ٱلتكاثر ويمنع ٱلمرض. وبنشر ٱلخمر على جيوب ٱلمؤمنة تمنع ٱلأذى عنها وعن زوجها على ٱلسوآء. كما تمنع ٱلأذى عن مقرّ ٱلجنين وتحمى ٱلنسل من ٱلفساد.

فى هذا ٱلتوجيه حاجة للعقل وٱلفكر وٱلفقه وٱلعلم وٱلدراية وٱلخبرة وٱلاتقان وٱلعزم.

ومآ أرىٰه فى ٱلنهى «ولا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنهَا» يزيد ٱلمسألة كشفًا وبيانًا. فإن ٱلفعل «بَدَىَ» يدل على كشفٍ وعرضٍ وحكمٍ علىَ أمرٍ كان خفيًّا. وٱلبلاغ يبين لنا ٱلدليل:

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ٢٨٤ ٱلبقرة.

فإن ٱلأمر وٱلتوجيه يخاطب مؤمنة لديها قوَّة إدراك ٱلخطاب. كمآ أنَّ لديها علم بٱلحاجة إلى تعقيم جيبها وإلى ٱستعمال فرجها. وهو زينة غير ظاهرة.

فقد بدأ ٱلأمر بٱلتوجيه لغضّ ٱلبصر وحفظ ٱلفرج. وهذا مطلوب إدراكه قبل إدراك ٱلأوامر ٱلأخرى. ومنها ضرب ٱلخُمُر على ٱلجيوب. لأن حفظ ٱلفرج يجرى بإرادة وعلم وعزم بعيدًا عن ٱلفعل «طفق» وٱلفعل «خصف» ٱلجنِّى.

وفى البلاغ ٣١ ٱلنور تحديد للذكور ٱلذين يمكن للمؤمنة أن تبدى زينتهآ أمامهم. وأكثرهم من ٱلمحارم. ومآ أرىٰه فى ضرب ٱلخُمُر على ٱلجيوب أن حاجة ٱلتعقيم لا تنتظر غياب أىّ من ٱلمعدودين فى ٱلأية. وأرى فى ٱلنهى «وَلا يَضرِبنَ بِأَرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ» أنَّه نهىّ عن إظهار ما خفى من ٱلزينة. فضرب ٱلأرجل هو إبعادها عن بعضها ليظهر ويعلن من ٱلزينة ما سُوِّىَ مخفيًّا وهو ٱلفرج.

ويدلنى على هذا ٱلفهم ٱلفعل «لِيُعلَمَ» ٱلذى يدل على حدود ٱلأشيآء فىَ أبدانها وألوانها وأجزآئها وتقليمها عن بعضها. فٱلمؤمنة ٱلتى تريد تعقيم جيبهآ أمام ٱلمعدودين فى ٱلأية ٣١ ٱلنور يمكنهآ أن تفعل ذلك من دون أن تباعد بين

رجليها وتظهر ٱلزينة ٱلمخفية فى ٱلجيب وهى فرجها. وكلاهما زينتها ٱلظاهر منها وٱلمخفى.

وفىَ أخر ٱلتوجيه ٱلطلب «وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّـهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ». وهو طلب للاعتذار عن مخالفة ٱلتوجيه وٱلتعهد بٱلتزام ٱلموقف ٱلجديد ٱلموافق له وٱلعزم فيه.

وأتابع مسألة لبس ٱلدليل مع كلمة «ثاب» كما جرى فى ٱلبلاغ:

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤ ٱلمدثر.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ ١٩ ٱلحج.

﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ ٣٦ ٱلمطففين.

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ ١٩٥ ءال عمران.

﴿فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ ٨٥ ٱلمآئدة.

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ٣١ ٱلكهف.

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ ٥٨ ٱلنور.

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ ٦٠ ٱلنور.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ١٢٥ ٱلبقرة.

«ثاب» يضم دليل كل من ٱلأفعال (جزى وكسا ولبس). وٱلثوب للجسم من هذا ٱلدليل. وهو ٱلذى جآء فى ٱلبلاغ ٥٨ و٦٠ ٱلنور. وهو ٱلبيت كما فى ٱلبلاغ ١٢٥ ٱلبقرة. وهو ثوب للقلب فى ٱلبلاغ ٤ ٱلمدّثر. وهو ٱلجزآء كما فى بقية ٱلبلاغات. فٱلجزآء يطابق ما كسبت ٱلنفس:

﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ ٥١ إبراهيم.

وجزآء ٱلنفس ثوبها ٱلخالد إمّا «ثِيَابًا خُضرًا مِّن سُندُسٍ وَإِستَبرَقٍ» أو «قُطِّعَت لَهُم ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ». فٱلثوب غطآء للإنسان كٱلبيت. وهو غطآء لجسمه أو بعض جسمه. وغطآء لقلبه بما فيها من مناهج ومفاهيم. وغطآء له خالد فى ٱلحياة

ٱلأخرة. ولا يوجد فى ٱلبلاغ أى تحديد لهيئة ٱلثوب ٱلذى يلبس جسم ٱلإنسان (طويل قصير ضيّق واسع أبيض أسود متعدد ٱلألوان) كل هذا متروك من دون تحديد له أو قيد فيه.

أما ٱلثوب ٱلذى هو ٱلبيت فهو محدد فى ٱلأية ١٢٥ ٱلبقرة وفيهآ أمر باتخاذه «مُصَلًّى». ونجد أنَّ ٱلمفسرين وٱلمحدثين وٱلتابعين لهم يوجهون ٱلناس لتحديد ثوب ٱلجسم ولا يلتفتون إلى ثوب ٱلقلب ويتركون ٱلبيت من دون تحديد. بل نجدهم يفاخرون بيت ٱللّه ببيوت حصون ينجم عن صناعتها فساد فى ٱلأرض.

ومن ٱلأفعال ٱلمتعلقة بمسألة لبس ٱلدليل ٱلمعروض فى هذا ٱلبحث ٱلفعل «كَسَوَ». وأستنبط دليله من ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ ١٤ ٱلمؤمنون.

﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ﴾ ٥ ٱلنسآء.

﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ٢٣٣ ٱلبقرة.

وأفهم من ٱلبلاغ ١٤ ٱلمؤمنون أن ٱلكسوة لباس للجسم يلتصق به ويشدّ عليه. وٱلكسوة ضد ٱلعرى. وهى ٱلحدّ ٱلأدنى من ٱلثياب ٱلتى تحمى من ٱلحرِّ وٱلبرد. ولا يوجد تحديد لهيئتها غير ٱلمعروف ٱلذى يدل على ما يألفه ٱلناس.

نتابع مسألة لبس ٱلدليل مع ٱلفعل «قَمَصَ» وفى نور ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ ١٨ يوسف.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ ٢٥ يوسف.

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ ٩٣ يوسف.

أول ما نحتاج ٱلعلم به أن كلمة «قميص» جرت فى ٱلقرءان فى سورة يوسف من دون بقية ٱلسُّوَرِ. فٱلقميص هو قميص يوسف. وٱلكلمة من ٱلأصل «قمص» ٱلذى يدل على ٱلحركة وٱلنفور وٱلنشاط. وننظر فيما جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط عن ٱلقميص:

[غلاف القلب، والمشيمة، ولباس رقيق يرتدى تحت السترة غالباً، وتقمَّص في المآء: تقلَّب وانغمس].

إنَّ غلاف ٱلقلب وٱلمشيمة يسمحان للبصر بٱلعبور إلى ٱلوجهة ٱلمقابلة. وهذا ما يعرف بٱلكلمة ٱلعبرية «شفاف».

فٱلقميص لا يعيق حركة ما فى داخله من بصر أو جسم. وقميص يوسف هو ٱلغلاف ٱلجوىّ للأرض[1] ٱلذى يظهر للناظر إليه من ٱلخارج ملونًا. وبيّن ٱلبلاغ ٩٣ يوسف أن قميص يوسف إذآ ألقىَ على وجه أبيه «يأتِ بصيرًا».[2] وأفهم أن ٱلقميص لباس يسمح للبصر بٱلعبور. كما يسمح للجسم بٱلحركة داخله من دون عوق.

يبقى ٱلفعل «جلب» من ٱلكلمات ٱلتى تلبس فى دليل لبس. وننظر فى دليله كما هو فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ ٦٤ ٱلإسرآء.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ ٥٩ ٱلأحزاب.

يدل ٱلفعل «جلب» على ٱلاجتماع على ٱلشىء وتغطيته. ومنه قشرة ٱلجرح ٱلتى تجتمع فوقه وتغطيه وتبقى حتى حصول ٱلشفآء ثم تزول. وٱسمها جلبة.

وأفهم أن ٱلجلباب هو غطآء لبعض ٱلجسم ولا يغطيه جميعه. كمآ أنه غطآء موقت كما هى جلبة ٱلجرح.

لقد جآء ٱلأمر لإبليس فى ٱلأية ٦٤ ٱلإسرآء ليجمع على ٱلإنسان ٱلظنَّ ويغطى له ٱلحقّ. وهذا ٱلأمر متعلق بتفكير ٱلإنسان ٱلذى يحكمه جدل (ٱلظن/ ٱلحقّ). وهذا ٱلجمع ٱلظنىّ يزول بٱلعلم وٱلعزم فيه.

وأفهم أن ٱلجلباب لباس عارض أمام ٱلذين لم تعددهم ٱلأية ٣١ ٱلنور

---

(١) كتاب «ٱلاستنساخ» بحث «يوسف وإخوته» و«ٱلنشأة ٱلأولى».

(٢) أنظر كتاب ٱلاستنساخ بحث ٱلنشأة ٱلأولى.

وكذلك ٱلأية ٥٥ ٱلأحزاب. ولا يوجد تحديد لهيئة ٱلجلباب فى ٱلبلاغ وهو متروك للإنسان وهو ٱلذى يحدده. كما أفهم من ٱلبلاغ ٥١ ٱلأحزاب أنه لباس يستعمل فى ٱلبيت.

وبذلك أنتهىَ إلى ٱلقول أنّ كلمة «لَبِسَ» تدل على فعل جدلى يغطىَ أحد طرفى ٱلجدلية. ووسآئله هى ٱلثوب وٱلكسوة وٱلقميص وٱلجلباب.

أما ٱلخُمُر فليست لباسًا. بل هى شراب «لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ» ووسيلة لتعقيم موكّد.

أما ما يسميه ٱلسادة ٱلمفسرون وٱلمحدّثون وٱلفقهآء من ٱلكهان ومن يتبعهم من ٱلمفكرين بٱللباس ٱلشرعى فقد جآء به ٱللغو فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين سندًا لطلب ٱلذين كفروا وكذّبوا بٱلقرءان وقالوا عنه «إن هذآ إلآ أسٰطير ٱلأولين». وقد سخر هؤلآء ٱلسادة من ٱلأمر ٱلموجّه إلىَ إنسان ٱصطفاه ٱللّه وتلقى «من ربه كلمٰت فتاب عليه» وحصروا توجُّه ٱللّه برسالته للناس فى مسألةٍ لا يمكن حفظها وحصنهآ إلاَّ بعلم وعزم من ٱلمرسَل إليه. وهؤلآء ٱلسادة لا يرون من حاجة للعلم وٱلعزم عند ٱلناس. بل يطلبون منهم أن يتركوا ذلك لهم. وقد وجدوٓا أنَّ ٱلأكثرية تصغى لطلبهم. وقد صنعوا لها «لباسًا شرعيًّا» وهم يتجرون به فى كل ٱلأوقات ويدعون ٱلناس لشرآئه ولبسه ليضمنوا لهم ٱلنجاة من ٱلنار.

أمآ أنا فأذكّر ٱلناس بٱلأمر ٱلتالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ ٣٦ ٱلإسرآء.

كما أذكرهم بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ ٢٦ ٱلأعراف.

ومآ أنزله ٱللّه علينا هو ٱلقرءان. وفى فقه دليل كلمته ٱلعربية نوارى سوءاتنا. لا بما قاله هؤلآء ٱلسادة ٱلسلف وٱلخلف من أن ٱللّه أنزل علينا جلبابًا وكسوةً وقميصًا وخمارًا. ولا بزعمهم أن ٱللّه كلفهم بصناعتها وتحديد هيئتها وبيعها لنا.

فنحن نعلم أن ٱلذى نزل هو كتاب. وفيه بيان وهدى وموعظة للناس. ومن يفهم ٱلبيان ويدرك ٱلهدى وٱلموعظة يوارى سوءاته ويسابق إلى ٱلخيرات وٱلبّر. وهذا ليس ثوبًا ولا جلبابًا ولا قميصًا ولا كسوة ولا خمارًا. بل هو لباس للقلب كٱلسوفت وير يمسُّ ويلبس هارد ٱلكومبيوتر.

وإذا نظرنا إلى ٱلذين ينفقون أموالاً كثيرة ثمنًا للثياب نجدهم أكثر ٱلناس سُوءًا وفسادًا فى ٱلأرض. كما يكشف لنا عن ذلك دليل ٱلفعل «شَجَرَ» ٱلذىَ أبقينا مسألة ٱلكشف عنه إلى ٱلأن. ودليله يضم دليل ٱلأفعال (نهض ورفع وضرب ونزع وفرع). وٱلشَّجَر جارٍ مع قوى ٱلشَّدِّ (ٱلجاذبية فى ٱللغة ٱلفصحى). وكل ٱلنَّبات ينهض ويرتفع ويضرب وينزع ويفرع فى مشادَّة وشجار مع قوى ٱلشَّدِّ حتى يبقى سآئرًا إلىَ أعلى. وقوى ٱلشَّدِّ تمسك به وتشدُّه إلىَ أسفل. وهو يشجر ليعلو. وٱلشَّجرة هى كل نبات بدليل ٱلبلاغ:

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ ١٤٦ ٱلصافات.

فكل ٱلنَّبات شجر. وٱلشجر ألوان كثيرة. منه قوة شَجره صغيرة كٱليقطين. ومنه قوة شَجره كبيرة كٱلأشجار ٱلخشبية.

لقد جآء ٱلنهى لأدم وزوجه فى ٱلبلاغ:

﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٥ ٱلبقرة.

ٱلنَّهى يتعلق بسنّة عامة تحكم شجرة ٱلحياة بكل ألوانها. وهى جدلية (موت/ حياة - حياة/ موت). ومخالفة هذه ٱلجدلية تنشأ من قوى ٱلظن ٱلشّيطانىَ. وهذا ما نرىٰه فى ٱلبلاغ:

﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ ١٢٠ طه.

ويعلل ٱلظن ٱلشّيطانىَ لشجرته ٱلتى تشاجر ٱلحقَّ سبب ٱلنهى ٱلإلٰهى:

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ ٢٠ ٱلأعراف.

ٱلشجرة هى شجرة ٱلظّنّ بٱلملك وٱلخلود. وهذا ٱلظّنُّ يخالف ٱلسّنّة ٱلعامّة ٱلتى تحكم شجرة ٱلحياة. ويوقع ٱلمخالف لها فى منهاج ٱلغرور ٱلشّيطانىّ:

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ ٢٢ ٱلأعراف.

دليل «ٱلغرور» من دليل ٱلفعل «غرَّ» ودليله يضم دليل ٱلأفعال (غفل ونضب وجهل). وهذا ضد ٱلذكر وٱلعلم وٱلدراية وٱلعزم.

ومنهاج ٱلغرور يدفع صاحبه فى طريق ٱلإسراف بحثًا عن ٱلملك وٱلخلود. وإنَّ سعيه بغروره يجعله يفسد فى ٱلأرض. فيجوب ٱلصخر طلبًا لحجر ٱلبنآء. ويقيم أبنية عظيمة يلحف فى تعظيمها. ويزداد طمعه فيعتدى على ٱلناس يستعبد منهم ٱلذين لا يدركون ٱلسنّة ٱلعامّة فيعبدونه بقوة جهلهم. وهو يسرقهم ويقتلهم ويسخّر كل ما وقع بين يديه لتحقيق ظنه بٱلملك وٱلخلود متشاجرًا مع جدلية (موت/ حياة - حياة/ موت). يريد أن يلغى طرفها «موت» ليحتفظ بٱلطرف «حياة». وبعد طول ٱلجرى ورآء هذا ٱلسّراب يدرك أنَّه فى غرور. وهذا ما بينه ٱلبلاغ:

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ ٢٢ ٱلأعراف.

ٱلفعل «ذاق» يضم دليله دليل ٱلأفعال (خبر وجرح وحسَّ ودرك). وبٱلفعل «ذاق» تنكشف أعمال ءادم وزوجه من أجل ٱلملك وٱلخلود ٱلتى جآءت بٱلسَّوءٰت بفعل منهاج مسرف مغرور. وهذا ما نجده عن المسرفين فى البلاغ:

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ /١٢٧/ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ /١٢٨/﴾ طه.

ٱلغرور يسوق إلى ٱلإسراف ٱلذى يظهر فى مساكن بقى منهآ أثار وكان بناتها يظنون بٱلملك وٱلخلود. ومن ٱلناس ٱليوم ٱلذين ينفقون أموالاً كثيرة على تلك ٱلأثار ٱلباقية. ومنهم من ينفق بحثًا وعلمًا عن حياة أصحابها. ومنهم من ينفق سعيًا ورآء فخرٍ يظنُّ بٱلنَّسب إلىَ أولئك ٱلذين تدل أثارهم علىَ إسرافهم

ومنهاجهم ٱلظنى ٱلغرور. وهو ما أفهمه من دليل كلمة «أثار» من ٱلأصل «أَثَـرَ» ٱلذى يدل على ما بقى مما تركه فعل ٱلتفضيل للشىء وٱلانصراف لخدمته. وبقيتها تدل على ما كان يفضله ٱلأولون من سعى ورآء ٱلملك وٱلخلد. وهى فى كل مكان تدل على ذلك ٱلإسراف فى بنآء ٱلحصون وٱلبروج وٱلأقواس وٱلأحواض وٱلتماثيل وٱلزينات ٱلمختلفة.

وأجد فى ٱلبلاغ أن أصحاب هذه ٱلأثار كانوا من ٱلمكذبين وٱلمسرفين وٱلظالمين وٱلطغاة. وأن ما بقى من أثارهم هو عبرة للخلف وليس للفخر بهم. وقد جآء فى ٱلبلاغ بيان أسباب بقآئها:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ٣٧ ٱلذاريات.

وفى سورة ٱلعنكبوت بلاغ عن أقوام عظيمة ٱلقوة تركت لنا بقية من أعمالها ٱلمسرفة:

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ /٣٤/ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ /٣٥/ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ /٣٦/ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ /٣٧/ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ /٣٨/ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ /٣٩/ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ /٤٠/ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ /٤١/ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ /٤٢/ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ /٤٣/﴾ ٱلعنكبوت.

كان هؤلآء أقويآء «وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ». فهم يملكون وسآئل ٱلعلم ٱلتى تجعلهم يستكبرون فى ٱلأرض. كما هو ٱليوم حال ٱلولايات ٱلمتحدة الأمريكية وبعض دول أوربا وبعض دول أسيا. وقد «زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ» وجميعهم مستبصرون. وأعمالهم تفسد فى ٱلأرض وهم يعلمون بذلك ٱلفساد. ويعلمون عنه وعن خطره ٱلأتى عليهم وعلى ما بنوه من قوة تدمير وهلاك. وبيوتهم مهما عظمت فهى واهنة كبيت ٱلعنكبوت.

لقد أعلن هؤلآء عن قدودٍ(*) فى قميص ٱلأرض «ثقوب ٱلأوزون» وكان ٱلبلاغ قد بيّن أنَّ ٱلسِّباق على ٱلملك وٱلخلد يفعل ذلك:

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ ٢٥ يوسف.

إنَّ قميص يوسف هو قميص ٱلأرض. وقدّه جآء من ٱلسباق على ٱمتلاك ٱلقوة ٱلنووية وأعمال ٱلتفجير وما يتبعه من صناعة ٱلقوة وٱلاستكبار فى ٱلأرض. وقد جآء فى ٱلبلاغ أنَّ ٱلسمآء ٱلدنيا وهى قميص يوسف قد جعلها ٱلرب لتحفظ ٱلأرض من رجم ٱلصخور ٱلتى تسبح فى ٱلفضآء من دون أن يكون لها فلك يقيّد سباحتها:

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ ٧ ٱلصافات.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ ١٢ فصلت.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ ٣٢ ٱلأنبيآء.

لقد ٱكتشفوا هذه ٱلقدود فى ٱلسمآء ٱلدنيا. وأعلنوا عن ذلك وعن أسبابها. ومع ذلك هم ماضون فىَ أعمالهم ٱلمفسدة.

لقد بيّن ٱلبلاغ أن أصحاب ٱلأثار ٱلباقية قد أهلكتهم أعمالهم. فمنهم أهلكته عاصفة شديدة قد يكون مولدها سقوط صخر سماوىّ عبر أحد هذه ٱلقدود. أو تفجير نووىّ كبير يولد ريحًا شديدة تحمل ٱلحصى وٱلتراب بقوة شديدة مدمرة

(*) قدّ يضم دليله ٱلأفعال (شقّ ومزق وفرق) بدلاً من ثقب ٱلذى يدل على ٱلتوهج وٱلاضآءة.

تحطم كل شىء فى طريقها. ومنهم أهلكه ٱلصوت ٱلذى يصدر عن تفجير عظيم. ومنهم من خسفت به ٱلأرض وبلعت ما فوقها. ومنهم هلك غرقًا بٱلمآء. وكل هذه ٱلقوى ٱلمهلكة ولدها فساد ٱلأعمال فى ٱلأرض ٱلذى جآء به ٱلظَّنُّ ٱلشّيطانىّ وٱلغرور ومخالفة ٱلنّهى:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ٣٥ ٱلبقرة.

إن رجال ٱلسلطة وٱلملإ فى ٱلدول ٱلكبرى يبنون بيوت ٱلصناعة ٱلمفسدة فى ٱلأرض. وينشرون فى بلادهم وأماكن ٱختبارهم ٱلفساد فى ٱلحرث وٱلنسل. فتتولد ٱلأوقاذ ٱلخبيثة(*) وينشأ عنها ٱتقان لصناعة ٱلوقاية وٱلبرء منها. وهذا يزيد من توالد ٱلأوقاذ.

وترى رجال ٱلسلطة وٱلملإ فى دول ٱلمؤتفكات(**) يساعدون فى صنع ٱلفساد فى ديارهم بنقل شرور صناعة ٱلفساد (نفاياتها) إليها وبها يفسدون فى حرثها وفى نسلها.

ٱلمذكورون فى سورة ٱلعنكبوت ليسوا بدآئيين فى ٱلعلم وٱلقوة كما يُظنُّ. وٱلبلاغ يبيِّنُ ذلك:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ ٩ ٱلروم.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ٢١ غافر.

كانوٓا أشدآء أقويآء وأثارهم ٱلباقية تدل على قوتهم. وقوة ٱلمستكبرين ٱليوم

(*) وقذ مرض وقارب ٱلموت.

(**) ٱلمؤتفكات هى ٱلدول ٱلتى تنفعل من قول وفعل ٱلدول ٱلكبرى وتسيغ أفعالها وأقوالها بمنهاج ٱلجهل وٱلضلال وٱلظن وٱلكذب وٱلخرص وٱلفسق. وهذا سببه ٱلسهو وٱلكفر ٱلذى تحيا فيه حياة ضنكا. وهى حياة ٱلقردة وٱلخنازير.

ليست أعظم من قوتهم. ولا بيوتهم أحصن. وقد بيّن ٱلبلاغ أن بيوتهم مثل بيت ٱلعنكبوت.

ولعل أقوياء ٱليوم يتعظون من ٱلبلاغ:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ١٤ يونس.

لقد تعلّقنا بفروع هذه ٱلشجرة. فهل من سبيل إلى عودة عن ٱلفساد فى ٱلأرض؟

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ ٨ ٱلاسرآء.

ٱلأمة ٱلوسط

وقع ٱللّغو فى مفهوم «ٱلأمة ٱلوسط» كغيره من ٱلمفاهيم وهذا دعانى للنظر فيه كما جآء فى ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ ١٤٣ ٱلبقرة.

فمن هم ٱلأمة ٱلوسط؟

لقد بيّن ٱلبلاغ للناس ٱلحقّ ٱلأساس:

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذاريات.

فما هى علاقة ٱلزوجين بٱلأمة ٱلوسط؟

مفهوم «ٱلأمة ٱلوسط» يذكرنى بمسألة ٱلتطرف يمينه وشماله. فهل مفهوم «ٱلأمة ٱلوسط» يدل على موقف؟

وإذا كان موقفًا فهل يَنصِّفُ بين ٱليمين وٱلشمال؟

وقبل متابعة ٱلسُّؤال أتلوا ٱلبلاغ فى ٱلأيتين ٱلتاليتين:

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ /١٤٢/ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ /١٤٣/﴾ ٱلبقرة.

ورد فى ٱلبلاغ ٱلزوجان «ٱلمشرقُ» و«ٱلمغربُ». وورد فيه ٱلقول «صرٰط

مستقيم» وكأنه حدّ فاصل واصل بين ٱلمشرق وٱلمغرب. وعقبه فى ٱلبلاغ ٱلقول «وكذلكَ جَعَلنَـٰكُم أُمَّةً وَسَطًا».

وقبل أن أبسط قولى فى ٱلمسألة أعمل فى بيان فقه ٱلدليل للكلمات ٱلمكونة للقول.

فدليل كلمة «صرٰط» مند دليل ٱلفعل «صَرَطَ» ودليله يضم دليل كلٍّ من ٱلأفعال (مرَّ وبان وأَمِنَ). فٱلصراط هو ٱلممرُّ ٱلبيِّن ٱلأَمِنُ.

ودليل كلمة «مستقيم» من دليل ٱلفعل «قام» ودليله يضم دليل ٱلأفعال (عَدَلَ وظَهَرَ وقَرَّ وبَقِىَ وحَدَّ ورَفَعَ وبان وقَدَرَ وحَفَظَ وسَيَدَ وعَمَدَ وعانَ). كلُّ هذه ٱلأفعال تشترك فى جعل ٱلصراط مستقيمًا لا عوج ولا ميل فيه. وهو منهاج ومسلك ٱلأمة الوسط ٱلذى جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ ٥ ٱلبينة.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٦١ ٱلأنعام.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠ ٱلروم.

ومثل هذا ٱلمنهاج لا يجرى من دون علوم تقوم على سنّة ٱلتطور كما فى «مِلَّـةَ إبرٰهِيمَ حَنِيفًا وما كان مِنَ ٱلمشركينَ».

وٱلمشركون جاهلون وهم «ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ» وأكثر «ٱلنَّاس لا يعلمون».

وأرى من دليل ٱلكلمات ومن ٱلبلاغ أنَّ ٱلصراط ٱلمستقيم هو ٱلممرُّ ٱلبيِّنُ ٱلأَمِنُ ٱلباسط ٱلممدود ٱلفاصل بين ٱلزوجين وٱلمرتفع عليهما. وهو ٱلعَمَدُ وٱلمعينُ وٱلحافظ وٱلسيّد وٱلقآئم على ٱلصلة بينهما فلا تنقطع. وهو ممرّ لا ميل فيه ولا عوج إلىَ أىٍّ من ٱلزوجين ويمنع لبس أحدهما للأخر.

أما دليل كلمة «أمة» فهو من دليل ٱلفعل «أَمَّ» ويضم دليله دليل ٱلأفعال (تبع وسلك ونهج). وهى تدل على قوة مخزونة توجه ٱلفعل وٱلقول وفق منهاج معلوم. وله وجهتان:

ٱلأولى مستقرّة لا تقبل ولا تسمح بتغيير.

وٱلثانية متحركة تحنف وتتطور وتتغيّر.

فٱلكلمة تدلّ على منهاج للسلوك. وهو فى ٱلوجهة ٱلأولى لدى جميع ٱلكآئنات ٱلحيّة. ويبيّن ٱلبلاغ تماثلها فيه:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ ٣٨ ٱلأنعام.

أمّا ٱلوجهة ٱلثّانية فتخصّ ٱلإنسان من دون ٱلكآئنات ٱلحيّة ٱلأخرى. فٱلّذى ينظر ويسأل ويقرأ ويطلب ٱلاطمئنان لقلبه مثل إبراهيم فإنّ أمّته تسير فى سبيل تطورٍ وتغيّرٍ وعلوّ. وأمّا ٱلّذى لا ينظر ولا يسأل ولا يقرأ ولا يطلب ٱلاطمئنان لقلبه فإنّ أمّته تفعل وفق ٱلوجهة ٱلأولى وينسب إليها بٱلاسم (أمّىّ) ويتبع فى عيشه منهاجا لا يدرى به. وهو ٱلأمّة ٱلّتى يتماثل فيها ٱلأحيآء (٣٨ ٱلأنعام). ويدلّنا ٱلبلاغ على هذه ٱلأمّة:

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ ٢٢ ٱلزخرف.

ودليل كلمة «وسط» من دليل ٱلفعل «وَسَطَ» ٱلذى يضم دليل ٱلأفعال (بسط ومدّ وفصل ورفع).

وأستنبط مفهوم ٱلأمة ٱلوسط وأرىَ أنَّه قوة خزن للمعرفة وٱلعلوم وٱلبيان وٱلهداية. وهو سند وعمد ٱلموقف ٱلذى يتخذه ٱلذين يعلمون ويذكرون ويجعلون وجهتهم فى ٱلحياة ٱلدنيا لا تميل ولا تعوج عن ٱلصراط ٱلمستقيم ٱلواصل ٱلفاصل بين ٱلأزواج كلها.

ودليل كلمة «ٱلمشرق» من دليل ٱلفعل «شَرَقَ» ودليله يضم دليل ٱلأفعال (ملأ وضاق وحمر ونَوَرَ).

ودليل كلمة «ٱلمغرب» من دليل ٱلفعل «غرب» ويضم دليله دليل ٱلأفعال (غاب وسود وغمض وبعد).

ويبين ٱلبلاغ أن ٱلتوسط بين هذين ٱلزوجين يأتى بثمرٍ طيِّب:

﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ ٣٥ ٱلنور.

هذه ٱلشجرة تزرع فى منتصف مسار ٱلشمس بين ٱلشروق وٱلغروب. وضوء ٱلشمس ينتشر فوقها من ٱلشروق إلى ٱلغروب فيجعل زيتها يضئ من شدة ٱلصفآء. أما ٱلشجرة ٱلتى تزرع فى مواجهة ٱلشروق وتستتر عن ٱلشمس بعد ٱلظهيرة إلى ٱلغروب. فيأتى ثمرها محمرًا وزيتُها ريحُهُ وطعمُهُ شديدان. كذلك ٱلتى تزرع مستترة عن ٱلشروق وفى مواجهة ٱلغروب يسودُّ ثمرها ويكثر ٱلحمأ[1] فى زيتها. وزيت كل من ٱلشجرتين ٱلمتطرفتين رماده كثير. فٱلذى يزرع فى مثل هذه ٱلمواقع لا يعلم ولا يؤمن بٱلتوسط ويركض ورآء ٱلجمع من دون تبصر. ومثلهم من لا يؤمن بٱلحياة ٱلأخرة أنها طرف من زوجين. وقد جآء فى البلاغ:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ ٧٤ ٱلمؤمنون.

ويدل ٱلفعل «نكب» على ٱلميل وٱلعوج. فٱلذى لا يؤمن بٱلحياة ٱلأخرة منصرف إلى ٱلحياة ٱلدنيا وهو يكفر بٱلزوجين فيسير فى ٱلحياة ٱلدنيا مآئلاً معوجًّا عن ٱلصراط ٱلمستقيم. وتأتى أعماله وأقواله ظلمًا وطغيانًا.

أما ٱلذى ينصرف إلى ٱلحياة ٱلأخرة وينسى ٱلحياة ٱلدنيا ويزهد فيها ويحتقرها. فهو يكفر بٱلعهد وٱلخليفة وٱلصراط ٱلمستقيم. وسبب هذين ٱلموقفين هو ٱلجهل بزوجية ٱلحقّ.

لقد جآء فى كتاب «ٱلكلمة» ٱستنباط لى من ٱلبلاغ ٱلعربىّ أن ٱلناس على مواقف ستة (ٱلذين ءامنوا/ ٱلذين هادوا/ ٱلنَّصارى/ ٱلصَّابئون/ ٱلمجوس/ ٱلذين أشركوا). ورأيت أن أربعة منهم (ٱلذين ءامنوا/ ٱلذين هادوا/ ٱلنَّصارى/ ٱلصَّابئون) من ءامن منهم «بٱللَّه وٱليوم ٱلأخر وعمل صٰلحًا فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون». وهؤلآء ٱلأربعة ٱثنان منهم متطرفان (ٱلذين هادوا وٱلنَّصارى) وٱثنان منهم ينوسان بين أحد ٱلطرفين وٱلوسط (ٱلذين ءامنوا وٱلصَّابئون). أما (ٱلمجوس وٱلذين أشركوا) فهم ٱلسفهآء ٱلجاهلون ٱلذين لا يعلمون بٱلزوجين من كلِّ شيءٍ.

---

(١) ٱلحمأ هو حمض ٱلكربون.

وكل من أصحاب ٱلمواقف ٱلأربعة (ٱلذين ءامنوا/ ٱلذين هادوا/ ٱلنَّصارى/ ٱلصَّابئون) إذا ذَكَرَ ٱلبلاغ وعمل على فقه ٱلدليل فيه وأخذ بٱلبيان وٱلهدى وٱلموعظة ييسر ٱنتقاله إلى موقف ٱلوسط ويتابع ٱلسير على ٱلصراط ٱلمستقيم ويترك ٱلتطرف من دون رجعة إليه ويطلب ٱلهداية مع ٱلمتقين:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ /٦/ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ /٧/﴾ ٱلفاتحة.

ويكون مع ٱلأمة ٱلوسط شهيدًا على حركة ٱلناس فى طرفى ٱلزوجية. يمين وشمال. فى صعودهم وهبوطهم. قيامهم وهلاكهم. ويبقى معها مستويًا فى سيره على ٱلصرٰط ٱلمستقيم. ينعم فىَ أعماله وأقواله. ويشهد ٱلغضب وٱلضلال فى صفوف ٱلمتطرفين فى ٱليمين وفى ٱلشمال. وعماده ٱلهادى فى توسطه هو ٱلرسالة ٱلتى جآء بها ٱلرسول من عند ربِّه إلى جانب سيره فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق.

أما ٱلذى «ينقلب على عقبيه» فهو ٱلذى يرجع إلىَ أحد ٱلطرفين (ٱلمشرق/ ٱلمغرب) (ٱليمين/ ٱلشمال) ويغرق نفسه فى ٱلتطرف وٱلضلال بقوة ٱلغواية ٱلجنيّة. فيغيب ٱلحلم وٱلصبر. وهو ما جآء عنه فى ٱلبلاغ:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ١٦ ٱلأعراف.

إن ٱلعاملين فى ٱلِّسان (سلف وخلف) يخلطون بين ٱلكلمتين (حيا/ حيى). وكذلك ٱلكلمتين (مات/ هلك). وهذا ٱلخلط يغيّب جدليتين ٱلأولى (مات/ حيا) وهى جدلية زوجين متلازمين فى ٱلحياة ٱلدنيا:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا /٢٥/ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا /٢٦/﴾ ٱلمرسلات.

دليل كلمة «كِفَاتًا» من دليل ٱلفعل «كَفَتَ» ويضم دليله دليل ٱلأفعال (خلط وضم وقلب وبدل). وٱلأرض تضم ويختلط فيها ٱلميت وٱلحى وتقلب وتبدل ٱلواحد إلى ٱلأخر. فٱلميت تراب. وٱلتراب سور تطابق مصفوف «مندلييف» ٱلجديد. وٱلحىّ ألوان عديدة.

وٱلثانية (هلك/ حيى) وهى جدلية زوجين. مستهلك للطاقة. ومجدد لها. وفى ٱلبلاغ بيان عن ٱلطاقة ٱلمستهلكة وتجديدها:

﴿كٓهيعٓصٓ /١/ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ /٢/ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا /٣/ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا /٤/ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا /٥/ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا /٦/ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا /٧/﴾ مريم.

ٱلذى ينادى ربَّهُ وهن عظمه وٱشتعل رأسه شيبًا وزوجه عاقرٌ.[1] فهو شيخ هلكت طاقته على ٱلتوالد. ومع ذلك نرى بشارة له «بغلام ٱسمه يَحيَىٰ». وهذا ٱلاسم لم يكن من ٱلأسمآء ٱلتى تعلمها ءادم «لم نجعل لَّهُ من قبل سميًّا». فٱلاسم «يَحيَىٰ» يدلنا على تجديد ٱلطاقة عند ٱلشيخ ٱلهالك وإصلاح ٱلعقر عند زوجه. وهذا ٱلتجديد هو ٱلأول فى هذا ٱللون من ٱلهلاك. ولذلك جآء ٱسم ٱلمولود «يَحيَىٰ» لأنه نجم عن ٱلفعل «حَيَىَ» لأول مرة فى ٱلمسيرة ٱلإنسانية. وهو ءاية يجب علىَ إنسان ٱليوم ٱلكشف عن سنتها وٱستقرار ٱلنبإ عنها.

إن ٱلزوجين (مات/ حيا) هما جدلية فى ٱلحياة ٱلدنيا ٱلتى جعلت «كفاتًا». وكذلك ٱلزوجان (هلك/ حَيَىَ) وهما جدلية ٱستهلاك ٱلطاقة وتجديدها.

أما ٱلزوجان (ٱلحياة ٱلدنيا/ ٱلحياة ٱلأخرة) فهما جدلية (ٱلفنآء/ ٱلخلد) حيث ٱلطرف ٱلأول (ٱلحياة ٱلدنيا) هو طرف فانٍ. أما ٱلطرف ٱلثانى (ٱلحياة ٱلأخرة) فهو طرف خالد لاَّ موت فيه ولا حَيَىَ.

وفى ٱلحياة ٱلأخرة لا يوجد إلاَّ ٱلطرف (حيا) من ٱلزوجين (مات/ حيا) وٱلطرف (هلك) من ٱلزوجين (هلك/ حيى) وهذا ما بينه ٱلبلاغ:

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ٧٤ طه.

---

(١) ٱنظر فى كتاب ٱلاستنساخ.

وإنَّ ٱلحياة ٱلأخرة تقوم على جدلية ٱلزوجين (جنّة ٱلنعيم/ جهنّم) فٱلذى فى ٱلطرف (جنة ٱلنعيم) يحيا ولا ينتهىَ إلى موت. وٱلذى فى ٱلطرف (جهنم) يهلك ولا ينتهى إلى موت ولا تجدد قوىٰه ٱلهالكة «لا يموت فيها ولا يَحيَىٰ».

وترى ٱلعاملين فى ٱللِّسان يصرفون ٱلفعل «حيا» إلى دليل ٱلفعل «بهم». وجآءوا بٱسم «حيوان» لكل «بهيم». أمَّا ٱلبلاغ فيدلنآ إلىَ أن ٱسم «حيوان» هو ٱسم للحياة ٱلتى لا تنقطع ولا تتوقف بٱلموت كما يجرى فى ٱلحياة ٱلدنيا. وٱلسبب هو فى غياب ٱلطرف «مات» فى ٱلحياة ٱلأخرة. وهذا يبيّن سبب ٱلخلود فيها:

﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ٦٤ ٱلعنكبوت.

يبدأ ٱلإنسان بأدم ويتعلم ٱلأسمآء كلها. ثم ينطلق فى سيره ينظر كيف بدأ خلق تلك ٱلأسمآء. ويواصل نظره حتى يصل إلى طور عيسى ٱبن مريم ٱلمؤيد بٱلروح ٱلقدس وٱلقادر على ٱلخلق من ٱلطين وفيه كمال ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ثم يتابع ٱلسير بقوة ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. فإن ٱهتدى بٱلبلاغ يوصل إلى طور ٱلحمد حيث ٱلجزآء بعدل فى ٱلحكم وٱلقضى وٱلسير على ٱلصراط ٱلمستقيم من دون ميل أو عوج. ويبلغ ٱلرضى وٱلرَّيح(*) فى ٱلقول وٱلعمل و«ٱلأسوة ٱلحسنة» فى ٱلحكم وٱلقضى ٱلعادل فى ٱلطور ٱلإنسانى ٱلأعلى طور محمد.

وفهم هذه ٱلمراحل يأتى من فقه دليل كلٍّ مِّن ٱلكلمات (فَعَلَ وعَمَلَ وصَنَعَ وتَقَنَ).

«فَعَلَ» تدل على ٱنطلاق قوة حركة مخزونة.

«عَمَلَ» تدل على قوة تحكم وتوجيه لقوة «فَعَلَ».

«صَنَعَ» تدل على قوة توجيه للفعل وٱلعمل وفق خلقٍ وهدايةٍ معلومين.

(*) بدلاً من راحة وٱرتياح فى ٱللغة ٱلفصحى.

«تَقَنَ» تدل على قوة توجيه قوى «فعل وعمل وصنع» وفق خلقٍ وهدايةٍ وخبرة ومقدار فتكون كينونة متقنة ٱلصنع. وهذه سمة ٱلفعل ٱلإلهى:

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ٨٨ ٱلنمل.

لقد بدأ ٱلعمل بأدم وبدأ ٱلصنع بنوح:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ ٣٧ هود.

ووصل ٱلصنع إلى «تقن» مع عيسى ٱبن مريم ٱلذى خلق من ٱلطين كهيئة ٱلطير. ثم جآء دور ٱلحكم وٱلقضى فى ٱلموقف ٱلإنسانى ٱلّذى يبيّن خيرة ٱلنَّاس فيما يتخذوه من مواقف:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّۚ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

وأتى قيام ٱلحكم ٱلرسولىّ[١] مثلاً مُّبصرًا لِّلنَّاس. فمن يقسوا فى موقفه ويتطرف ويجمد عند أحد ٱلمراحل ٱلسابقة على ٱلحكم ٱلرسولى يتوقف عن ٱللحاق بٱلطور ٱلأعلى ٱلذى يوصل إلى ٱلخليفة ٱلذى يقوم ويسير على ٱلصراط ٱلمستقيم.

ٱلإنسان يسيرُ صُعدًا فىَ أطوار من ٱلعمل وٱلصنع وٱلاتقان. ويبلغ قوة شديدة. ويقيم ءاياتٍ عظيمةً. فإن لم يهتدِ إلى ٱلصراط ٱلمستقيم يتعاظم فساده فيدمره. أماّ إذا ٱهتدىَ إلى الصراط المستقيم يوصل إلى طور ٱلحمد ويصلح فى ٱلأرض وفى قميصها ٱلمقدود. وهذا لن يكون إلا بإدراك ٱلأطوار وسنة ٱلزوجين وٱلتوسط فى ٱلموقف.

(١) ٱنظر كتاب ٱلحكم ٱلرسولى.

ٱلكتاب ٱلثانى

مدخل إلى ٱلكتاب

يتوجه ٱلجهد فى هٰذا ٱلكتاب إلى متابعة ٱلبحوث ٱلتى جآءت فى كتبى ٱلسابقة مع ٱلحنف عن ٱلخطإ فيها. ومأربى من ٱلبحث هو ٱلقول أنّ ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين (لسان ٱلقرءان) هو ٱلّسان ٱلذى حمل بلاغ ٱللّه عن جريان أمره «كن» فى خلقه من ٱلبداية فى ٱلتكوين إلى ٱلنهاية. ثم إلى ٱلعودة إلى بداية أخرى. وفيه بيان كيف جرى ٱلحدث بحديث يفصّل من دون أن يعجم عن أىّ أمر. وقد وجّه ٱللّه بلاغه إلى جميع ٱلناس يحدّثهم بلسان عربىّ مبين. وحديثه أعلىَ ألوان ٱلبلاغ وٱلّسان ٱلمقدّس من ٱللغو وٱلجهل وٱلشيط وٱلوحيد ٱلذى يدلّنا على جميع ٱلحقّ وطرق جريانه ويوصل به ٱلناس إلى ٱليقين.

أقول هٰذا ٱلقول وأذكّر أنّنى لآ أدعوَ إلىَ إعلآء شأن قوم بٱلاسم عربىّ. وقد جآء فى بحوثى ٱلسابقة أنّ هٰذا ٱلاسم لا يدلّ على قومٍ أبدًا. وهو ٱسمٌ حصرىّ بأحسن ٱلحديث حمل إلينا ٱلبلاغ ٱلإلهىّ بلسان عربىّ مبين لمأربٍ أساسٍ «لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ». وفى فقه هٰذا ٱلّسان ٱلسّبيل إلى ٱلعقل وٱلحكم وٱلوصول إلى ٱلبيان ٱلذىَ أراده ٱللّه.

جهدت فى بحوثى لأبيّن أنّ فقه ٱلكلمة هو ٱلسبيل إلى ٱلعلم بهيئتيه ٱلنّظريّة وٱلعمرانيّة. وفى هٰذا ٱلكتاب متابعة لّلمسألة مع كلام أخر. وسيكون لنا بحوث. إن ٱستطعنا. تساوى عدد ٱلكلام. ومأربُ عملى له وجهتان:

ٱلأولى توجّهي بقوليَ إلى ٱلناس جميعًا لَّعلّهم يتوجّهون إلى فقه ٱلبيان ٱلعربيّ وما فيه من توجيه للخير لهم جميعًا.

وٱلثانية كشف عن أسباب ٱلتّخلف فى ٱلعيش وٱلفكر ٱلمتلازمين عند ٱلشعوب ٱلتى تنتسب إلى قوم ٱلرّسول وبين أيديهم أحسن ٱلحديث بلسان عربيّ مبين. وقد هجروه إلى لسان أخر. وهو ما يبيّنه ٱلبلاغ:

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

لقد أخذوا بلسان أعجميّ سمّوه ٱللغة ٱلفصحى. وفى هٰذا ٱلكتاب بحث فىَ أعمال ٱلتّحريف وٱللّغو وٱلضّلال ٱلتى تبثُّها ٱللغة ٱلفصحى فى قلوب ٱلّذين ينتسبون إلى قوم ٱلرّسول. وفى ٱلموقف ٱلكاره لهم عند ٱلشعوب ٱلأخرى. وٱلكره لدينهم ٱلذى يأتى ٱلإفصاح عنه بٱللغة ٱلفصحى عدوانًا.

مسألة ٱلتّحريف فى ٱلكلم وفى ٱلقولِ هى ٱلبحثَ ٱلأوّلَ فى هٰذا ٱلكتاب. وٱلبحث فى ٱلمسألة لا يكمل بكتابٍ واحدٍ. ويلزمه جهد كبير فى ٱلإحصآء. وقد جآء ٱلعمل فى هٰذا ٱلبحث وكأنّه فتح لِّلمسألة. لعلّ ٱلبعض يقدّم ٱلجهد فيها.

وعلى ٱلرغم من أنّ ٱلبحث ٱلأوّل فى ٱلتّحريف إلاَّ أنّ بحوث ٱلكتاب كلّها جآءت وفق هٰذا ٱلمنهاج. حيث يتوجّه ٱلعمل إلى ٱلكشف عن دليل ٱلكلمة ليدفع عنها تحريف ٱللّغو ٱلذى جآء به ٱلّذين قست قلوبهم. وهم جميع ٱلّذين يرفضون ٱلتّطور وٱلتّلوّن فى ٱلمواقف وٱلمفاهيم وكلّ أمرٍ مُّحدَثٍ ولو كان يحمل معه ٱلبيان ٱلحقّ. وهؤلآء هم جماعة «ٱلجمود ٱلعقآئدى» بكل ألوانهم وألسنتهم.

فما جآء فى كتبى ٱلسّابقة من جهد لبيان دليل ٱلرّموز «ٱلحروف فى ٱللّغة ٱلفصحى» لم يكن كاملاً. وفى هٰذا ٱلكتاب متابعةٌ للبحث. وقد توجّهت فيه لفقه ٱلرّمز وما يدلّ عليه. وأخذت ٱلدّليل فى ٱلِّسان ٱلشاميّ قبل ٱلعربيّ وفيه ٱثنان وعشرون رمزًا. يسمى ٱلواحد منها «مِلّة» وٱسم ٱلجمع «مِلّوت». ويدلّ كلّ مِّنها على شيءٍ محسوسٍ وعددٍ محدَّدٍ. ثم جآء فى ٱلِّسان ٱلعربيّ رموز أعلى طُورًا فى

ٱلخطِّ وٱلدليل. وفيه ٱلرّمز «ء» ٱلذى تسميه ٱللّغة ٱلفصحى «همزة». وقد أجريت ٱلنّظر فيه. وتوصّلت كمآ أظنّ إلىَ إدراك دليله. وما رأيته أنّه واو مضاعف يدلُّ على وتدٍ. وبٱلوتد ٱلمضاعف يضاعف ٱلتّثبيت.

وتبيَّنَ لىَ أنّ كلمة ٱلبلاغ تدلّ على كلمة حقٍّ بدليل رموزها. وأنّ كلمة أخرى رموزها مختلفة لا يمكن أن تدلّ على هٰذه ٱلكلمة ٱلحقّ. وأضرب مثلا على ذٰلك كلمة «كتب» ورموزها هى «ك ت ب». ٱلكاف تدل على «كفِّ ٱليد». وٱلتّآء تدلّ على «علامة». أمَّا ٱلبيت فيدلّ على «بيت». وقد وجدت أنَّ ٱلدّليل يقول لى فى هٰذه ٱلكلمة أنّ كفَّ ٱليد يخطُّ علامةً ويودعها فى بيتٍ. وهو ما تدل عليه كلمة «كتاب». و«ءالِف» فى «كتاب» يدلُّ على «ثورٍ» وهو ٱلذى يثير ٱلعلامة ٱلمودعة فى ٱلبيت ويبيّنها. ولهٰذا رأيت أنَّه يلزمنا نظر وبحث مُّبين يقرأ (يُخرج ويفصح) ما فى ٱلكتاب. بعد أن نفهم وندرك ٱلعلامات ٱلتى خطّها كفّ ٱليد (أودعها وأسكنها) فى ٱلبيت.

ووجدت هيئة كلمة «كتاب» تُخطُّ فى ٱلقرءان من دون إظهارٍ للثور ءَالِف «كتٰب». ويشار إلى موقع ٱلإثارة بعلامة ٱلعدد واحد فوق ٱلتآء (ٱلعلامة) «تٰ». وهٰذا يدلنا على كتابٍ علامته ٱلمخطوطة فيه معجمة تنتظر إثارتها وقرءها وتعريبها وبيانها لتصير ٱلكلمة «كتاب».

وعندما تُثار ٱلكاف (كفُّ ٱليد) بـٱلثور (ءَالِف) كما فى كلمة «كاتب». نرىَ أنَّ ٱلتعريب وٱلبيان فى ٱلكلمة هو لصاحب «كفّ ٱليد» ٱلذى خطّ ٱلعلامة.

وبذلك فقد رأيت أنّ فقه دليل ٱلرّمز هو ٱلمدخل لفقه دليل ٱلكلمة. وقد جآء رأى هٰذا ومعه رأى عن مسألة ٱلتّحريف وٱللّغو ٱلجاريين بٱللّغة ٱلفصحى. فرأيت أن «ٱلمِلُّوت» (ٱلحروف فى ٱللغة) يمكن ٱلإشارة إليه أو ٱلدلُّ عليه بنطق صوت ءَالِفٍ مع صوت بيتٍ «ءَالِفبيت». وهو ٱلنّطق ٱلذىَ أخذه ٱليونان Alphabet عن ٱللِّسان ٱلشامىّ قبل ٱلعربىّ وأوصله إلى جميع ٱلأوروبيين. كمآ أخذوا نطق «ٱلمِلّوت» melody ٱلذى يدلّ فى لسانهم علىَ أصواتٍ مقدّرةٍ a tune.

أمّآ أصحاب ٱللّغة ٱلفصحى فقد غفلوا عن ذٰلك ولغوا فيه. وجآءوا بٱسم «حروف» ليدلّ على «ٱلملُّوت». وٱسم «ألفبآء» ليدلّ على «ءَالِفبيت». وظهر لىَ أنّ ٱسم «حروف» من أصل ودليل ٱلفعل «حَرَفَ». وبه ٱبتدأ ٱلتحريف فىَ أساس بنآء ٱلكلام. وبدأ ٱلتحريف بحرفِ نطق أصوات رموز ٱلأبجدية. فصار نطق «ءَالِف» عندهم «أَلف». وضيّع دليل «ءَالِف» ٱلحسىّ وهو «ثور» فى جميع ألوان ٱلِّسان ٱلشامىّ.

كذٰلك جآءوا بنطق «بآء» بدلا من «بيت». وٱلبآء يدلّ عليه ٱجتماع ٱلكلمات «ٱحتمل وٱستحق ونزل منزلة». أمّا ٱسم «بيت» فيدلّ فى ٱلِّسان ٱلشامىّ على بيتٍ للسكن وٱلأمن. وفى هذا ٱلفعل نقض للسان ٱلشّامى وتحريف فىَ أساس بنآء ٱلكلام.

هذا ٱلنقض لم أجد منه أمر فى ٱلقرءان. لا فى ٱلنطق ولا فى ٱلدليل. بل جآء فيه أنّه يصدّق ٱلرسالات ٱلتى حملها ٱلِّسان ٱلشَّامىّ فى جميع أطواره. وأنَّه مكمِّل لَّها. وكان «ٱلمِلُّوت» هو ٱلأساس لبنآء ٱلكلام وفهمه من قبل ٱلناس.

وبدراستى للسان ٱلشّام وجدت أنَّ «ٱلمِلُّوت» يبين لكلّ «مِلَّة» دليلاً مَّحسوسًا مُّحدَّدًا إلى جانب عددٍ مُّحدَّدٍ مِّن دونهما لا يمكن فهم تكوين ٱلكلمة. وهٰذا ما حاولت بيان بعضه فى بحث «ءَالِفبيت» ٱلمسطور فى هٰذا ٱلكتاب. وهو يمثل بداية إثارة لِّفهم ٱلمسألة ٱلِّسانية.

توقفت طويلاً عند «ٱلمِلُّوت» ٱلذى تبدأ به بعض سور ٱلقرءان. وكنت نظرت فى كتب ٱلميراث لعلّىَ أجد مرشدًا إلى فهم ٱلدليل وٱلمأرب من هٰذا ٱلمِلُّوت. وما وجدته فيه من قول يبين أنّ أصحابه تأثّروا بٱلتحريف أو شاركوا فيه. ومنه قولهم:

«اختلف المفسرون فيها، فمنهم من قال هى مما استأثر الله بعلمه».[1]

---

(١) «تفسير القرءان العظيم» تفسير ٱلأية فى سورة ٱلبقرة - ٱبن كثير.

ويفهم من هٰذا ٱلقول أنّ ٱللّه أرسل رسالة للناس ويريد منهم أَلاّ يعلموا بما فيها!!..

«ومنهم من قال عنها فواتح افتتح الله بها القرآن».[1]

وفى هٰذا ٱلقول أنّها فواتح مبهمة أتى بها ٱللّه على عماها!

«وقال آخرون «الم» اسم من أسماء القرآن، واسم من أسماء السورة وقيل هي اسم من أسماء الله، ومنهم من قال أنها كل ذلك».[2]

ورأيت فى جميع هٰذا ٱلقول رجمًا بٱلغيب وتخريصًا ودليلاً على ٱلضياع وٱلجهل ٱلذى ولّده ٱلتحريف. إلاّ أنّنى وجدت قولاً عن ٱلكلمة ٱلأية «الٓمٓ» للزمخشرى:

«لا شك أنَّ هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثاً ولا سدى، من قال من الجهلة إن فى القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأً كبيراً».[3]

فقد رأىَ أنَّ هذه ٱلحروف ليست عبثًا. إلاّ أنّه وبفعل ٱلتحريف ٱلطّاغى على ٱلكلام. قال ومعه ٱلعباس ٱبن تيمية وأبو ٱلعجاج ٱلمزىّ:

«أن هذه الفواتح جعلها الله لتكون تحدّياً وإعجازاً للناس».[4]

وفى ٱلبلاغ بيان يظهر لنآ أنّ ٱلإعجاز محدّد بٱلإتيان بمثله وليس بفهمه. وإلا كيف سيكون للرّسالة أن تهدى وهى عصيّة على ٱلفهم؟!!

وهٰذا ٱلبيان تظهره ٱلبلاغات ٱلتالية:

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ١١٨ ٱلبقرة.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ١١٨ ءَال عمران.

﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٢٢١ ٱلبقرة.

---

(١) ٱلمرجع ٱلسابق «ٱبن كثير».
(٢) ٱلمرجع ٱلسابق «ٱبن كثير».
(٣) ٱلمرجع ٱلسابق «ٱبن كثير» وٱلقول للزمخشرى.
(٤) ٱلمرجع ٱلسابق «ٱبن كثير».

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ١٨٧ ٱلبقرة.
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١٩ ٱلبقرة.
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ١٠٣ ءال عمران.
﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

كل هٰذه ٱلأيات تدل علىٰ أنه لا يوجد فى ٱلقرءان ما هو معجز لِّلناس فى فهم وعقل مضموم ٱلرّسالة. وإعجازه محدّد فى مسألة واحدة هى ٱلإتيان بمثله:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ ٨٨ ٱلإسراء.
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ٢٣ ٱلبقرة.
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ ٣٨ يونس.
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ ١٣ هود.
﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ ٣٤ ٱلطور.

فٱلإتيان بمثله أو بسورةٍ مِّن مِّثله أو بعشر سور. يستدعى خلقًا وتسويةً بٱلفطر وٱلإبداع. وٱلقرءان كتاب فى حديثه بيان عن جميع ٱلحقِّ ٱلمسوَّىٰ بفعل ٱلرحمٰن. وأىّ كتاب أخر لا يمكنه أن يحدّث ويبين حقًّا إلاّ فى حدود ٱلنظر فيه. فكيف يبين حقًّا يتطلَّب إيجاده خلقًا وتسويةً؟

ٱلسُّورة هى ٱلذَّرة فى ٱللغة ٱلفصحى فهل يستطيع ٱلناس ٱلناظرون منهم فى كيف بدأ ٱلخلق أن يأتوا بسورة من مِّثله؟

إنهم ينظرون فى ٱلسّور ٱلـ ١١٤. وكذٰلك فى ٱلسّور ٱلمثيل ٱلـ ١١٤. ويقولون عنها محدثين بما هو حقّ فيها. حيث ١١٤ سورة مستقرّة و١١٤ سورة مثيل غير مستقرّة. فهل يمكنهم أن يأتوا بواحدة أو عشرة مثلهآ؟

أىَ أن يأتوا بسورة من خارج ٱلسُّوَرِ ٱلـ ١١٤. لآ أن يكتشفوا واحدة أو عشرة مِّنها. فهٰذا مبيّن لَّهم فى ٱلأمر ٱلتوجيهىّ:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

ونظرهم يكشف لهم ٱلحقَّ ٱلمبلَّغ عنه فى ٱلكتاب «١١٤ سورة نزول و١١٤ سورة ٱستقرار».[١]

ومثل ٱلسُّوَر هو ٱلحديثُ عنها. فٱلذى يأتى بٱلحديث عن جميع ٱلحقِّ يبيّن للناس أنّهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله. وٱلسّبب أنّه إلٰه واحد خالق فاطر بديع سوّى جميع ٱلحقِّ وأرسل حديثًا عنه هو ٱلقرءان يبيّن فيه:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ٢٢ ٱلأنبياء.

فٱلذى يمكنه أن يأتى بمثله هوّ إلٰه أخر. ولكان وجد ٱلناظرون تسويته وقد ٱختلطت بتسوية ٱللَّه.

ونوصل إلى ٱلقول أن ٱلكلمة «الٓمٓ» ليست مبهمة ولآ أعجمية ولا تحديًا ولآ إعجازًا. فهى كلمة ءاية وكتاب كما يبين ٱلبلاغ:

﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ (٢)﴾ ٱلبقرة.

وقد قال ٱلزمخشرىّ صوابًا حيث رأىَ أنّ «ذٰلك» تشير إلى «الٓمٓ». فما هو هٰذا ٱلكتاب؟

لقد رجعت إلى ٱلّسان ٱلشَّامىّ ورأيت أنّ ٱلمِلُّوت يمثل مفاتيح أقفالٍ للكلام. وعدت إلى ٱلكتاب «الٓمٓ» فرأيت أنه يضم ٱلسّور ٱلتى يتكون منها واحد ٱلمآء H_2g_2O.[*] وبعد طول نظر فى ٱلمسألة تبيَّن لى صدق ما قاله ٱلزمخشرىّ أنّ ٱلإشارة «ذٰلك» تعود إلى ٱلكلمة «الٓمٓ». إلآ أنّه لم يتابع ٱلنظر ليصل إلى ٱلعلم أنّ ٱلكتاب «الٓمٓ» هو أول صحفة فى كتاب ٱلحياة ٱلذى تظهره سورة ءال عمران:

﴿الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢)﴾ ءال عمران.

ٱلبلاغ ٢ ءال عمران يبيّن أن ٱللَّه ينفرد بسمة «ٱلحىّ ٱلقيّوم». وتفرق عنه ٱلحياة ٱلتى فى ذٰلك ٱلكتاب «الٓمٓ» ٱلذى جعله ٱللَّه أساسًا لِّكتاب ٱلحياة جميعه:

---

(١) كتابنا «منهاج ٱلعلوم» ٱلكتاب ٱلأول «بحث ٱلقرءان ١١٤ سورة».

(*) تفصيل ذلك فى بحث «ٱلمِلّوت - ٱلألِفبيت» فى هذا ٱلكتاب.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبياء.

لقد بيّن ٱلبلاغ أنَّ كتاب ٱلمآء «الٓمٓ» لا ريب فيه. وظهر للناظرين فى كيف بدأ ٱلخلق أنّ ٱلرّيب يقع فىَ أقسام هٰذا ٱلكتاب قبل ٱجتماعها فيه. أى فى «ءَالِف ولامَد ومِم hydro /gen /ox». وجآء بذٰلك «هيزنبرغ» ٱلذى رأىَ أنَّ علمنا بموضع ٱلسّورة «ذرة فى ٱللغة ٱلفصحى» يذهب بعلمنا بسرعتها. وإذا علمنا بسرعتها فقدنا ٱلعلم بموضعها. وبيّن «هيزنبرغ» أنّ ٱلرّيب يقع فى ٱلمقدار ٱلذى يعرّف بٱلاسم Quantum. فٱلسُّورة وأقسامها «بروتون ونيوترون وإلكترون وأقسامها» أشيآء مقدارية Quantum. وهٰذه ٱلأقسام قآئم فيها ٱلرَّيب. أمّا بنآء ٱلسّور للكتاب «الٓمٓ H_2g_2O» فيوقف ٱلرّيب فيه. وتصير معرفتنا وعلمنا به حقّ ثابت. وهٰذا ما بيّنه ٱلبلاغ ٢ ٱلبقرة.

وبمتابعة ٱلنظر فى ٱلكتاب «الٓمٓ» فى بقية ٱلسّور يوكّد ما توصلنآ إليه من أنَّ «الٓمٓ» هو واحد ٱلمآء H_2g_2O وهو كتاب حىّ:

﴿الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ (٣)﴾ ٱلعنكبوت.

بدأت ٱلسورة بٱلكتاب «الٓمٓ» وهو جزء ٱلمآء ٱلذى جعل ٱللّٰه منه كلَّ شىءٍ حىّ. ومنه ٱلناس ٱلّذين يفتنهم فى هٰذه ٱلمسألة. فقول ٱلناس «ءَامنّآ» إمّآ أن يكون صادقًا أو يكون كاذبًا. ويأتى بٱلصدق ٱلّذين يطيعون ٱلأمر «قل سيرواْ فى ٱلأرض فٱنظرواْ كيف بدأ ٱلخلق» سعيًا ورآء ٱستقرار ٱلنبإ ٱلذى يُظهر أنّ ٱلحياة من مآء واحده «الٓمٓ H_2g_2O» وأنه كتاب لا ريب فيه.

وٱلذى يطيع ٱللّٰه ويسير فى ٱلأرض ناظرًا فى كيف بدأ ٱلخلق يجاهد لنفسه:

﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨) ٱلعنكبوت.

وفيه بيان عن موقف ٱلوالدين ٱلّذين سيرفضون من ولدهم قوله أنَّ «الٓمٓ» هو واحد ٱلمآء كتاب لا ريب فيه. وسيجاهدون ولدهم بسبب إيمانه ٱلذى يرىَ أنّ ٱللّه عليم بٱلفيزيآء وٱلكيميآء. وقد جعل بعض علمه حديثًا مُّرسلاً لِّلنَّاس ٱلناظرين فى كيف بدأ ٱلخلق.

أمَّا ٱلوالدان فسيحاولان أن يعيدا ولدهما إلى قول ٱلظَّنِّ «اسم للسورة واسم للقرءان واسم لله. .» إلخ.

وما يبيّنه ٱلبلاغ أنَّ طاعتهما منهىّ عنها «فلا تُطِعهما». ولا يجوز له ٱلتراجع عن ٱلحقِّ إلى ٱلباطل بعد أن علم أنَّ «الٓمٓ» هو واحد ٱلمآء ٱلذى يوصل بتطوره إلى ٱلحكمة:

﴿الٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ (٢)﴾ لقمان.

ءَايات ٱلكتاب ٱلحكيم هى ٱلكتاب «الٓمٓ» ٱلذى تراكم عدده حتى بلغ مقدارًا كوَّن ٱلكتابَ ٱلحىَّ ٱلذى وصل بأطواره إلى ٱلبشر وبنفخ ٱلروح فى قلبه إلىَ ءادم. وبتتابع ٱلرسالات إلى ٱلحكمة. ٱلتى تُوصل إلى ٱلهداية وٱلرَّحمة وٱلإحسان:

﴿هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ٣ لقمان.

وفى هٰذا ٱلوصول يفترق ٱلواصلون عن ٱلغارقين فى ٱلظّنّ وٱللّهو وٱلقول ٱلكاذب:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٦) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)﴾ لقمان.

فٱلناس لونان:

يعبدون ٱللّه فيطيعون أمره ويسيرون فى ٱلأرض ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق فيحدث من أعمالهم سيئات. إلاّ أنّهم بوصولهم إلى قطع ٱلرَّيب فىَ ءايٰت ٱللّه. يُكفِّرُ ٱللَّه عن سيئاتهم ويجزيهم «أحسن ٱلَّذى كانواْ يعملون».

أما ٱللّون ٱلأخر فهم كثيرون:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ ٩٥ يونس.

وٱلناس ٱسم لِّكل ٱلأفراد من ذكور وإناث على ٱختلاف ألوانهم وألسنتهم وأوقاتهم. ورسالة ٱللّه لجميع ٱلناس:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ٢٨ سبأ.

أعود إلى ءَالِفبيت وأقول أنَّ ٱلذى يوصل إلىَ إدراك دليل كل مِلَّة مِّن ءَالِفبيت ٱلعربىّ. يبدأ يدرك ٱلبلاغ ٱلعربىّ إدراكًا طُوريًا يأتى به ٱلجهد فى فهم ٱلدليل. ويصير ٱلرَّسول وٱلرِّسالة لجميع ٱلّذين يعلمون من ٱلناس بكل ألوانهم وألسنتهم. ويصير فهم ٱلكلمة عليهم يسيرًا بدليل مِلُوتها. كما يفهمون جميعهم أنّ ٱلرّمز H_2O لا يُظهر ٱلطرف ٱلثالث gen فيصوّبونه ليظهر ٱلكلمة كاملة H_2g_2O.

جئت فى بحث ءَالِفبيت بدليل ٱلمِلَّوت من ٱلعبرية وٱلأرامية. وأجريت ٱلنظر فى بعض ٱلكلمات. وحاولت فتح أقفالها. وعملى فى ذٰلك ٱلبحث هو فتح للمسألة. وما يزال فى ٱلبداية. ويلزمه عدد كبير من ٱلناظرين.

وٱلسبب أنّ عمر ٱللّغو كبير. وسببه هَجرُ قوم ٱلرّسول للقرءان وغياب ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى فى ديارهم. وسبب كل ذٰلك هو فى صيطرة ٱلكهان ولسان لغتهم ٱلفصحى على كل وسآئل ٱلعلم وٱلمعرفة. وهى مثل تلك ٱلصيطرة ٱلتى كانت لكهان ٱللاتينية ولغتهم ٱلفصحى على قارة أوروبا بكاملها.

لقد رأيت أنَّ ٱلِّسان ٱلعربىّ ٱلمبين «ٱلقرءان» هو لسان ٱلنّاس كافة وفى كل ٱلأوقات. وٱلرسول محمد هو رسول لهم جميعًا إلى قيام ٱلساعة. وهٰذا ما سيوصل ٱلنظر وٱلبحث إليه. فكلمة «ٱلـمّ» بعد أن نعلم أنّها تدل على واحد ٱلمآء H_2g_2O وهو كتاب لا ريب فيه(*) نصدّق ٱلبلاغ ٱلذى لا ريب فيه ونطمئنُّ إلى لسانه.

(*) لأن ٱلنظر وٱلبحث فيه يبيّن أنه «ٱلـ؟ H_2g_2O» فى كل وقتٍ وأنَّ ٱلرَّيب يقع فى مكوناته وأقسامه لا فيه.

ٱتبعت فى هٰذا ٱلكتاب منهاج ٱلِّسان ٱلعربىِّ ٱلمبين (ٱلقرءان) وصورة خطِّ ٱلكلمة فيه على قدرٍ مساعدة منهاج ويندوز ٱلكومبيوتر لى فى ٱلخطِّ. وجهدت ليكون قولى فيه يتبع ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين إلى جانب لسان فطرة ٱلأميين ٱلشَّاميين.

وأريد أن أبيّن أنَّ ٱلجهد فى هٰذا ٱلكتاب وفيما سبقه. ليس نهاية للقول فى كلام ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. لأن ٱلقول يتبع أطوار ٱلرُّوح ٱلتى يزيد فى بيان قدرته بلاغ ٱلبحث ٱلعلمى. وهٰذا يجعل ٱلقول يحنف وفيه ميل إلىَ أعلا فى ٱلقول حتى يبلغ ٱلقرار.

وأذكّر أن بحوثى ليست شرحًا لكتاب ٱللَّه. ولا تنتسب إلىَ أعمال ٱلسلف ومن يتابعهم فى وقتنا. فهم زعموا ٱلعلم بكلِّ ما فى كتاب ٱللَّه من أنبآء. متجاوزين كل أطوار ٱلروح وطُوره ٱلأعلى «ميكـٰل». ومن يتابعهم فى زعمهم ٱليوم يوقف فى وجه كل من ينطق بقولٍ جديد فى ٱلكلام ٱلعربى. متمثلين موقف «ٱلّذين هادوا» ٱلّذين جآء عنهم فى كتابى هٰذا توسيع فى ٱلبيان لموقفهم ٱلرافض لكلِّ جديد. وهم ٱلّذين يأتون بكلِّ سلطة طاغوتٍ ويحتلون مواقع هامانات كهانها. يعملون على بثِّ ٱلباطل بين ٱلنّاس ويفرّقونهم شيعًا يقاتل بعضهم بعضًا وينشرون ٱلظلم فى ٱلدِّيار ويعمُّ ٱلجهل بين ٱلناس. فيندفعون ورآء ٱلشَّهوات تسيطر عليهم قوى ٱلجنِّ ٱلجسمية (ٱلغريزة). فيتعاظم أكلهم ويكثر نكاحهم بعد أن تعمى قلوبهم. ويَسيدُ فى حياتهم ٱللهو وجمع ٱلأشيآء وٱستهلاكها وتقديمها على وسآئل ٱلعلم وٱلمعرفة. وهٰذا يزيد فى فعل ٱلشَّيطان عند ٱلأفراد. ويتعاظم ٱلظنُّ ويولد ٱلباطل وٱلظلم وٱلطاغوت. فتسوء ٱلأفعال ويكبر ٱلكذب وٱلنفاق. وتكثر ٱلأمراض على ٱختلاف ألوانها.

وأضرب مثلاً على ٱلناس ٱلّذين يعيشون تحت سلطة ٱلطاغوت. «ٱلصِّينيّون» ومن يشبههم فى بلاد ٱلشّام. حيث عمر ٱلطاغوت عندهم مديد. وهم يتكاثرون بفعل صيطرة منهاج ٱلطاغوت فى حياتهم ٱلذى يكفر عليهم جميع منافذ ٱلنظر وٱلعلم فيزداد عددهم كما تزداد ٱلفطور بسبب زيادة فعل ٱلتكاثر لديهم على

حساب ما ينقصهم من أعمال نظر وعلم. وإذا قابلنا مثلهم مع ٱلناس فى ٱلدانمرك وٱلسويد وٱلنروج نجد أنَّ هؤلآء ٱلأَخرين يقل عددهم ٱليوم عن عددهم قبل عشرين عامًا. وإذا نظرنا فى توجّههم. نرىَ أنهم يقرأون كثيرًا. وأكلهم ونكاحهم قليل. وأعمارهم تزيد وتطول. وأكثر ٱلأفراد فى ٱلدانمرك وٱلنروج وٱلسويد هم من كبار ٱلعمر. كما نجد هؤلآء يتجرون بٱلعلوم وأكثرها نظرية. ومثل هؤلآء هم «ءال إبرٰهيم» ٱلّذين يتفكرون ويستنبطون ٱلنظريات. يبيعونها ويستنبطون غيرها. وٱلّذين يشترون نظريات «ءال إبرٰهيم» هم ٱلّذين يعملون فى ٱلتسوية وٱلعمران فيجعلون ٱلنظرية عمرانًا وهؤلآء هم «ءال عمران».

أما ٱلصينيون وأمثالهم ٱلّذين يأكلون ويتكاثرون. فأرىَ أفعالهم تتوجه لنشر ٱلعدوان. وهم يطالبون ٱلّذين ينظرون ويقرأون ويسوّون لفتح أبواب مجتمعاتهم أمام أولادهم ٱلّذين يزدادون. ولم يعد يسعهم ٱلبيت ٱلذى ضاق بأهله. كما يطالبون بٱلطعام وٱلأشيآء ٱلتى تزيد عدوانهم. وسبب ذٰلك أنهم لا يقرأون بفعل ٱلطاغوت ٱلذى يسيطر على حياتهم ويبعد عن قلوبهم ٱلأمر:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وتدفع سلطة ٱلطاغوت لديهم ٱلنّاس بعيدًا عن هٰذا ٱلأمر وتكرههم على ٱتباع دينها:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ ٨٨ ٱلأعراف.

وهٰذا ما تفعله سلطة ٱلطاغوت فى ٱلصين وأمثالها فى بلاد ٱلشّام. فكلُّ قولٍ لا يوافق قول ٱلسلطة ٱلمستكبرة على ٱلناس فى ديارهم. تواجهه ٱلسلطة بٱلإكراه على ٱلعودة إلى قولهآ أو ٱلقتل أو ٱلإخراج من ٱلديار.

بيّن ٱلبلاغ ٱلعربىّ أن للناس ٱلخيرة فى ٱلقول وفى ٱلعمل. كما بيّن أنَّ ٱلطاعة للّه وحده. ولا طاعة لغير ٱللّه من دون ٱللّه. وهنا ٱلطاعة تظهر فى سلوك ٱلفرد.

كلّ مِّناَ إمّاَ أن يكون عبدًا لِّلّه يطيع أوامره فلا يخالفهاَ أو يكون عبدًا لهوىٰه. ولا سلطة لأحدٍ علىَ أيٍّ من ٱلفردين ٱلمتناقضين فى ٱلتوجه. فٱلأمر ٱلإلٰهىّ بيّن:

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ ٢٩ ٱلكهف.

هٰذه ٱلمشيئة بينها ٱللّه. وٱلفرد يختار بإرادته ٱلتوجه ٱلذى يرىٰه. وقد وكّد ٱللّه مشيئته فى توجيه بيّن:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

فرسالة ٱللّه موجهة لِّلناس جميعًا وبلسانٍ واحدٍ وحيدٍ هو لسان ٱلقرءان ٱلعربى ٱلمبين. وسبيل ٱلناس لفقه ٱلرسالة هو ٱلعلم فى دليل هٰذا ٱلِّسان وبدليل ٱلأبجديّة ٱلتى تمثّل أعدادا منفصلة. وبٱلعلم بدليل ٱلأبجدية ودليل ٱلحركات تحوّل ٱلرسالة عبر ٱلدليل ٱلعددى بواسطة منهاج للكومبيوتر إلى جميع ألسن ٱلناس لتكون أحسن حديث بكلِّ لسان. وهٰذا لا يحدث فى ديارٍ تُغلِق سلطةُ ٱلطاغوت فيه بين ٱلناس وتسوِّرهم بحدودٍ وتنفثُ بينهم ٱلجهل وٱلعداوة وٱلخوف وٱلبغضآء. يعاونها فى ذٰلك جيش كبير من ٱلكهان(*) على ٱختلاف ألوانه. أمَّا رسالة ٱللّه ٱلعربية ٱلبيان فستنتشر فى ديارٍ أهلها يقرأون ويبيّنون. ومنهم علمآء فيزيآء وفلك وفيزيولوجيا ومقدار وغيرها من علم ٱللّه. ونعلم منهم من أدرك إدراكًا عربيًّا من تلاوته كتاب ٱللّه. مثل «موريس بوكاى» و«روجيه جارودى» وغيرهما. وينتشر أكثر ما جآء فيها عن عهد ٱللّه وميثاقه فى شرع ٱلأساس «دستور» للولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وفى شرع ٱلكثير من حكومات ٱلقارة ٱلأوروبية. وهى ٱلتى يسميها دعاة ٱلإسلام «أرض ٱلكفر» عدوانًا وبهتانًا ونسيانًا للموعظة:

﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ ٥٦ ٱلعنكبوت.

وبنسيان ٱللّه وبلاغه ٱلعربى ٱلمبين ينشأ منهاج ٱلطاغوت وتنشأ عبادته.

(*) ٱلكهان ليسوا رجال ٱلدين وحدهم بل هم كلُّ ٱلعاملين فى تسويق مفاهيم سلطة طاغوت وهم مَن يُعرفون بٱلكلمة «بيورقراط bureaucrat».

ويُساقُ ٱلعابدون له فى طريق ٱلباطل وٱللغو وٱلتحريف يعبدون ٱلطاغوت. فيضيع ٱلسبيل إلى ٱلدليل وٱلبيان. ويحلُّ بهم ٱلضّلال وٱلتّخلف وٱلمعيشة ٱلضّنكِ.

* *

جآء فى هٰذا ٱلكتاب بحوث متصلة ببعضها. وفيها جهد لفقه ٱلدليل وجريانه فى ٱلبلاغ ٱلعربى. مع بيان لأعمال ٱلتبادل بين ٱلألسن (ٱلترجمة) ٱلتى تقوم بها ٱللغة ٱلفصحى. وبيان أثر ذٰلك على سبيل ٱلعقل ٱلذىَ أراده ٱللّٰه من ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين.

ومهّدَت هٰذه ٱلبحوث لبحثٍ جآء فىَ أخر ٱلكتاب هو بحث فى كلمة «رَحَمَ». وقد وجهت لأن أسير فيه وجهة نظريةٍ فى ٱلتكوين تتابع ما جآء فى ٱلكتاب ٱلأول وفى بحث «ٱلقرءان ١١٤ سورة».

وأوكّد أن متابعة ٱلنظر فى كتاب ٱللّٰه وٱلعمل على فقه دليل ٱلكلمة ومِلّوتها فى جوٍّ من ٱلمتابعة لِمَا يخرج به ويفصحه بلاغ ٱلبحث ٱلعلمى هو ما يكشف ٱللغو فى ٱلكلام وٱلقول. وهو ما يعيد ٱلناس إلى ٱلسبيل ٱلعربى ٱلمبين إن أرادوا ذٰلك.

كمآ أوكّد وأشدد فى ٱلقول أن نقص عدد ٱلّذين يتلون ويقرأون. يُزيد فى قوة منهاج ٱلكهنوت وٱلطاغوت وٱلتخلف وٱلتشدُّد فىَ إغلاق ٱلحدود بين ٱلناس. ومنعهم من ٱتباع ٱلأمر ٱلإلـٰهى:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وأوجِّهُ كلَّ قوايَ للحضّ عليه. وأطلب من ٱللّٰه أن يمدّنى بٱلعون وٱلبصيرة وٱلفقه فى بلاغه ٱلعربى ٱلمبين. وفى متابعة ما يقرأه علمآء ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى بكل ألوانه.

* *

قبل نهاية هٰذا ٱلمدخل. سأتوقَّف عند بعض ٱلمواقف ٱلتى واجهتها كردودِ فعل علىَ أعمالى. وسأعرض لها هنا من دون تطويل فى ٱلقول. ومنهآ أنّىَ

أحاول تركيع ٱلأيات لتوافق ما ينجم عن ٱلبحث ٱلعلمى. وأنّى قُرءانىّ لآ أقبل بٱلسِّنَّةِ ٱلنَّبويَّة. وأنّىَ أتوكّأ على ٱلمنهاج ٱلعقلانى فى تفسير كتاب ٱللّه. وأقحم ءايات ٱلقرءان فىَ أمورٍ علميَّةٍ. وجميع أصحاب هٰذه ٱلأرآء هم من ٱلّذين يقولون عن أنفسهم «ءامنّا». وقولى لهم هو تذكير لهم أنَّ كتاب ٱللّه يضمّ ٱلأنبآء ٱلتالية:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ ٨٨ ص.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ ٥٣ فصلت.

كمآ أذكّرهم بٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ٢ ٱلعنكبوت.

فٱلقولُ «ءامنّا» تعقبه فتنة تتعلق بٱستقرار ٱلنبإ ٱلذى ينجم عمَّا يقرأه ٱلسَّآئرون فى ٱلأرض ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق. وأنّ أعمالهم هىَ أعمال ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى ٱلتى ينجم عنها قروء وبلاغات مبينة. وما ينجم عن بياناتهم يبيّن ٱستقرار ٱلنبإ فىَ أوعية وبيوت بحوثهم.

فٱلّذين يقولون أنّىَ أركّعُ ٱلأيات لتوافق ما ينجم عن ٱلبحث ٱلعلمى يستنكرون أن يكون ٱلبلاغ حاملا لِّنبإ ٱستقرّ فى بحث علمىّ. بل يستنكرون أن يكون بمستوى ما ينجم عن ٱلبحث ٱلعلمى. وهم فى ٱستنكارهم هٰذا لا يؤمنون أنَّ ٱللّه يعلم كما يعلم «أينشتاين» وغيره من علمآء ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى. وهم فى ٱستنكارهم هٰذآ أكثرُ غفلة من ٱلّذين لا يذكرون ٱللّه أبدًا. وترىٰهم منتفخين متعالين على ٱلناس بما يزعمون من ٱلإيمانِ بٱلقول ٱلكاذب ٱلذى لا يصدِّقُ ٱلفتنة. وإذا مددت يدك لتصافح أحدهم ٱمتنع عن مدِّ يده إليك بكل تعالٍ وتكبُّر وٱدعآءٍ بٱلطهارة ٱلتى لا يريد قطعها بمصافحتك. وهو لا يعترف بٱلأمر:

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ..﴾ ٦ ٱلمائدة.

كمآ أنّه لا يقرُّ بٱلغسل قبل ٱلقيام حتّىَ إلى ٱلصَّلوٰة ٱلتى يظنّها. وهو لا يدرىَ

أنه ٱعتدى عليك بتعاليه وتكبُّره. ولم يسمع ٱلأمر:
﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ ١٩٠ ٱلبقرة.

لن أطيل فى ٱلقول عن تلك ٱلمواقف أكثر ممَّا قلته. ولن أجعلهم يوقفون متابعتى فى ٱلعمل لإدراك ما فى كتاب ٱللَّه بمساعدة بحوث ٱلعلم وقروئه. وفى هٰذا ٱلكتاب مسآئل علمية أكثر ممَّا جآء فى كتبى ٱلسابقة. فقد ساعدنى ٱلبحث ٱلعلمى فىَ إدراك دليل ٱلأية ٱلأولى من سورة ٱلبقرة ٱلتى عرضنا لتخريص قول ٱلسلف فيها. وقد رأيت فى ٱلكلمة ٱلأية «الٓمٓ» أنَّها تدلُّ على واحد ٱلمآء "H_2g_2O". وما رأيته كان إدراك دليل ٱلأبجدية ٱلشَّامية إلى جانب إدراك ما يكشف عنه بلاغ ٱلبحث ٱلعلمى سببا لهٰذه ٱلرُّءية.

وفى بحث «ءَالِفبيت» جآء قولى عن مكونات واحد ٱلمآء كما يظهرها بلاغ ٱلفيزيآء (hydrogen & oxegen). وفى ٱلكلمتين كلمة "gen" تلحق بكلمة "ox" ٱلتى تدل على «ثور» وبكلمة "hydro" ٱلتى تدل على «مآء». وهى ما لا يظهره رمز بلاغ ٱلفيزيآء "H_2O".

ورأيت فى كلمة «الٓمٓ» أن كلمة "gen" من حقِّها ٱلظهور فى ٱلرّمز مع ٱلثور وٱلمآء. وهو ما يدلُّ عليه ٱلملَّة لامد «ل» (عصا راعى ٱلبقر) فى كلمة «الٓمٓ». وهو ٱثنان تدل عليه علامة ٱلمدِّ فوقه «لٓ». وكذٰلك هو ٱلمِم «مٓ» ٱلذى يدلُّ على ٱلمآء. وهٰذا حرضنىَ لأعيد تكوين رمز ٱلفيزيآء وأظهر ٱلملة "g" مع ٱلعدد ٱلذى يدل على تكراره فى ٱلكلمة ٱلرّمز "H_2g_2O".

أتى فى ٱلقرءان أنّه بلاغ:
﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ٥٢ إبرٰهيم.

فعن أىَ أمر أراد ٱللّه بلاغنا؟

لقد بيَّن ٱلبلاغ أنّ ٱلتّذكّر لأولى ٱلألباب. وهم أصحاب ٱلقلوب ٱلتى ٱمتلأت

بما نجم عن ٱلبحث ٱلعلمى ٱلذى يبيّن ٱستقرار ٱلنبإ.

أما بقية ٱلناس فبيّن ٱلبلاغ أنّهم غافلون ومشركون وضآلّون:

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ ٩٢ يونس.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ ١٠٦ يوسف.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ١١٦ ٱلأنعام.

❊ ❊

لقد تجاوزت ٱلخمسين من ٱلعمر. وقد ٱستَطَرَ فى صحف قلبى من ٱلباطل وٱللغو وٱلتحريف ما يصعّب عليّ فقه ٱلدليل ٱلحقّ. وقد أدركت هٰذه ٱلمسألة وأنآ أخط كتابى ٱلرابع «ٱلحكم ٱلرسوليّ». وبدأت أجهد فى كنس ٱلباطل وٱللغو وٱلتّحريف. وكنت أظنّ أنّ ذٰلك صعب. وقد يأخذ منى ما بقى من ٱلعمر. وإذا بٱلأمر هيِّن بعد أن تزول جلبة «إبليس» وهى باطل بفعل ٱلنظر ٱلسآئل عن ٱلحقِّ.

فيـٰٓأيُّها ٱلإنسان ٱلموقر. أرجوّ أن تتلوا كتابى بصبر. وأن تجعل مفاهيمك على ٱلحياد حتى تنهى تلاوته. وقل فيه بعد ذٰلك ما تربٰه ببصيرتك.

ٱلتحريف

ٱلتحريف مسألة بحث فيها ٱلسلف ومنهم «ٱبن فارس» فى كتابه «ٱلصاحبى». و«حمزة ٱبن ٱلحسن ٱلأصفهانى» فى كتابه «ٱلتنبيه على حدوث ٱلتصحيف». و«ٱلعسكرى» فى كتابه «ٱلتصحيف». وتابعهم فيها مفكرون من ٱلخلف منهم «شوقى ضيف وصبحى ٱلصالح ومحمد عيد وسمير كجو» وغيرهم.

وأرىَ أنّ هٰذه ٱلمسألة ما زالت مفتوحة. بل ما زالت تزيد وتكبر. حيث أنَّ ٱلّذين بحثوا فيها من ٱلسلف وٱلخلف وقعوا فيها. وأنَّ ٱلّذين يوقفون على رأس ٱلعلم فى ٱلكلام وقد عدّهم «حمزة ٱبن ٱلحسن ٱلأصفهانى» ومنهم «ٱلخليل وسيبويه وأبو عمرو ٱبن ٱلعلآء وٱلأصمعى وٱلكسآئى وٱلمفضل وٱلفرّآء وثعلب» وغيرهم. وقد عدّ ستة وعشرين من ٱلسلف وجآء قوله عنهم أنَّهم وقعوا جميعهم فى«ٱلتصحيف»: (*)

[فلا نكاد نقف على كتاب سلم منها، كما لم يسلم منها عالم من علمائنا القدامى على سعة علمهم، ووفرة محصولهم من اللغة، وشدة حرصهم وغيرتهم الملحوظة عليها]. (١)

ورأى ٱلباحثون فى هٰذه ٱلمسألة (من ٱلسلف وٱلخلف) أنَّها سببت فى ولادة كلام لغو أخذ مكانًا فى ٱلقول. ونشأ عن ذٰلك ما سمّوه ٱلإبدال وٱلترادف.

(*) تستعمل كلمة «تصحيف» مكان كلمة «تحريف» عند ٱلسلف وٱلخلف.

(١) باب «فى تصحيف ٱلعلمآء فى شعر ٱلقدمآء» من كتابه «ٱلتنبيه عل حدوث ٱلتصحيف».

وعندما نشأت ٱلمعاجم تصدرت صحفها هٰذا ٱللغو وٱختلط مع كلام ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين ولسان ٱلأميين ومن دون تفريق بين لسان ٱلوحى ولسان ٱلبشر. وصار على ٱلباحث أن يبذل جهدًا عظيمًا للفصل بين ٱلكلام ٱلعربى وكلام ٱلتحريف وٱللغو.

وأوجّه جهدى للبحث وبيان ٱلرأى فى ٱلتحريف بعد بيان فقه دليل ٱلكلمة وٱلقول ٱلذى جرى فيه تحريف. من دون غوص فىَ أعمال ٱلسلف وٱلخلف على ٱلسوآء. لأن عملى لا يتوجه إلى نقض ٱلأفراد. بل إلى بيان ٱلتحريف فى ٱلكلمة أو ٱلقول. وعملى فى هٰذه ٱلمسألة لن يُحصى ٱلكلام وٱلقول ٱلمحرّف ٱلموروث ٱلذى يزيد فعله فى قولنا ٱليوم. وسأكتفى بضرب ٱلمثل عليه فى ٱلكلمة وٱلقول. وبيان هيئة ٱلتحريف وأثره على دليل ٱلقول وٱلفعل عند ٱلناس.

بيّن «حمزة» أن ٱلسلف وقعوا تحت تأثير ٱلتحريف فلم يظهر لهم. وزاد فيما وضعوه حوله. وجآءت أعمالهم فجعلت كلمة «لغة» بديل لكلمة «لِسان» وحرفت ٱلدليل. وكلمة «معجم» بديل لكلمة «معرب» وحرفت ٱلدليل. وٱستمر ٱلتحريف فى فعل ٱللغوَ إلى يومنا هٰذا.

فما هو سبب ٱلتحريف فى ٱلكلام وٱلقول؟

قلت فى كتاب «ٱلكلمة» أنّ لكلمة ٱلبلاغ وجهتان. متشابهة تشبه كلمة ٱلحقّ(*). وكاذبة تخالفها. وقلت أنَّ كلاًّ مِّنَ ٱلكلمتين تملك قوّة ٱلفعل بذاتها. فٱلتحريفُ هو ما ينشأ عن ٱلكلمة ٱلكاذبة ٱلمخالفة للحقّ.

وحتى يتبيّن لنا مفهوم ٱلتحريف أرتل ٱلبلاغات ٱلتى جرى فيها ٱلفعل «حرف»:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ ٤١ ٱلمائدة.

(*) ٱستعملت فى كتاب «ٱلكلمة» كلمة «كينونة» وهى ٱلتى تدل على شىء حقّ وفى هذا ٱلكتاب سأستعمل كلمة «حقّ» الأصوب.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ ٤٦ ٱلنساء.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ ١٣ ٱلمائدة.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٧٥ ٱلبقرة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ ١١ ٱلحج.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ ١٦ ٱلأنفال.

ويدل جريان ٱلفعل «حَرَفَ» فى ٱلبلاغات على ٱجتماع ٱلأفعال ٱلتالية فى دليله ومفهومه (مَيَلَ وكَذَبَ وغَشِىَ وشَوَبَ ولَغَوَ وخَدَعَ). وتبيّن هٰذه ٱلبلاغات أنَّ سببَ جريان هٰذا ٱلفعل يأتى به نقض ٱلميثاق وقساوة ٱلقلب وٱلنسيان وبغض ٱلحقِّ وتوجيه ٱلسَّمع إلى ٱلكذب وٱلعجلة فى ٱلكفر وتبديل ٱلقول ٱلحقِّ بقولٍ كاذبٍ.

وبيّن ٱلبلاغ ١٦ ٱلأنفال أنَّ ٱلفعل «حَرَفَ» يدل على خداع ٱلعدو فى ٱلقتال.

لقد بيّن ٱلبلاغ أنَّ ٱلتحريف يجرى فى ٱلكَلِم ومنه تحريف فى كلمة «قرءان» فجعلوها «قرآن» وفيها تحريف للكَلِم «ء» ووضع للمدّ « آ » فوق ٱلثور «آ». ومنه تحريف فى كلمة «أقصا» فحرفوا ٱلثور عن مواضعه وجعلوا ٱلكلمة «أقصى».

ومنه تحريف لكلام ٱللّه كقوله «إنّ ٱللّه يأمر بٱلعدل وٱلإحسان» فقالوا «اتقِ شرَّ مَن أحسنت إليه».

ومأرب ٱلتحريف هو ٱلوقوف فى وجه ٱلحقِّ. ومنع بيانه ٱلّذى ينجم عنه «لعلّكم تعقلون».

ويبين ٱلبلاغ أنَّ فاعل ٱلتحريف فريقان:

ٱلأول «ٱلّذين قالوٱ ءامنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم».

وٱلثانى «من ٱلّذين هادوٱ».

ٱلفريق ٱلأول قوله كاذب يخالف ما فى قلبه من خداعٍ. ويظهر كذبه من موقفه وعمله ٱلذى ينقض ٱلميثاق.

أما ٱلثانى فقوله يستند إلىَ إدعآء بٱلتمسك بما لديه ونبذٍ لِّما يأتى بعده.

وكان قولى فى كتاب «ٱلكلمة» أنَّ «ٱلّذين هادوٱ» هم ٱلّذين يتعصبون للقوم ويتفاخرون على ٱلأقوام ٱلأخرى يظنون أنّهم شعب ٱللّه ٱلمختار. وهٰذا ٱلقول يلزمه فقه لِّدليل ٱلفعل «هاد» وتفريق بينه وبين دليل ٱلفعل «هدى».

فهاد لمن يرجع إلى منهاج إما من صناعة ٱللّه ٱلحىّ ٱلقيوم ويهتدى به. وإما هو من صناعة ناس موتى فتسوقه منهاجهم إلى ضلال. فأصل ٱلهداية هو فى ٱلرجوع إلى منهاج سليم من ٱللغو للعلم به وٱستعماله فى منع ٱلشيط وٱلضلال.

وفهم دليل ٱلكلمة من أبجديتها يبسط فى فهم ٱلدليل. فكلمة «هَدَ» يبيّن شبكة مفتوحة تتصل بباب مفتوح. وعندما يكون أمام ٱلصيد أكثر من باب كما فى كلمة «هَدَّ» يكون خروج ٱلصيد متفرّقا ومتوزّعا من دون ثور يثيره. وهذا هو دليل ٱلهدِّ.

«هَادَ» فيها شبكة مفتوحة (هَ) يثيرها ثور «ا» ساكنة ثورته وبعده باب مفتوح (دَ) لا يصل إليه شىء من ٱلصيد. وهذا يبين أنّ ما فى ٱلشبكة من صيد باقٍ فيها بسبب سكون ٱلثور. وصيد ٱلشبكة غير معلوم لا هو ولا مَن صنعه.

فإمآ أن يكون صيدها من صناعة ٱللّه وحده وله مخرج واحد تتلقىٰه منه يد حرّة مسئولة (هَدَى).

أوَ أن يكون من صناعة ٱللّه وقد ٱختلط بصناعة ٱلناس ٱلتى تصيطر على صناعة ٱللّه بيد مسيّرة بٱلصيرى (ي) تحكم توجيه ما فى ٱلشبكة من صيد (يَهُ) فتجعله صُوَرًا (« ُ » يدلّ على حُلَم كما هو حلم ٱلنآئم) ويوتّد ٱلشبكة وتد ساكن

يمنع خروج صيدها من ٱلباب (يَهُود) ويبقى ٱلصيد محبوسا فى ٱلشبكة لا يخرج ليعلم به.

فٱلذى يرجع إلى ٱللّه يرجع إلى صناعته من دون صناعة غيره فلا يشرك صناعة أحلام ٱلناس معها فيهتدى ويرشد.

فٱلذين «هَادُواْ» هم ٱلذين يحلمون ويوتدون علىٰ أحلامهم. فإثارتهم للشبكة ساكنة سكونا مخفيًّا (هَا). وما فى ٱلباب ٱلموتد حُلَم (هَادُو). وٱلثور بعد ٱلوتد ساكن سكونا ظاهرا «هَادُواْ». ومن يحرك منهم ثورته ٱلساكنة على ٱلشبكة وٱلوتد يستطيع إدراك ٱلهداية إن تابع إثارته فى هذين ٱلمكانين. فٱلهداية غير مقطوعة عنه وعن ألوان ثلاثة من ٱلناس:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٦٢ ٱلبقرة.

وهؤلآء يستطيع أفراد منهم بما يعلمون ويعرفون أن يهتدوٓا إلى منهاج ٱللّه ٱلسليم من ٱلشرك فيؤمنوا بٱللّه وٱليوم ٱلأخر ويعملون صالحا.

ٱلفعل «هاد» يدل علىٰ إثارة لم تنته بسبب سكون ٱلثور.

أما «هدى» فيدلُّ على وصل ٱلشبكة بٱلباب وأمامها يد حرّة ومسئولة عما تفعله بٱلصيد ٱلخارج إليها.

فٱلّذين هادوا هم ٱلّذين سكنت إثارتهم للشبكة وٱلوتد وهم موتدون على ما يلتفتون إليه من أحلام. يرجعون ويوصلون ٱلحاضر بأحلام عن ماضٍ ميّتٍ. وهؤلآء يرفضون كلَّ جديدٍ قبل أن يتبيّنوا صدقه بما فى ذٰلك تصديقه لما معهم. وهٰذا يدل على جهلهم بما معهم. بسبب ٱتباعهم لأحلام من دون ٱلنظر فى صدق تأويلها. ومثلنا على ذٰلك ٱلّذين معهم «ٱلتورىٰة». فقد كفر بعضهم وكذَّب بٱلأنبياء وقطع رأس يحيى «يوحنا» بما لديه من أحلام. وبها كفر وكذَّب بعيسى

وٱلإنجيل. وسنده فى كفره وتكذيبه زعم بما هو مسموع عن ٱلسلف «مشنا»(*) ٱلذى وسِّعت أحلامه فصار «جمارا». ثم جمع «ٱلمشنا وٱلجمارا» فى كتابٍ واحدٍ «ٱلتلمود». من دون نظر فى ٱلتورىٰة وٱلأنبيآء ٱلمكتوبة.

وفى سفر أشعيآء ٱلنبأ ٱلتالى:

«ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عِمَّانوئيل» الإصحاح السابع.

وعندما ٱستقرَّ هٰذا ٱلنبأ على مريم وولدها عيسى. كذَّب دعاة ٱلإيمان به. وعندما قال لهم عيسى:

«لا تظنّوا أنّى جئتُ لأنقضَ النّاموس أو الأنبياء» إنجيل متى.

رفعوا فى وجهه ما سمعوه عن أحلام ءابآئهم. وفيه تحريف لِّلكلم جآء به ٱلّذين ينقضون ٱلميثاق بما يحلمون. ٱلّذين كفروا وكذّبوا وٱدّعوا تمسكهم بمآ أنزل عليهم:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ ٩١ ٱلبقرة.

وفى ٱلبلاغ ٱلعربى أنَّ عيسى صدّق ٱلتورىٰة وٱلأنبيآء:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ٤٦ ٱلمائدة.

موقفهم ٱلسلفى يظهره قولهم أنهم يؤمنون بمآ أنزل عليهم. ويزيدون عليه ما يزعمون من أحلام ٱلأبآء:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ١٧٠ ٱلبقرة.

ٱلأبآء هم ٱلسلف. ومنهم ٱلّذين كفروا برسالة ٱللّه. وكذّبوا ٱلأنبيآء. وجآءوا

(*) ٱلمشنا هو ما يحفظ سماعًا وٱلجمارا هو توسيع للمشنا أما ٱلتلمود فهو ٱلمشنا وٱلجمارا معًا وهناك تلمودان بابلى وأورشليمى.

«بٱلمشنا» بدلاً مِّنها ثم «ٱلتلمود». وهٰذا ٱلموقف ٱلسلفى يعود عند كل طُورٍ مِّن أطوار ٱلنبوة وٱلرسالة. وهو ٱلذى نجده فى مواجهة ٱلقرءان وٱلرسول محمد ٱلذىٓ أتى بٱلنبوّة ٱلخاتم. وفيها تصديق ما قبلها. ونبأ عمَّا بعدها من علوم إلى قيام ٱلساعة. ويبيّن ٱلتصديقَ ٱلبلاغُ ٱلتالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ ٤٧ ٱلنساء.

وٱلموقف ٱلسلفى لبعض ٱلّذين هادوا يمنعهم عن توجيه ٱلسمع إلى ٱلبلاغ. بما فى ذٰلك ما فيه من بيان أنَّ ما معهم صالح لِّلأخذ به وٱلعمل على ٱتباعه ولا نقض لَّه فى ٱلرسالة ٱلجديدة:

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ٦٨ ٱلمائدة.

لم يصدّق ٱلسَّلفيون عيسى وٱلإنجيل. وتابع موقف ٱلسلف وتشدّد فى وجه ٱلنبوّة ٱلخاتم ولم يصدّقها. لأنه لا يقيم ٱلتورىٰة وٱلأنبيآء ويتبع موقف وأحلام ٱلأبآء.

أما ٱلّذين زعموا ٱتباع ٱلإنجيل فمنهم من فعل فعل ٱلّذين هادوا وصار منهم. فلم يصدّق ٱلرسالة ٱلجديدة. ولم يقِم ٱلإنجيل ٱلذى يزعم ٱلتصديق به. وقد جآء فىٓ إنجيل «يوحنا» (ٱلإصحاحات ١٤ - ١٧) أنَّ مرشدًا «إلى جميع ٱلحقّ» سيأتى بعد ٱلمسيح. وورد فيه ٱسم هٰذا ٱلمرشد فى ٱلِّسان ٱليونانى Parakletos. وقد وجد ٱلعاملون فى فقه هٰذه ٱلكلمة أنَّها تدل على (ٱلوسيط وٱلمدافع وٱلروح ٱلقدس وٱلأمجد وٱلذى يستحق ٱلحمد).

وأتى فى ٱلبلاغ ٱلعربى على لسان عيسى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ٦ ٱلصف.

ٱلذى يستحقُّ ٱلحمد ٱسمه «أحمد».

وجآء فىٓ إنجيل «يوحنا»:

«وأمّا متى جاءَ ذاك روحُ الحقّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ لأنه لا يتكلّم من نفسه بل كلُّ ما يسمع يتكلّمُ به ويخبركم بأمورٍ آتية» الإصحاح ١٧.

وفى قوله بلاغ عن مرشد إلى «جميع الحق». وبيان أنَّ ما يتكلم به ليس له به علم «لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به».

وجميع ٱلحق منه ما قد سلف ومنه ما سيأتى لاحقًا. وهٰذا ٱلمرشد «يخبركم بأمورٍ آتيةٍ». وجآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى عن ٱلرّسول محمد:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ٤٨ ٱلعنكبوت.

ومثل هٰذا لا يمكنه أن يرشد إلى بعض ٱلحقِّ فكيف بجميعه. وما جآء كلامًا حديثًا على لسانه هو ٱلقرءان ٱلموحىَ إليه «لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به». وكان يتلوه على ٱلناس كما يُسجَّل فى قلبه خطًّا ونطقًا. وهو ٱلذى جآء فى ٱلبلاغ عنه:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ٥٢ ٱلشورى.

وفى حديثه ٱلموحىَ إليه أنبآءً عن ٱلبداية ٱلدخانيَّة للسمآء وٱلأرض. وعن زوجيَّة كلِّ شىءٍ. وعن سنة ٱلتطور فى ٱلميت وٱلحى. وعن عدد سور ٱلنزول ٱلـ ١١٤ وعدد ٱلسُّوَرِ ٱلمستقرَّة ٱلـ ١١٤.[1] ومجموع ٱلسُّور ٢٢٨ سورة وهى جميع ٱلحقِّ.

وفيه ٱلتَّحذير من عاقبة زواج ٱلقربى ومن ٱلمرض ٱلذى ينشأ عن ٱلكذب وٱلقهر وٱلنهر. وعن ٱلعلوّ فى ٱلأرض للذى يقرأ. وٱلمعيشة ٱلضّنك للذى يلهو وينسى. وغيره من مسآئلٍ يستقرُّ ٱلنبأ عنها فى محراب[*] ٱلبحث ٱلعلمى وفى كلِّ أقلام ٱلعلوم.

---

(١) كتابنا الأول «منهاج العلوم» بحث «القرءان ١١٤ سورة».

(*) هو مكان تجرى فيه أعمال ٱلاختبار للنظرية مثل مخابر مراكز ٱلعلوم.

لقد بين بلاغ ٱلقرءان ٱلبداية وٱلنهاية وما بينهما. وهٰذا يدلُّ على «جميع الحقِّ». فٱلناظر فى ٱلقرءان يجاهد للتفقه فيه إلى جانب ٱلنظر فى بلاغات ٱلبحث ٱلعلمى. ويرىَ أنَّ ٱلقرءان يرشد إلى جميع ٱلحقِّ كما جآء فىَ إنجيل «يوحنا» ٱلذى تكلم بما سمعه من عيسى.

ونتابع مع يوحنا فىَ إنجيله ٱلذى يحدثنا عن عيسى وهو يرفع عينيه نحو ٱلسمآء يسأل:

«أنا أظهرتُ اسمَكَ للنَّاس الّذين أعطيتنى مِنَ العالَم. كانوا لكَ وأَعطيتهُم لى وقد حَفِظوا كلامَكَ. والأن عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ ما أعطيتنى هو من عِندِكَ. لأن الكلام الّذى أعطيتنى قد أعطيتُهُم وهُم قَبلوا وَعَلِمُوا يقينًا أَنّى خرجتُ من عندكَ وءامنوا أَنَّكَ أَنتَ أرسلتنى. من أجلهم أنا أسأل. لست أسألُ من أجلِ العالَم بل من أجل الّذين أَعطيتنى لأنهم لك. وكل ما هو لى فهو لك. وما هو لكَ فهُوَ لى وأنا مُمَجَّد فيهم. ولستُ أنا بعدُ فى العالَم وأمَّا هؤلاءِ فهم فى العالم وأنا أَتِى إليكَ. أيُّها الأَبُ القُدُّوسُ احفظهم فى اسمكَ الّذى أعطيتنى ليكونوا واحدًا كما نحنُ. حين كنتُ فى العالم كنتُ أحفظُهُم فى اسمكَ الّذين أعطيتنى حفظتُهُم ولم يهلك مِنهُم أحد إلاَّ ابن الهلاكِ ليتمَّ الكتابُ. أَمَّا الأَن فأنى أَتِى إليكَ. وأتكلّمُ بهٰذا فى العالم ليكون لهم فرحى كاملاً فيهم. أنا قد أعطيتهم كلامك والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم كماَ أَنّى أنا لستُ من العالَم. لستُ أسألُ أن تأخُذَهم مِنَ العالم بل أن تحفَظَهُم من الشِّرير. ليسوا من العالَم كما أنّى لستُ من العالم. قدّسهُم فى حقِّكَ. كلامُكَ هُوَ حَقّ. كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتُهم أنا إلى العالم. ولأجلهم أُقدّسُ أنا ذاتى ليكونوا هم أيضًا مقدَّسين فى الحقِّ. ولستُ أَسألُ من أجلِ هؤلاءِ فقط بل أيضًا من أجل الّذين يؤمنون بى بكلامهم» الإصحاح ١٧ (٦ - ٢٠).(*)

(*) مع تحفظى على نقل ٱلكلام من ٱليونانى إلى ٱللغة ٱلفصحى. وقد أجريت تعديلا فى ٱلخط من دون ٱلنقل.

فى هٰذا ٱلسؤال ٱلذى حدثنا به يوحنا يبيّن لنآ أنَّ أتباع «تلاميذ» ٱلمسيح (ٱلّذين رافقوه فى رسالته وصدّقوه) هم رسله ٱلّذين يحملون رسالته إلى ٱلناس من بعده. لأنهم حفظوا كلام ٱللَّه ٱلذى جآء على لسان ٱلرسول عيسى. وعلموٓا أنه مرسل مِّن ٱللَّه.

وشهادة عيسى وسؤاله ٱللَّهَ من أجل أن يحفظهم من ٱلشرير تدلُّ علىَ أنَّ جميع أتباعه صادقون. وأن واحدًا منهم هو «ابن الهلاك» (يهوذا الإسخريوطى). فهٰذا هلك ولم يُرسل مع رسل عيسى ليحدِّث عن ٱلرسالة ٱلتى حملها عيسى للناس.

فماذا قال كهنة ٱلكنيسة عن ٱلمرشد ٱلذى حدثنا عنه يوحنا وهو من ٱلذين شهد عيسى على صدقهم؟

لقد قالوٓا أنَّ ٱلمرشد هو ٱلروح ٱلقدس وينطق به أتباع ٱلمسيح.

وفى قولهم أنَّ ٱلأتباع يرشدونا «إلى جميع الحقِّ». وهم بذٰلك يتفوقون على عيسى. لأنه لم يرشد إلى جميع ٱلحقّ. وهو ما حدَّثنا به رسول عيسى ٱلصادق يوحنا:

«إنَّ لى أُمورًا كثيرةً أيضًا لأقول لكُم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الأَن. وأمّا متى جاء ذاك روح الحقِّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ» الإصحاح ١٥.

ما فى ٱلإنجيل هو حفظ وتسجيل لبعض ما حدَّث به عيسىَ أمام سمعِ أتباعه ممَّا علّمه ٱللّه:

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ..﴾ ١١٠ ٱلمآئدة.

ولا زيادة فيه من عندهم عن حقٍّ لم يرشد إليه عيسى. وهو قد بيّنَ لهم أنَّ أمورًا كثيرةً لن يقولها لهم لأنَّهم لا يحتملون. وأنَّ ٱلذى سيفعل ذٰلك هو «روح الحقِّ فهو يرشدكم إلى جميع الحقِّ».

هٰذا ما حدّث به يوحنا ٱلصَّادق كما يشهد ٱلمسيح على صدقه. فلماذا لا يصدّق كهان ٱلكنيسة حديث يوحنا؟

كان «برنابا» من بين تلاميذ عيسى ٱلذين صدّقوا وشهد عيسىَ أمام ٱللَّه على صدقهم. وسعى «برنابا» لنشر رسالة ٱللَّه بما حفظه من حديث عيسى. وقد ظن «برنابا» أنَّ «شاؤول» ٱلذى صار ٱسمه «بولس» يصدِّق حديث عيسى فكفله وتعهده أمام بقية ٱلتلاميذ ٱلَّذين ٱرتابوا بتصديق شاؤول.(*) فأخذه برنابا معه ليبشِّر بإنجيل عيسى. ثم فارقه بعد أن تبيَّن له أنَّ «بولس» لا يتقيَّد بٱلبشارة.

وكتب «برنابآ» إنجيلاً كما فعل ٱلأتباع «ٱلتلاميذ» (ٱلصَّادقون بشهادة عيسى ٱلمسيح). ورجال ٱلكنيسة ٱلبولسيَّة ينكرون إنجيل «برنابا» ٱلذى بدأه بٱلحديث عن «بولس» بقوله «ٱلّذين ضلَّ فى عدادهم أيضًا بولس ٱلّذى لا أتكلم عنه إلا مع ٱلأسى».

وفىَ إنجيله ما يوافق إنجيل «يوحنا» عن ٱلمرشد إلى جميع ٱلحقِّ. وقد ورد فىَ إنجيله ٱسم محمدٍ:

«أن اسمه المبارك محمد» الفصل السابع والتسعون ـ ١٧.

وفى ٱلفصل ٱلسادس وٱلتسعين من إنجيله ٱلحوار ٱلتالى بين كاهنٍ وعيسى:

«الكاهن: إنه مكتوب فى كتاب موسى إن إلٰهنا سيرسل لنا مسيًّا الّذى سيأتى ليخبرنا بما يريد الَّله وسيأتى للعالم برحمة الَّله، لذٰلك أرجوك أن تقول لنا الحقَّ هل أنت مسيًّا اللَّه الّذى ننتظره؟

يسوع: حقًّا إنَّ اللَّه وَعَدَ هكذا ولكنِّى لست هو لأنه خُلقَ قبلى وسيأتى بعدى» ٣، ٤، ٥.

فى كلٍّ من إنجيل «يوحنا» ٱلمعترف به كنسيًّا. وإنجيل «برنابا» ٱلمنكر كنسيًّا بلاغ عن رسول ٱللَّه من بعد عيسى وعلى لسان عيسى. كما شهد ٱثنين صادقين من تلاميذه (يوحنا وبرنابا). وعندما جآء ٱلرسول ٱلذى يحمل ٱسم «محمد» كما جآء عند برنابا. وٱلمطابق لدليل Parakletos كما جآء عند يوحنا. صدَّق به من

(*) رسآئل رسل بولس ٱلملحقة بٱلأنجيل. وقد كتبها سيلا سكرتير بولس.

كان يصدِّق ٱلإنجيل وفيه تبشير بٱلرسول أحمد. ومن ٱلمصدقين ٱلراهب «بحيرة» و«ٱلقس ورقة ٱبن نوفل» ومثلهما كثيرون من يهود مكّة ويهود يثرب. كما ٱمتنع أخرون عن ٱلتصديق.

وفى ٱلطلب ٱلموجّه إلىَ أهل ٱلكتاب فى ٱلبلاغ ٦٨ ٱلمآئدة ليقيموا ٱلتورىٰة وٱلإنجيل ومآ أنزل إليهم من ربِّهم. توكيد لتواصل ٱلرسالة ٱلإلـٰهية للناس عبر أطوار ٱلروح. ٱلذى لا يستطيع أن يحتمل ٱلإرشاد إلى جميع ٱلحق فى رسالةٍ واحدةٍ «ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الأن». وطُور ٱلروح ٱلذى نزل على قلب محمد هو طُور «جبريل».[1] وفيه ختمُ ٱلنبوّة ٱلتى تؤسس ٱلروح للسير فى طُور «ميكيٰـٰل» إلى قيام ٱلساعة.

فٱلّذين ٱمتنعوا عن إجابة ٱلطلب عندهم ٱلسبب ٱلذى جعل بعض «ٱلّذين هادواْ» يكفرون ويكذبون بعيسى «فهم سمَّـٰعون للكذب سمَّـٰعون لقوم ءَاخرين لم يأتوكَ يُحرِّفون ٱلكَلِمَ من بعد مواضِعِهِ». وهم ينقضون ٱلميثاق وقلوبهم قاسية. وهٰذا ٱلموقف نجده فى كلِّ ٱلأوقات. أكثرية ضد كلِّ جديد وتناصر عليه بٱلقول ٱلكاذب وأعمال ٱلتحريف.

ٱلفعل «هادَ» وقع فى وقتٍ سلفَ «فعل ماضٍ». وجريانه فى ٱلوقت ٱلحاضر يجعله «يهودُ» (ٱلفعل ٱلمضارع فى ٱللغة ٱلفصحى).[*] وأجد فى ٱلبلاغ ٱلعربى أنَّ ٱلفعل ٱلحاضر يأتى ٱسمًا لِّلفاعلين فى ٱلوقت ٱلحاضر «ٱليهودُ». ويطابق دليله شدّة قساوة قلوبهم ودوام نقضهم ٱلميثاق. وسماعهم ٱلكذب. وسرعتهم فى ٱلكفر.

وٱسم «يهود» لا يخص قومًا مُحدَّدين. كمآ أنَّه لا يدلُّ على من يتبع ٱلتورىٰة أو رسالة إلـٰهية أخرى. فٱلذى يتبع ٱلتورىٰة توراتىّ. وٱلذى يتبع كتاب موسى موسوىّ. وٱلذى يتبع ٱلإنجيل إنجيلىّ أو عيسوىّ أو مسيحىّ. لأنَّ عيسى ٱبن

---

(١) كتابى «ٱلكلمة» ص ٩٣.

(*) ضرع يدل على ٱلخضوع بعد ضعف وخور. وٱسم مضارع تحريف ولغو.

مريم هو ٱلمسيح. وٱلنسبة إلى ٱلاسمين جآئزة وصواب. ومثلهم ٱلذى يتبع ٱلقرءان فهو قرءانىّ ومحمدىّ وأحمدىّ. وجميعهم مسلمون يسجدون للّه طَوعًا وكَرها. وإتباع كل مِّنهم لما معه من رسالة وإقامتها يجعله يصدِّق ٱلرسالة وٱلرسول ٱلذىَ أتى مصدِّقًا لِّما معه من رسالة ونبوّة. أمَّا ٱلذى يتبع ٱلقرءان ويقيمه فيصدّق جميع ٱلرسالات ٱلتى سبقت طُور «ٱلحمد». ولا يُكرِهُ أىَّ من تابعيها على تركها ولا يكفّره. وإن فعل كرهآ أو تكفيرًا فقد كفر بما معه.

لقد تأسَّسَ ٱلتحريف وٱللغو وٱلكذب علىَ أيدى بعض «ٱلّذين هادواْ» وأيدى «ٱلّذين يسـٰرعون فى ٱلكفر من ٱلّذين قالوٓاْ ءَامنَّا بأفواهِهِم ولم تؤمن قلوبُهُم» وأيدى ٱلّذين يعبدون «ٱللَّه على حرفٍ». وهؤلآء كثيرون عند كلِّ طُورٍ من أطوار ٱلرُّوح. سوآء ءَكان قبل طُور «ٱلحمد» أم بعده.

ومن مفاهيم تحريفهم قولهم «إتَّقِ شرَّ من أحسنت إليه». وفيه نقض لِّلأمر:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ ٩٠ ٱلنحل.

فٱلإحسان سبب لِّلشرِّ فى قول ٱلتحريف. وهٰذا نقض لِّلبلاغ ٱلذى يبيّن أنَّ ٱلإحسان يجعل ٱلعدوَّ وليًّا حميمًا:

﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ ٣٤ فصلت.

ولهم ٱلقول «كذب المنجمون ولو صدقوا». وفيه تحريف فى دليل ٱلفعل «نجم» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (نشأ وحدث وكنز وثقب). وٱلاسم منه «نجم ومنجم». وٱلمنجمون هم ٱلّذين يكتشفون ٱلكنوز فى ٱلأرض. ويرقبون ٱلكنوز فى نجوم ٱلسمآء. ويتابعون جريانها فىَ أفلاكها وأوقاتها. وقد وصلوٓا إلى ٱلنفاذ فى ٱلسمآء وصنعوا مقرِّبات بصريَّة ضوئية أظهرت من ٱلنجوم ما لا تستطيعه ٱلعين. وهؤلآء يطيعون ٱلأمر:

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ ٣٣ ٱلرحمٰن.

وهؤلآء صادقون. وأصحاب قول ٱلتحريف كاذبون. فقد حرّفوا دليل «نَجَمَ» وبدلوه بدليل «رَجَمَ» ٱلذى يدلُّ على ٱلرمى بلا هدايةٍ. وهو فعل يجرى بسبب نقص ٱلبيّنة ٱلحسيّة عند صاحب ٱلقول وٱلتابع له. وفى ٱلبلاغ بيان لِّدليل «رجم»:

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ ٢٢ ٱلكهف.

وفى قول ٱلتحريف «كذب المنجمون ولو صدقوا» حكم بٱلكذب على ٱلصَّادق. وفيه دعوة للعدوان على ٱلصَّادقين وتكذيبهم. وأصحاب هٰذا ٱلقول جعلوا ٱلكذب لونين. ودعوا ٱلناس إلى كذب أبيض كما يزعمون.

فإذا كان ٱلمأرب من هٰذا ٱلقول تكذيب ٱلّذين يرجمون بٱلغيب. فما هو ٱلمأرب من حرف دليل «نجم»؟ وما هو ٱلمأرب من ٱلحكم بٱلكذب على ٱلصادق؟

نسمع هٰذا ٱلتحريف من كهان يسمّون أنفسهم «علمآء». وفى تسميتهم لأنفسهم تحريف لِّدليل «عَلَمَ» ٱلذى نستنبطه من ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ ١٤ ٱلعلق.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ ٢٦ ٱلقمر.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ٢٤ ٱلجن.

يجرى ٱلفعل «عَلَم» ويجرى معه ٱلفعل «قَلَمَ». وبهما يُميَّز «ٱلكذّاب ٱلأَشِرُ». ومَن هو «أضعف ناصرًا وأقلُّ عددًا».

ٱلعلم فى ٱلشىء وتقليمه وتمييزه يلزمه ناظرون فيه ومحراب بحث ونظر تُقَلَّمُ ٱلأعمال فيه وتقسم إلى علوم. يعمل فى كل قلم منه رجال ونسآء. وهم يبدأون بٱلكبير ٱلهيئة. ويتوجهون نحو ٱلصغير. يجهدون ٱلّيل يعربون ما عجم وبهم فى هٰذا ٱلقلم. وهم يتبعون ٱلأمر:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وجآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى ما يفرق هؤلآء عن بقية ٱلناس:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ٩ ٱلزمر.

وفيه تفصيل فى ٱلأيات لمثل هؤلآء ٱلعلمآء. وهم وحدهم ٱلّذين يعلمون ذٰلك ٱلتفصيل:

﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١١ يونس.

﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٥ يونس.

فما ببيّنه ٱلبلاغ أنَّ ٱلعالم يقنت «ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ». وقنت يدل على ٱلصبر وٱلطاعة وٱلإتباع للنظر وٱلبحث فىَ أمرٍ مُحدَّدٍ. وٱلقنوت يتواصل فى ٱلّيل من دون ٱنقطاع حتى ٱلوصول إلى ٱلمأرب من ٱلنظر وٱلبحث وفق ٱلأمر (٢٠ ٱلعنكبوت) وٱلأمر:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وٱلعلم فى ٱلشىء يوصل إلى ٱلبيان وٱلتفصيل فيه. وجريان فعل «عَلَمَ» فى ٱلأشيآء يجعل كلاً مِّنها «عَلَمٌ» مقلّم مُّميّز عن بقية ٱلأشيآء.

وإذا نظرنا فىَ إعلان ٱللّه عن إرادته من خلقه وبعد أن سوّىٰهُ:

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

نجد أنّ وسيلة ٱلجعل للخليفة هى ٱلفعل «عَلَمَ»:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ٣١ ٱلبقرة.

وبيّن أن وسيلة ٱلعلم هى ٱلقلم «ٱلَّذِى علّم بٱلقلم».

تكوين كلمة «عَلَمَ» هو من مِلُّوت «حروف» هى «ع ل م». ولكلِّ مِلَّةٍ دليل محسوس «ع= عين/ ل= عصا راعى ٱلبقر/ م= مآء».

وفى ٱلبلاغين ٣١ ٱلبقرة و١ ٱلقلم جرى تضعيف لامَد ٱلفعل «عَلَمَ» وشدّد «ل لَ» فصار ٱلفعل «عَلَّمَ». وهٰذا ٱلتضعيف وٱلتشديد هو لعصا ٱلرّاعى ٱلذى ضاعف وشدَّدَ توجيه ٱلعين إلى ٱلمآء.

لقد كانت بداية ٱلجعل للخليفة مع بشر بهيم «عَلَم من بين ٱلعلامات». فتوجّه

إليه عصا ٱلراعى يروِّضه ويذلِّله على ٱلوقوف وٱلسكون وتوجيه ٱلعين إلى ٱلمآء. وٱلمأرب من هٰذه ٱلبداية هو عقل ٱلرابطة بين وجود ٱلبشر وٱلمآء. ٱلذى بيّن ٱلبلاغ ٱلعربى أنَّ ٱلحياة بكلِّ ألوانها منه:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبياء.

وبعد أن ذُلِّلَ ٱلبشر وتوقف نفوره ٱلوحشى. ٱرتقىَ إلى طور «ءادب».(*) وهو ٱلذى وقف أمام ٱلراعى ٱلمَلَكُ ووجَّه ٱلسمع وٱلعين إلى ٱلمعلِّم وعصاه. حتَّى كمل تعليمه ٱلأسمآء كُلَّها. فٱرتقىَ إلى طُورٍ أعلا هو طُور «ءادم». فصار يأنس ويسكن ويألف ويلبس ويشيط ويعصى ويتوب ويعبد ويعلم ويعقل ويفكر ويخلف ويقرن ويوفِّق ويصلح ويعهد ويفقه. وتأسس طُور ٱلإنسان ٱلذى يرقى بوسيلة ٱلنبوّة وٱلرسالة. وصولاً إلى طور ٱلنبوة ٱلخاتم «جبريل». ثم يتابع ٱلسير من دون نبوّة بانيًا بنفسه طور «ميكيٰـٰل».[1]

لقد جرى ٱلفعل «عَلَّم» بين ٱلحقِّ وٱلسمع وٱلعين (لون ريح صوت ظلٌّ حرور) إلى ٱلقلب وٱلأفئدة. فنشأت فيها خبرة بعلامات ٱلحقَّ بما فيها من ٱلأسمآء ٱلمنزّلة بنفخ ٱلروح. وبذلك نشأت ٱلخبرة فى كلام ٱلبلاغ ٱلذى يدل على كلمات ٱلحقِّ ويطابقها. وهنا يبدأ ٱلفعل «خَبَر» جريانه إلى جانب ٱلفعل «عَلَّمَ». وبه يتكرر ٱلفعل «عَلَّمَ» حتى تنشأ ٱلخبرة بعلامة ٱلاسم وتثبت فى ٱلأفئدة. ويُظهر تثبيتها بدء جريان ٱلفعل «ذَكَرَ» ٱلذى تدلنا عليه ٱلأفعال (علم وخبر وحفظ وقوى وحضر وجرى). وبذلك ٱنتفخ ٱلقلب وٱتسع. وهٰذا يدل على جريان ٱلفعل «نفخ» ٱلذى يضم دليله دليل ٱلأفعال (هيج وعلا ورفع ووسع وكمل وطاب). وٱلنظر فى ٱلبلاغات ٱلعربية يُظهر موقع ٱلنفخ فى تسلسل ٱلجعل للخليفة:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن

(*) هذا ٱسم شامى وقد ورد فى ٱلأساطير ٱلسومرية وهو يدل على بداية ٱلإيلاف للبشر ٱلوحش.

(١) كتاب «ٱلكلمة» بحث «فيزيولوجيا كلمة ٱلبلاغ».

سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ ٱلسجدة.

«نفخ فيه من روحه» يبينه ٱلبلاغ فى «وعلَّم ءَادم ٱلأسمآء كلَّها». وبعدها يتابع ٱلرّوح عمله بوسآئله «وجعل لكم ٱلسَّمعَ وٱلأبصٰر وٱلأفئدة».

ومن يسير على سبيل ٱلرّوح ٱلذى يكمل بٱلعلم فى «كيف بدأ ٱلخلق» يوصل إلى ٱلاسم «عالِمٌ». وهو ٱلذى يستطيع تقليم ٱلأشيآء وبيان حدودها وهيئتها ولونها ووزنها وكيلها ويقرأ كتابها ٱلمسطور فيها. ويفصِّل فى ذٰلك حتى يصل إلى ٱلعلم فى كيف بدأت.

وعمل ٱلعالِم يحدث فى محراب نظرٍ وبحثٍ. وبه يجرى ٱلقرن بين ٱلنظر ٱلقلبى فى ٱلأفئدة وبلاغ ٱلبحث ٱلحسى. فٱلأشيآء ٱلمقلَّمة كلُّ واحدٍ مِّنها «عَلَمٌ». وهو حقّ لَّه هيئته ولونه وقلمه. وعندما تُنفخ ٱلروح فى «ٱلعَلَم ٱلبشر» يصير هٰذا ٱلعَلَمُ «عَالَمٌ». حيث تُثار عين ٱلعَلَم بٱلثور «ءَالِف» بعد أن تعلَّمَ ٱلأسمآء كُلَّها. وٱسم ٱلجمع له عالَمون وعالَمين.

وٱسم ٱلجمع للعَلَم هو «علامات»:

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ١٦ ٱلنحل.

عَالَم وعَالَمون هو ٱلعَلَمُ وٱلعلامات ٱلّتى نُفخ فيها ٱلروح وصارت ءَادم. ثم تابعت أطوارها ٱلمعرفية وٱلعلمية إلىَ أن وصلت إلى يومنا هٰذا.

لقد جآء أصحاب ٱللغة ٱلفصحى بٱلاسم «عَالَمٌ» ليدل على: [الخلق كلُّه. كلُّ ما حواه بطن الفلك. كل صنف من أصناف الخلق. كعالم الحيوان، وعالم النبات (ج) عَوالِم، وعالَمون].[1]

فجعلوا من «ٱلعَلَم» «عَالَمٌ». وهٰذا لغو وتحريف فى دليل ٱلكلمة.

كمآ أنَّ أعمال تبادل ٱلمفاهيم (ٱلترجمة) بين لسان ٱللغة ٱلفصحى وأىِّ لسان أخر ومنه ٱلِّسان ٱلانكليزى تحدث بتأثير هٰذا ٱلتحريف وٱللغو. فكلمة sign ٱلتى

---

(١) المعجم الوسيط.

تقابل فى ٱلدليل كلمة «عَلَمٌ وعلامةٌ» حشرتها ٱللغة ٱلفصحى مع كلمة mark ٱلتى تدل على ٱلميز ومع كلمة token ٱلتى تدلُّ على ٱلرَّمز ومع كلمة emblem ٱلتى تدلّ على ٱلتزيين بشارة.

بعد هٰذا ٱلبسط فى دليل «عَلَمَ» نعود إلى ٱلكهان ٱلّذين يسمّون أنفسهم «علمآء» ويكذِّبون ٱلصادق ويحرّفون دليل «نَجَمَ» إلى دليل «رَجَمَ». فهل توافق أقولهم ٱلاسم عالِم؟

وهل هم علمآء فى فقه ٱلدين؟

وقبل ٱلجواب على ذٰلك أنظر فى ٱلبلاغ ٱلذى يبيّن ٱلّذين يتفقهون فى ٱلدين:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ١٢٢ ٱلتوبة.

وفيه أنَّ ٱلفقيه فى ٱلدين ينذر من يرجع إليه. وهو غير مكلّف بإصدار ٱلأحكام على ٱلناس كأحكام «ٱلتكفير وهدر ٱلدم» ٱلتى يصدرها ٱلكهان. ولا يغيب عن ذكر ٱلفقيه ٱلنهى ٱلتالى:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ ٢٥٦ ٱلبقرة.

وٱلفقيه فى ٱلدين يدرك أنّه لا يمثل سلطة إكراه. ويحصر قوله فى ٱلإنذار للذين يرجعون إليه. أمّا ٱلّذين يصدرون أحكام ٱلتكفير وٱلتكذيب وهدر ٱلدم ويقسمون ٱلأرض إلىَ أرض إيمان وأرض كفر فلا توافق أفعالهم وأعمالهم وأقوالهم ٱلاسم «فقيه فى ٱلدين». كما لا توافق ٱلاسم «عالِمٌ». وٱلنظر فىَ أقوالهم وأفعالهم يظهر أنّها من دون بيّنة ويسيطر عليها ٱلفعل «رَجَمَ». وما يفعلونه ويقولونه هو رجم بٱلغيب. وهٰذا من فعل وقول ٱلكاهن ٱلذى يتكلّف ٱلقول من دون بيّنة.

لقد جآء عن حديث ٱلرّسول ٱلموحىَ إليه من ربّه:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢)﴾ ٱلحاقة.

وبيَّن ٱلبلاغ أنَّ حديثه ٱلموحىَ إليه هو ٱلحقُّ ٱلصَّادق ٱلذى لا ريب فيه:

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ ٥١ ٱلحاقة.

لقد فرق ٱلبلاغُ قولَ ٱلرَّسولِ عن قول ٱلشَّاعر وعن قول ٱلكاهن. لأن ٱلشعر إحساس بٱلشيء من دون دليلٍ أو برهانٍ عليه. وفيه إشارة إلى شئٍ أوَ أمرٍ ولا يملك ٱلقول ٱلحقَّ ٱلبيِّن ولا يُوصل إلى يقينٍ. وما فيه هو ٱلشعور به وبٱلحاجة إليه.

أما قول ٱلكاهن كما يبيِّنه ٱلبلاغ فقد جآء مع ٱلنسيان ونقص ٱلذِّكر «قليلاً ما تذكَّرون». وفيه تجاوز لِّحدود ٱلشعر فىَ إيقاظ ٱلشعور بٱلحاجة إلى ٱلحق مع ٱلتوقف عن ٱلسير للنظر فيه «قليلاً ما تؤمنون».

وقول ٱلكاهن فى تجاوزه لحدود ٱلشعر يوصل إلى ٱلعَمَهِ فيندفع فى طريق ٱلرَّجم بٱلغيب وٱلضياع وٱلتحريف.

لقد رأى ٱلكاهن أنَّ قول ٱلرّسول ٱلموحىَ إليه من ربِّه ضاهئ ٱلشعر وٱلشعرآء. وفى ٱلبلاغ ٱلعربى ما ينفى ذٰلك:

﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾ ٦٩ يسٓ.

كما بيّن ٱلبلاغ ٱلعربى أنَّ ٱلشعر يتبعه من ضلَّ وخاب وٱستتر عليه ٱلبيان:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ ٢٢٤ ٱلشعرآء.

ويقرن فى ٱلبلاغ بين ٱلكاهن مع ٱلمجنون:

﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ ٢٩ ٱلطور.

فما بيّنه ٱلبلاغ ٱلعربى أنَّ قول ٱلرّسول هو «ذِكرٌ وقرءانٌ مُّبينٌ». وهٰذا لا يمكن مقابلته مع ٱلشعر. وفعل ذٰلك من وسآئل ٱلتحريف وٱللغو.

كما بيّن أنَّ ٱلكاهن قليلاً ما يذكر. وقول ٱلرسول ذكر أولاً ثم قرءان مُّبين يستقرُّ بيانه فى طُور ميكيٰل بٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق.

لقد جآء ٱلكهان ٱلّذين زعموا ٱتباع ٱلتورىٰة وٱلأنبيآء «بٱلمشنا» وقالوا هٰذا ما سمعناه من أبآئنا. وجعلوه فى قرطاس ودعوا ٱلناس إلى ٱتباعه. وفعل مثلهم ٱلّذين زعموا ٱتباع ٱلإنجيل فجآءوا «بأعمال الرسل» ودعوا ٱلناس إلى ٱتباعها. وٱلرسل هم رسل «بولس» ٱلذى قال عنه «برنابا» أنّه ضلَّ.

أما رسل عيسى ومنهم «يوحنا» ٱلذى حدَّثنا عن ٱلذى يرشدنآ إلى جميع ٱلحق فقد حرفوهم إلى رسل «بولس» ٱلذى ضلَّ كما قال «برنابا» رسول عيسى ٱلأخر. ولا ندرى كيف ٱحتفظ كهنوت ٱلكنيسة بإنجيل «يوحنا» ولماذا لم ينكروه كما نكروٓا إنجيل «برنابا»؟!

ثم جآء ٱلّذين زعموا ٱتباع ٱلقرءان بمشنآ أخر. زعموٓا أنَّ أبآءهم سمعوه من ٱلرسول وهو يتحدث به ودعوٓا إلى ٱتباعه. وكفّروا من لا يسير ورآء دعوتهم ومن يجاهد مستنفرًا لِّيتفقَّه فى ٱلدين.

ونجد فعل ٱلثلاثة فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ ٩١ ٱلأنعام.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ﴾ ٣١ ٱلتوبة.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ٱلفرقان.

ٱلثلاثة هجروا ٱلرسالة وٱستبدلوها بقراطيس تزعم بيانًا لِّلرسالة. وما فيها تحريف ولغو فى ٱلرسالة. ٱلعامل فيه ٱلكفر كما يبيّن ٱلبلاغ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ ٢٦ فصلت.

ٱلمأرب من ٱللَّغوِ هو ٱلظَّنُّ «لعلّكم تغلبون». وظنهم يُظهرُ دينَهم ٱلذى ٱتخذوه:

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ﴾ ٥١ ٱلأعراف.

هٰذا عن حرف دليل «عَلَمَ» ٱلفاعل فيه ٱلكهان فى ٱلرسالات ٱلثلاثة.

وإذا تابعنا ٱللَّغو ٱلذى جآء به ٱلتحريف فهو كثير. ولا نستطيع أن نحيط به فى بحثٍ واحد. وأضرب هنآ أمثلة عليه فى ٱلكلمات «شَرَعَ وحَقَّ ودَيَنَ» لما لها من صلة فى ٱلكلام ٱلذى جآء فى هٰذا ٱلبحث.

«شَرَعَ» دليله فى ٱجتماع ٱلأفعال «فتح ومهد ومدَّ وظهر وأخذ ودنا». وٱلاسم «شرع وشريعة» وٱسم ٱلعامل فيه «شارع». فٱلشرع هو فتح ومهد ومد وظهور قريبُ ٱلأخذ بٱلناس فيما بينهم من أعمالٍ ومنافعٍ. يدرؤون به ٱلسَّيِّئات وٱلأذى وٱلعدوان وٱلإثم عن أنفسهم.

لقد أبدل ٱلتحريف كلمة «شرعٍ» بكلمة «قانون» ٱلتى يقول أصحاب «ٱلمعاجم» عن أصلها من دون قطعٍ فى ٱلقول (روميّ أو فارسي).[1] وٱلقلم ٱلجامعى ٱلذى يجرى فيه ٱلعلم فى ٱلشَّرع (ٱلقانون) يسمى «كليَّة ٱلحقوق». وهٰذا يسوق إلى مسألة تحريفٍ ولغوٍ أخرى لأنَّ ٱلحقوق جمع حقٍّ وٱلحقُّ تدل عليه ٱلأفعال «وقع وثبت وصدق». وهٰذا يدل علىٓ أيِّ ءايةٍ «شىءٍ». كما يدل على كتابها ٱلمكنون فيها (ميّتةً كانت أم حيّة). وٱلاسم ٱلصواب لهٰذا ٱلقلم هو «كليَّة ٱلشَّرع» لا «كلية ٱلحقوق».[*]

أما ٱسم «كليَّة ٱلحقوق» فٱلصواب أن يرفع علىٓ أبواب ٱلأقلام ٱلجامعية ٱلتى تجرى فيهآ أعمال ٱلنظر وٱلبحث فى كتب ٱلأشيآء ٱلمكنونة من أجل ٱلعلم فى كيف بدأت «علوم ٱلفيزيآء وٱلكيميآء وٱلبيولوجيا وٱلكوسمولوجيا وجميع علوم ٱلمقدار ٱلميّت وٱلحىّ».

وهٰذا يسوق مرَّة أخرىٓ إلى مسألة تحريفٍ ولغوٍ لأن ٱسم «كليَّة ٱلشَّريعة» مرفوع على باب ٱلقلم ٱلذى يُزعم أنَّ فيه يُعلَّمُ فقه ٱلدِّين. وٱلصواب أن يسمّى هٰذا ٱلقلم «كليَّة فقه ٱلدِّين». فدليل كلمة «دين» من دليل «دَيَنَ يدين» ٱلذى تجتمع فى دليله ٱلأفعال «شرط وعهد ووثق». وفيه أشراط وعهد وميثاق يقوم بها ما

---

(١) المعجم الوسيط.

(*) كلمة «كلية» من الأصل الإنكليزي College وتدل على بنآء المكان وتجمعه.

سُطِّر من حقوقٍ فى كتاب ٱلحقِّ ذاته. وفقه ٱلدِّين يرتبط بما يجرى فىَ أقلام ٱلحقوق على ٱختلاف ألوانها من كشوفٍ علميَّةٍ عن تلك ٱلأشراط تقوِّى مسألة ٱلاستنباط فى ٱلبلاغ ٱلعربى. وتوكِّد ٱستقرار ٱلنبإ وجعله مبصرًا بعد أن كان قولاً بلاغًا يلزمه ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق وصولاً إلى ٱستقراره:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٨٨ ص.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٦ ٱلشعراء.

ٱستقرار ٱلنبإ يمدُّ ٱلفقيه بقوّة ٱستنباط تدفعه إلى طُور أعلا فىَ إدراك ٱلنبإ. فيقوِّى عنده ٱلإنذار وٱلتحذير فى مسآئل ٱلفساد فى ٱلحرث وٱلنسل.

هٰذا عن ٱلفقيه ٱلذى ينفر ليتفقَّه فى ٱلدِّين. وهو يتبتَّل لهٰذا ٱلعمل ويستنفر جهده فيه. فيدرى ويحيط ويفيض فى ٱلبلاغ. وعمله يجرى فى وسط ٱلبحث ٱلعلمى فى جميع ٱلمسآئل وألوانها. وهو يجعل من كشوف ٱلبلاغ ٱلعلمى وسآئل تعينه فى ٱلاستنباط وٱلتّوكيد على ٱستقرار ٱلنبإ.

وقد يعمل ٱلفقيه فى ٱلنظر وفى ٱلبحث ويكون بذٰلك عالِمًا وفقيهًا. وهٰذا يظهره من قول ٱلشاعر ومن قول ٱلكاهن. أمَّا ٱلعالم ٱلذى لا يتفقَّهُ فى ٱلدِّين. ولا يتابع عمل ٱلفقيه فى ٱلدِّين. فهو يعمل فى تعليم ٱلشىء وتقليمه وإدراك حدوده وٱلعلم بدينه. ويقرأ ما فيه وفق سنَّة تسوية خلقه. ويوصل إلى كيف بدأ ويفصّل فى ذٰلك كله. فيقوى عنده ٱلفعل ويثير ٱلأرض وتشتدُّ قوته وبطشه. وقد يكثر فساده فى ٱلحرث وٱلنسل بسبب ٱلزيغ فى قلبه عن فقه ٱلدِّين. وهٰذا ما بيّنه ٱلبلاغ:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ٧ ءال عمران.

أتابع ملاحقة ٱلتحريف فى ٱلقول «إنَّما الأعمال بالنيّات». وفيه حضّ لّلناس على ٱلامتناع عن ٱلعمل ٱلصالح ٱلذى جعله ٱللّه مصدِّقًا ٱلقول بٱلإيمان:

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ٦٢ ٱلبقرة.

وقول ٱلتحريف يحضُّ على ٱلكفاية بٱلنِّيَّة من دون جريانٍ للعمل. وعمل ٱلتحريف فيه يسنده تحريف لكلمة «نوى» ٱلتى تقول ٱلمعاجم أنَّها تدل على: [توجه النفس نحو العمل، والقصد، والحاجة. كما تدل على البعد].(١)

هٰذه ٱلكلمة وردت مرَّة واحدة فى ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ ٩٥ ٱلأنعام.

«ٱلحبُّ» جمع «حبَّة» وهو مستودع كتاب ٱلأية ٱلحيَّة. وفيه مخطط وأطوار تكوينها «ٱلمورثات» (ٱلجينوم).

أما «ٱلنوى» فهى مستودع كتاب ٱلأية ٱلميتة. وهى ٱلتى فلقها ٱلعاملون فى ٱلبحث ٱلعلمى وأخرجوا طاقتها ٱلشديدة ٱلعظيمة «ٱلطاقة ٱلنووية».

وأرى أنَّه جرى تحريف دليل كلمة «نوى» ٱلتى تدلنا على كتاب مسطور فى بيت مكين داخل ءاية ميتة. وتوجَّه ٱلتحريف فى وجهتين:

ٱلأولىَ أبطل ٱلفعل «راد يريد» ٱلذى يدل على تهيؤ للقيام بعمل.

وٱلثانية أبعد كل ٱلّذين شَرَبَت قلوبُهم ٱلتحريف عن ٱلتفكير وٱلبحث فى ٱلكتاب ٱلمسطور فى ٱلنَّوى وٱلطاقة ٱلمخزونة فى مستودعها.

ولم يتوقف فعل ٱلتحريف عند دليل كلمة «نوى». بل ٱمتدَّ إلى خطها فجعلها «نية».

ٱلتحريف كبير ولو ٱتبعنا منهاج ٱلّذين كفروا ودينهم لصار عندنا ٱلحديد فضةً وٱلذهب ياقوتًا وٱلذكر أنثى. وهٰذا هو ٱللهو وٱللعب وٱلغرور ٱلذى ينشأ عن ٱللغو. ويسوق ٱلّذين كفروا ومن معهم إلى ٱلذُّلِّ وٱلهُون وٱلتَّشرُّد وٱلاقتتال.

(١) المعجم الوسيط.

وسبب ذٰلك إعراضهم عن ٱلذكر وسقوطهم فى ٱلنسيان وقساوة قلوبهم وسماعهم للكذب. وهؤلآء لهم فى ٱلحياة ٱلدنيآ أن يعيشوا فى ضيقٍ من كلِّ شىء. وفى ٱلحياة ٱلأخرة يحشرون فى عذاب شديد:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ (١٢٧)﴾ طه.

تأسست مفاهيم ٱلناس على تحريف ٱلكَلم وعلى تحريف ٱلقول. ونجد ٱليوم ٱلشعوب ٱلشامية ٱلِّسان. وهم جميعهم قوم ٱلرَّسول. قد «تركوا هٰذا ٱلقرءان مهجورًا». و«ٱتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرَّتهم ٱلحياة ٱلدنيا». ووجهوا ٱلسمع للذين كفروا. وهم ٱلّذين لغوا فى ٱلبيان ٱلعربى وحرّفوا دليل ٱلكلمة وحرفوا ٱلقول. وقد زعم بعضهم أنَّه «إسرآءيل». وزعم ٱلأخر أنَّه «عربىّ». فقلبوا علىٰ أنفسهم ٱلدنيا فى مسألة لغوٍ وضياعٍ وقتالٍ فيما بينهم. وإخراج لبعضهم من ديارهم. وتصعيب لعيشهم. وهم لا يذكرون أن ٱلّسان ٱلشامىّ يمدُّ جذوره إلى عمقٍ بعيد حيث بدأ ٱلروح يُنفخ فى قلب ٱلبشر ويوسع نشاطه بدءًا بتعلم ٱلأسمآء. وتطور إلى ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق فى طُور «ميكيٓـٰل». وأنَّ جميع ٱلّذين ٱمتلكوا ٱلروح توجهوا للاستقرار فى غرب أسيا. وكلما جآء إليها قوم حملوّا إلى لسانها ما جآء لهم. حتى وصل ٱلِّسان ٱلشامى إلى طور يستطيع أن يحتمل ٱلإرشاد إلى «جميع الحقّ» بلسانٍ عربى مبين. فجميع ٱلّذين سكنوا فى غرب أسيا «بلاد ٱلشام» هم شاميون ونشأ منهم فرع حمل ٱسم سام. وقد نشأ بينهم من يدعو للتمايز وٱلتخاصم وٱلعدوان. ونفر منهم من يدعو للبيان منذرًا محذِّرًا. فنشأ كلام ٱللغة وٱلتحريف عند ٱلمعتدِى. وبدأ ٱلناس ينقسمون إلى شيع كلّ مِّنها يتسوَّر خلف حصونٍ مخازن لوسآئل ٱلعدوان وٱلقتل وٱلإخراج من ٱلديار.

لقد ٱشترك فى سكن بلاد ٱلشام كلّ من «ٱلسومريين وٱلأكاديين وٱلأراميين وٱلكنعانيين وٱلكاشيين وٱلفلسطينيين وٱلعبريين وٱلفرس وٱلأشوريين وٱلحوريين وٱلحثيين وٱليونان وٱلرومان وٱلكريت وٱلمغول وٱلترك وٱلكرد وٱلأفغان وٱلأوزبك وشعوب ٱلبحر ٱلمتوسط كافة وشعوب بحر ٱلهند وشعوب أواسط أوروبا وشمالها» كلُّ هؤلآء ٱشتركوا فى ٱلعيش فى غرب أسيا بدءًا من ٱلنَّشأة ٱلأولى للشعوب ٱلشامية وحتى ٱلحرب ٱلكونية ٱلأولى ١٩١٤ ميلادية.

ويقول ول. ديورانت «إنَّ معظم ٱلتاريخ ظنّ، وبقيته من إملآء ٱلهوى». (١)

وبٱلنظر فى قوله فى نور ٱلبيان ٱلذى بسطناه عن ٱلتحريف. فإن قوله هو عينُ ٱلحقِّ فى مسألة ٱلقصص ٱلتى يتعلمهآ أبنآء ٱلّذين يزعمون أنَّهم إسرآءيل وأبنآء ٱلّذين يزعمون أنَّهم عرب. فكل ما يتعلمونه ظنّ وهوًى.

وإذا نظرنا فى نشأة شعوب كلٍّ من ٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وكندا وٱستراليا تنكشف لنا ٱلطريق لفهم قصَّة نشأة ٱلشعوب ٱلشامية فى غرب أسيا منذ ٱلبداية وحتى تفرقهم ٱلأخير فى ٱلحرب ٱلكونية ٱلأولى. فشعوب ٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية من أصول جميع شعوب ٱلأرض. وٱلِّسان ٱلانكليزى ٱلذى كان وعآء ٱلرُّوح ٱلأمريكى وقرينه «حضارته» يفترق ٱليوم كثيرًا عن ٱلِّسان ٱلانكليزى ٱلذى بدأ ٱلرُّوح به فى ٱلولايات ٱلمتحدة. وسبب ذٰلك أنَّ ٱلمهاجرين من كل مكان فى ٱلأرض إلى هٰذا ٱلمكان فعلوا جميعهم فى تطوير ٱلرُّوح ٱلأمريكى ولسانه ٱلانكليزى ٱلأصل. ومثله كان قد حدث فى بلاد ٱلشام. فٱلنظر فى كيف نشأت ٱلشعوب ٱلشامية وشعوب ٱلولايات ٱلمتحدة ٱلأمريكية وكندا وٱستراليا يبيّن كذب ٱلقول ٱلمتعصب للقوم. أو ٱلمفاهيم أو ٱلرسالة ٱلخاصة بقومٍ من دون غيرهم. وأرض ٱللَّه يرثها عباده ٱلصالحون:

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٨ ٱلأعراف.

---

(١) فى مقدمة « قصة الحضارة ».

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ ١٠٥ ٱلأنبياء.

وأرض ٱللَّه هى كل ٱلكوكب ٱلذى نحيا عليه. وٱلعلم علم ٱللَّه. فمن أراد أن يعلم من علم ٱللَّه يسير فى ٱلأرض ينظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ويسعى ليستقرَّ ٱلنبأ بين يديه فى محراب (مخبر) ٱلبحث ٱلعلمى.

أما ٱلّذين يريدون ٱتباع ٱلسلف وٱلأبآء فسبيلهم هو ٱلامتناع عن ٱلعلم. فما لم يسمعوه من ٱلأبآء لا علم فيه. وٱلعلم عندهم هو علم كهان. وهم وحدهم أصحاب ٱلاسم «عالِم». وهو تحريف ولغو يفعل فى تكوينه «من ٱلّذين قالوٓاْ ءَامنَّآ بأفواههم ولم تؤمن قلوبُهُم ومن ٱلّذين هادواْ». وهٰذا هو ٱلنفاق. وبه ينتشر ٱلضياع وٱلعيش ٱلضّنك. وأولئك هم ٱلّذين يقتتلون على ٱلأرض. ويخرجون بعضهم من ديارهم إثمًا وعدوانًا.

وهؤلآء عميت أبصارهم وقلوبهم عن نشأة ٱلشعوب ٱلشامية فى ٱلماضى. ونشأة ٱلشعوب ٱلأمريكية وٱلكندية وٱلاسترالية ٱليوم. ٱلتى قامت وتقوم على تجمُّع ٱلّذين يريدون ٱلعلم ٱلإلـٰهى ورزقه. وينبذون ٱلتعصب للقوم وٱلاقتتال وٱلشقاق ٱلبعيد. ٱلذى يمنع ٱلناس من ٱلتَّوجُّه إلى علم ٱللَّه وينشر بينهم ٱلنفاق وٱللغو وٱلتحريف وٱلظن وٱلكذب.

لقد أرسل ٱللَّه للناس فى كل ٱلأرض رسالة ترشدهم إلى جميع ٱلحقِّ بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ. ٱلمأربُ منه «لعلَّكم تعقلون». وإلى يومنا هٰذا ما زال ٱلناس يتبعون ٱلّذين كفروا وينفرون من ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. وألسن جميع ٱلناس تدفعهم فى طريق ٱلفرقة ٱلتى تزيد ٱلعُجمَ بينهم وٱلتخالف وٱلتخاصم وٱلتقاتل وٱلإخراج من ٱلديار. وتزيد أعمال ٱلفساد فى ٱلأرض بكل ألوانه دافعة ٱلناس فى كل ٱلأرض إلى ٱلطَّامَّة ٱلكبرى.

لقد ٱمتدت يد ٱلتحريف وٱللغو إلى كل ٱلِّسان ٱلذى يتكلم به ٱلشاميون ٱليوم. ولم تُترك ٱلرموز وٱلأصوات. فجآء ٱسم «حروف جمع حَرفٍ» ليكون دليلنآ إلى

رمز ٱلأصوات وخطوطها. فماذا ترك أصحابه من ٱلكلام وٱلقول من دون تحريف؟!

وقد ٱمتدَّ فعل ٱلتحريف إلىٰ أعمال تبادل ٱلمفاهيم (ٱلترجمة) بين شعوب بلاد ٱلشام وٱلشعوب ٱلأخرى. وأضرب مثلا على ذٰلك من ٱلتبادل مع ٱللِّسان ٱلانكليزى:

Math = mathematics)

mathematical: رياضي، دقيق، مضبوط، ثابت، يقيني.

mathematician: الرياضي المتخصص بالرياضيات.

mathematics: الرياضيات، علم الرياضيات)[١].

وما جآء فى ٱلمورد هو من ٱللغة ٱلفصحى. وهو بعض ما جآء فى معاجمها ٱلتى خففها ٱلمعجم ٱلوسيط بما يلى:

[راضه روضاً، ورياضاً، ورياضة: ذلَّله. أراض المكان: كثرت رياضه. وأراض الوادي والحوض: اجتمع فيه من المآء ما وارى أرضه. وأراض المكان: جعله رياضاً. وأراض القوم: أرواهم. راوضه على الأمر: داراه وخاتله حتى يُدخِلهُ فيه. تراوضا: تجاذبا فى البيع والشراء. استراض المكان: فَسُحَ واتسع. استروض النبات: تناهى فى عِظمِه وطوله. الرَّوضة: الأرض الخضرة، البستان الحسن. الرياضة: (عند الصوفية) تهذيب الأخلاق النفسية بملازمة العبادات والتخلي عن الشهوات. (الرياضة البدنية): القيام بحركات خاصة تكسب البدن قوة ومرونة. الرياضة (العلوم الرياضية): هي الحساب والهندسة والجبر ونحوها. الرَّيض من الدَّوابّ: الّذى لم يقبل الرياضة ولم يذلّ لراكبه. وأمرٌ رِيِّضٌ: لم يحكم تدبيره والرَّيِّضةِ: قصيدة لم تُحكم].

وورد ٱلفعل «روض» فى ٱللِّسان ٱلعربى فى ٱلبلاغين ٱلتاليين:

---

(١) المورد - منير البعلبكي - دار العلم للملايين -بيروت ١٩٧٨.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ ١٥ ٱلروم.
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ ٢٢ ٱلشورى.

«ٱلروضة» فى ٱلبلاغ مكان حبورٍ وهوَ أرض سهلة واسعة فيهآ ألوان من ٱلشجر وٱلورود. منها ثماره للأكل وأخر للزينة. مآؤها مَعين وريحها طيِّب.

وفى ٱلمعجم ٱلوسيط ما يدل على ذٰلك «ذلّل وفسح واتسع وعظم وخضر وحسن». وفيه ما ينقضه «لم يُذّل لراكبه ولم يحكم تدبيره».

وتدلّ ٱلكلمة فيه على علم ٱلمقدار «ٱلحساب وٱلهندسة وٱلجبر ونحوها». وهٰذا ترك أثره على صاحب ٱلمورد عندما قال أن كلمة math ٱلانكليزية ٱلِّسان ٱليوم تدل على «رياضة». وعندما عمل فى دليل كلمة sport جعل كلمة «رياضة» تدل هى ٱلأخرى على كلمة sport. ولم يبين لنا كيف نفرِّق بين رياضة ٱللعب ورياضة ٱلمقدار.

أما فى ٱلبلاغ ٱلعربى فجآءت كلمة «روضة» بمفردها لتدلنا على مكان ٱلحبور. ولا تتركنا فى حيرة كما فعل ٱلتحريف ٱلخطئ لها وٱللغو فيها ٱلذى جآء به ٱلمعجم وأخذ عنه ٱلمورد. فقد حرفوا خط كلمة «رَوَضَ» إلى خط «رَيَضَ». وتابعوا ٱلتحريف فنبَّتوا منه كلمة «رياضة». فجآء ٱلتحريف فى هيئتين معًا. ثم أمتدت يده إلى ٱلكلمتين ٱلانكليزيتين math وsport فجعلتهما ٱللغة ٱلفصحى «رياضة».

وبٱلنظر فى كلمة math ومراقبة صوت نطقها وٱلعلم بما تدل عليه فى ٱلِّسان ٱلانكليزى:

Math: noun (no plural) the study of numbers measurements and shapes.

يبين أنَّها تدل على ٱلبحث فى ٱلأعداد وٱلوزن وٱلكيل فى هيئاتها. وهٰذا ٱلعمل لا قرابة له مع كلمة «روض». كمآ أنه لا يقرب من كلمة sport.

إنَّ ٱلبحث فى ٱلأعداد وٱلوزن وٱلكيل فى هيئاتها يوصل ٱلباحث إلى ٱلعلم

فى مقدارٍ مجرّم(*) عن ٱلهيئة. وهٰذا ٱلمقدار هو شىء ميّت. فٱلعدد مجرّم عن ٱلمعدود وهو ميّت. وٱلمقدار يبيّنُ ٱلعددَ فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٤ ٱلمعارج.

وكلمة math يطابق نطقها كلمة «مات» ٱلشّامية ٱلّتى تدل على كل ءاية ليست حيّة. وٱلعلم فى ٱلميت هو علم فى ٱلعدد ٱلمجرّم عن ٱلمعدود. وهو علم يوصل ٱلباحثَ فيه للعلم فى ٱلحىِّ ٱلّذى يخرج منه:

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ ١٩ ٱلروم و ٩٥ ٱلأنعام.

فكل شىء فى ٱلأصل ميّت وهو مقدار Quantum. وهو ما يبيّنه ٱلبلاغ:

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ ٨ ٱلرعد.

فما قاله أصحاب ٱلّسان ٱلانكليزى صواب فى دليل ٱلكلمة «math مات» ٱلشامية ٱلأصل. وقد حافظوا على نطقها ٱلصوتى إلى جانب دليلها. وجآء أصحاب ٱللغة ٱلفصحى ليحرفوا دليلها بعد أن حرفوا كلمة «رَوَضَ» إلى «رَيَضَ». وأبتعدوا عن كلمة «مات» ٱلأصل للكلمة ٱلانكليزية.

لقد ركب «ٱلكنعانيون ٱلقرطاجيون» (وهم شعب شامىّ) ٱلبحر ٱلمتوسط منذ بداية ٱلقرى (ٱلحضارات). ونزلوا فى كل ٱلمدن ٱلبحرية. ووصلوٓا إلى ٱلبرِّ ٱلبريطانى يتجرون بضاعة حملوها بين شرق وغرب ٱلمتوسط وبحر ٱلشمال. ومثل ما يحدث ٱليوم مع ٱلّسان ٱلانكليزى حيث يتعلم ٱلنّاس هٰذا ٱلّسان. فإن جميع ٱلّذين عملوا مع ٱلكنعانيين فى ذٰلك ٱلوقت تعلموا لسانهم. وهٰذا يبيّن لنآ أحد أسباب وصول كلام شامى إلى لسان ساكنى ٱلمدن ٱلبحرية. وهناك ٱلفتوحات «ٱلمقدونية» للشرق ٱلّتى جعلت ٱلّسانين ٱلشامى وٱلهيلينى يتبادلان ٱلكلام وٱلمفاهيم. ونحن لن نوسع ٱلقول فى ٱلمسألة. ونكتفى بهٰذا ٱلتذكير لنقول

(*) بدلاً من كلمة «مجرّد» أصلها «جرد» ويدل على زلق وزال. أما ٱلمجرّم فمن ٱلأصل «جَرَمَ» ٱلّذى يدل على فصل وصرم ومنع. وٱلمقدار مفصول ومصروم وممنوع عن ٱلهيئة (ٱلشكل وٱلكيف). ويقول عآمّة ٱلشّام «جرّم ٱللحم عن ٱلعضم» وقولهم صواب.

أنَّ ٱلكلمة ٱلشامية ٱلأصل فى ٱلألسن ٱلأجنبية عادت إلى بلاد ٱلشام فى حركة تبادل ٱلمفاهيم وقد فعلت ٱللغة ٱلفصحى فيها لغوًا وتحريفًا.

تضمّ معاجم ٱللغة ٱلفصحى كلام ٱلّسان ٱلعربى إلى جانب كلام من ألسنٍ شامية وأخر من ألسنٍ أجنبية. وتعددت فيه ٱلكلمات ٱلمختلفة ٱلتى تشير إلى دليل واحدٍ. فنشأ ٱلإبدال وٱلترادف وٱلضد. وصار لهٰذا ٱللغو فصول وأبواب وبيوت تعليم. وما ورآءه هو موقف عَجِل وموقف سلفىّ للذين هادوا من كل لونٍ شامىٍّ ٱلأصل. وهم ٱلّذين ألزموا ٱلناس بمنهاجهم من ولادتهم وحتى موتهم. فٱمتلأت قلوب ٱلناس بهٰذا ٱللغو. وصار أكثرهم عاجزًا عن ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ونشأ عند ٱلأكثرية قول عن بداية ٱلخلق تكذبه أقلّ بيانات ٱلعلم. وأرى فى جميع بلاد ٱلشام ٱنتشار ٱلكتاب ٱلسلفى ٱليهودى. وٱنتشار ٱلحضّ على ٱتباعه. وٱلتحذير من ٱلعلم وبحوثه. وهو عند أتباع ٱلسلف من عمل ٱلكافرين.

لقد وضع أصحاب ٱللغة ٱلفصحى قواعد يفخرون بها. ودليل ٱسم «قواعد» من دليل ٱلفعل «قَعَدَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال «جلس وأخَّر ومنع». فٱلقاعدة هى جلوس وتأخير ومنع من ٱلحركة وٱلسير.

ويرتبط هٰذا ٱلمفهوم بمفهوم أخر هو «ٱلعقيدة» من ٱلأصل «عَقَدَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال «مسك وشدَّ وحبس وجمد». فٱلعقيدة مسك وشدّ وحبس وجمود عن ٱلإرسال فى كل أمر. وهى ٱلتى تمنع وتحبس وتمسك وتجمِّد ٱلفكر ولا تقبل بٱلتطور. وٱلعقدة تدل على مرض فى لسان ٱمرءٍ يحبسه عن ٱلنطق. وعلى حبسٍ للبعض فى ٱتفاقٍ على بيعٍ أو تجارة أو يمينٍ. أو على مرضٍ فى قومٍ لا ينفكُّ عنهم. فٱلعقدة صعبة ٱلفكِّ وٱلحلِّ. وهو ما نجده فى ٱلمفاهيم ٱلتى تسميها ٱللغة «عقيدة». فهى تحبس ٱلإنسان وتصعِّب عليه عيشه وحركته وتمنعه من ٱلحنف عن ٱلمواقف وٱلمفاهيم ٱلتى تشدُّه وتحبسه وتمسكه وتجمِّده. فلا يتطور ولا يعلو فى حياته وفى عيشه. وهٰذا أصل موقف «ٱلّذين هادواْ» وهو ٱلذى دفع

بٱللغة ٱلفصحى وأصحابهآ إلى ٱلتحجر بفعل تأثير ٱلفعلين «قعد وعقد». وصار ٱلتعلم بلسانها جنبية عسيرًا صعبًا على طالب ٱلعلم. فراح يلجأ إلى ٱلألسن ٱلأخرى لزيادة كسبه ٱلعلمى إن أراد علمًا وفى بلاد تلك ٱلألسن لا فى بلاده. فٱلعقيدة يبينها ٱلقول (عقد ٱلحبل إذا جعل فيه عقدة). وٱلعَقدُ بين ٱلناس توثيق بينهم يشدُّهم ويمسكهم ويحبسهم ويجمِّدهم بأشراطه ٱلتى تعاقدوا عليها. وٱسمه عَقد وليس عقيدة كما تلغوا فيه ٱللغة. ولا محل لليود (ٱليآء فى ٱللغة) فى بنآء ٱلكلمة.

ومن بين أصحاب ٱللغة ٱلفصحى مَن يقول بتطور دليل ٱلكلمة ويجهد نفسه فى ٱلبحث عن قصة له. وٱلنظر فىَ أعمال ٱلّذين يقولون هٰذا ٱلقول (وهم كثيرون) يبيّن أن ما يسمّونه تطور ٱلدليل هو حرف له. لأن ٱلكلمة عندما يحدث فيها تطور تنشأ كلمة جديدة. وهٰذا ما بيَّنه ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ ١٠٦ ٱلبقرة.

فتطور دليل ٱلكلمة يأتى بكلمةٍ خير منهآ أو بكلمة مثلها.[١] فٱلبشر «ءادب» عندما تطور بتعلم ٱلأسمآء صار «ءادم». وهٰذا ليس تطورًا فى ٱلنطق. بل هو تطور فى ٱلأية ٱلبشر «عَلَمٌ» ٱلتى نُفخ فيها ٱلروح وصارت من بعد تعلم ٱلأسمآء «عَالَمٌ».

ومثلها كلمة «أرعا» ٱلتى تدل على ٱلمكان ٱلذى يعيش فيه ٱلبشر مع أنعامه. فبعد أن تعلَّم ٱلزراعة وحفر ٱلقبور للموتى وصناعة ٱلفخار توسع روحه وأتته كلمة «إرث» لتدل على كل ذٰلك. وبقيت «أرعا» مكانًا ترعى فيه ٱلأنعام وهىَ أرض غير محروثة «بور».

ثم أتته كلمة «أرض» فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين لتدل على كوكب يسبح فى

---

(١) كتابنا «ٱلكلمة» بحث «ٱلكلمة ٱلبيولوجية» وكتابنا «منهاج ٱلعلوم» الأول بحث «ٱلدليل فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين».

فلك حول ٱلشمس وله قميص ملوّن (ٱلغلاف ٱلجوى) وفيه ٱلموت وٱلحياة كفاتًا. وهٰذا لا يدل على تطور فى دليل ٱلكلمة. بل يدل على تطور فى ٱلرّوح ٱلذى ٱتسع لكلمات جديدة تدل علىَ أمرٍ جديدٍ. وكل كلمة دليلُها ثابت. لأن ٱلكلمة ءاية حَقّ مثل ٱلحديد وٱلمآء وٱلملح. فأى تطورٍ يحدث فى ٱلأية يأتى بأية أخرى. وٱلأية ٱلأولىَ إمّا تبقى لتكون مدًّا لِّتطور أخر. أو تُنسىَ أو يؤتى بأحسن منها.

ومن مسآئل ٱلتحريف وٱللغو خلط دليل كلمة بأخرى كما فى «سمآء وٱسم» وهما من أصل واحد هو «شام». فى ٱلوقت ٱلذى يفرقان فى ٱلتكوين ويفرقان فى ٱلدليل. فكلمة «ٱسم» من فعل مفروق عن ٱلسمآء وهو «سَمِىَ يسمى». وقد جرى فى ٱلبلاغ على ٱلهيئات ٱلبنآئية ٱلتالية «سَمَّاكم/ سَمَّيْتُمُوها/ سَمَّيْتُها/ لَيُسمُّون/ تسمية/ سمّوهم/ تُسمّى/ مسمَّى/ سميًّا/ ٱسم/ بسم/ ٱسمه/ ٱلأسمآء/ أسمآئه/ أسمآئهم». وتأتى كلمة «ٱسم» عندما يراد إعلان ٱلسَّمىَ:

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا﴾ ٧ مريم.

كمآ أن ٱلاسم يلزمه ٱلعلم:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ ٦٥ مريم.

فٱلذى ينجم عن جريان ٱلفعل «سَمِىَ» هو «سمىٌّ». وعندما نريد إعلان ٱلسَّمىَ نأتى بٱلثور «ءالِف» ٱلذى يثير ٱلسَّمىَ فيجعله «ٱسمًا» معلنًا بيِّنًا هو «يحيىٰ» فى ٱلبلاغ ٧ مريم.

وتسبق كلمة «ٱسم» ٱلسَّمىَ فى كل ٱلبلاغات:

﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾ ٤ ٱلمآئدة.

﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ ٣٦ ٱلحج.

﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ﴾ ١١ ٱلحجرات.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ﴾ ٧٨ ٱلرحمٰن.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ ٨ ٱلمزمل.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ ١١٤ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ ٤٥ ءال عمران.

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ ٦ ٱلصَّف.

وٱلعلم بٱلسَّميّ وإعلانه يجعله «ٱسمًا» «وعلَّمَ ءادمَ ٱلأسمآء كُلَّها».

أما كلمة «سمآء» فٱلأصل ٱلمفروق هو «سَمَوَ يسمو». يدلنا عليه ٱسم ٱلجمع «سمٰوٰت». وهى وإن كانت من أصل واحد مع ٱلاسم «سَمِىَ» وهو «شام» فدليل ٱلفعل «سمو يسمو» يبيّن لنآ أنه يضم دليل ٱلأفعال ٱلتالية «علا ورفع وحاط وبان ووسع وضمّ وجوّ».

فٱلسمآء علوّ وٱرتفاع وسعة وجوّ ومحيط وبيان. وفيها يجرى كل ٱلتكوين. وهى تعلو كل ٱلأشيآء وتحيط بها وتضمّها فى جوّها ٱلواسع من دون ضيق بها. وهىَ أساس فى ٱلتكوين ٱلمقسوم إلى سبعة أقسام كلٌ مِّنها سمآء:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ ٢٩ ٱلبقرة.

كمآ أنها ٱلبنآء ٱلأساس للكون:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ ٢٢ ٱلبقرة.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ ٢٧ ٱلنازعات.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ ٥ ٱلشمس.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ ٤٧ ٱلذاريات.

ويوم تأتى ٱلساعة فإن ٱلسمآء هى وعآء ٱلحدث ٱلأخير:

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

لقد بدأ بنآء ٱلسمآء من ٱلشهور ثم ٱلذَّرّ ثم ٱلسُّوَر ثم ٱلنجوم وٱلشموس ثم ٱلكواكب وٱلأقمار وبدأ ذٰلك كله من ٱلدخان:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ١١ فصلت.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ ١٢ فصّلت.

وبيّن أن ٱلبداية كانت دخانًا وأن ٱلنهاية تكون دخانًا:

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠ ٱلدخان.

وٱللغة ٱلفصحى جعلت «سمو يسمو» أصلا ودليلا واحدًا لكلٍّ من كلمة «ٱسم» وكلمة «سمآء» من دون أن تدرى بفرق ٱلتكوين ووقته. ونجدها فى تبادل ٱلمفاهيم مع ٱلّسان ٱلانكليزى تخلط خلطًا يلغو فى ٱلدليل فى ٱلّسانين ٱلانكليزى وٱلشامى. فكلمة sky بادلتها بكلمة «سمآء» فى ٱلوقت ٱلذى تدل فيه ٱلكلمة على ٱلعمق ٱلأزرق وهو ٱلسمآء ٱلدنيا فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين. وقد جآء فى ٱلبلاغ عنها:

﴿وزيَّنَّا ٱلسماء ٱلدُّنيا بِمَصَابِيحَ وَحِفظًا! ١٢ فصلت.

لا يوجد فى ٱللغة ٱلفصحى فرق بين سمآء وأخرى. وقد بيَّنَ ٱلبلاغ ٱلعربى أن ٱلسَّمـٰوٰت سبع ٱلدنيا منها sky. أما ٱلتى جرى قسمها إلى سبع سمـٰوٰت فإن كلمة heaven تتبادل معها وتدل عليها.

وجآءت ٱللغة ٱلفصحى بكلمة Cosmos لتدل بها على «ٱلكون» وعلى «ٱلعالَم» فى وقت واحد لاغية فى دليل ٱلكلمتين معًا وفى دليل ٱلكلمة ٱلانكليزية ٱلتى تدل على «ٱلزينة» فى ٱلسمآء ٱلدنيا. وجآءت بلغو أخر فى كلمة World ٱلتى تدل على «دنيا». فجعلتها ٱللغة ٱلفصحى تدل على «عالَم» علىَ أنه كون. فجآء ٱللغو فى كلمة «عالَم» عندما بادلتها ٱللغة ٱلفصحى مع Cosmos ومع World. وفعلت مثل ذٰلك مع Universe ٱلتى تدل علىَ «أقطار ٱلسَّمـٰوٰت». فبادلتها مع كلمة «عالَم».

وكبر لغوها فى كلمة «عالِم». فقد بادلتها من ٱلّسان ٱلانكليزى بٱلكلمات Scientist ٱلتى تدل على «عالِم» ومع كلمة Expert ٱلتى تدل على خبير وكلمة Scholar ٱلتى تدل على طالب ٱلعلم وكلمة Author ٱلتى تدل على مبدع وكلمة Knower ٱلتى تدل على عارف.

ومن ٱلكلمات ٱلتى جآء ٱلتحريف وٱللغو فيها وٱلإبدال كلمة «دخان». فتستعمل ٱللغة بدلا منها كلمة «غاز» ٱلانكليزية Gas. بسبب نقص ٱلعلم فى دليل كلمة «دخان» ٱلتى تدل على ٱلسّور ٱلمفردة ٱلتى لا رابط فيما بينها. وهو ما كانت عليه ٱلسمآء قبل جعلها سبع سمـٰوٰت. وما ستكون عليه فى ٱلنهاية. فقد بيّن ٱلبلاغ أن ٱلسمآء كانت دخانًا وجعلت سبع سمـٰوٰت:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ ١١ فصلت.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ ١٢ فصلت.

يضم دليل ٱلفعل «قضى» دليل ٱلأفعال «حكم وفصل وأمر وبدأ». وبقوة ٱلفعل «قضى» جعلت ٱلسمآء heaven سبع سمـٰوٰت تتصل فيما بينها عبر بوابات بكيّة(*) مثل ٱلساعة ٱلرملية. وكل سمآء تعلو وتحيط وتضمُّ وتوسع فى جوِّها كل ٱلأشيآء من نجوم وشموس وكواكب وأقمار وحجارة ودخان. فٱلسمآء وعآءُ كلِّ ٱلتكوين.

أما ٱلاسم فهو «ٱلعَلَمَ» و«ٱلعَالَم» وٱسم ٱلجمع «علاماتٍ» و«عالَمون». وٱلفرق فى ٱلدليل يبينه ٱلفرق بين ٱلوتد «واو» فى كلمة «سمو» وٱليد «يود» فى كلمة «سَمِىَ». فعل ٱلوتد فى ٱلتثبيت وفعل ٱليد فى ٱلتأييد. وٱلسمآء موتدة بٱلوتد. وٱلاسم مؤيد بٱليد. وهوّ ءاية نشأت من أصل ٱلسمآء ٱلتى كانت دخانًا. فٱلاسم كلمة أتى بها تطور ٱلسمآء مثل ٱلكلمات «أرعا وإرث وأرض».

إنّ فعل ٱلتحريف وٱللغو فى ٱلكلام كبير. وأنَّ ٱلتطهر منه يلزمه توجه إلى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين وإلى ٱلِّسان ٱلشامى ٱلفطرىّ بألوانه ٱلمختلفة. وتسطير كل مِّنها فىَ أساطير تميزها عن غيرها. وترك ٱللغة ٱلفصحى ٱلتى تعمى ٱلقلوب بلغوها وتملؤها باطلاً. فٱلِّسان ٱلشامى يحمل كل كلام ٱلفطرة. وهو طور أساس مَهَدَ لورود ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وبه تجرى معرفة دليل ٱلكلام ٱلأساس. وهو

(*) بكَّ: جمع حشر زجر. وٱلبوابة ٱلبكية يشبهها ٱلطريق ٱلدودى ٱلذى تصوره أنشتاين.

يمدُّنا بمعرفة ٱلبداية ٱلبلاغية مثل كلمة «دَرب» ٱلتى تدل على فتح مسلكٍ للسَّير فى ٱلجبال وفى ٱلأماكن ٱلوحشية. وٱلذى يفعل ذٰلك أقدام ٱلناس وٱلأنعام. وهٰذا ٱلفعل يجرى ٱليوم فى بلاد بدآئية ٱلعلم.

أعلم أن ٱلدعوة إلى ترك ٱللغة ٱلفصحى قد تكون كٱلصّاعقة عند ٱلّذين يفخرون بها ويظنون أنَّها ٱلِّسان ٱلعربى. وأرجو ٱلجميع أن يصبروا على هٰذه ٱلدعوة فلا يستعجلون ٱلحكم. وإن حكموا على دعوتى هٰذه فأرجوّا ألا يكون حكمهم رجما بٱلكلام يحمل إفكًا وبهتانًا. فلقد أتى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين وحيًا من ٱللَّه أنزله على قلب ٱلرسول محمد وقد نطق به ٱلرسول وخطَّه بيده كمآ أوحىَ إليه. وأتى فى ٱلوحىَ أن هٰذا لسان عربىّ مبين سبيل ٱلناس إلى ٱلعقل. وفيه كل ٱلبلاغ عن ٱلتكوين ميت وحىّ من ٱلبداية إلى ٱلنهاية إلى ٱلعودة إلى بداية جديدة. ولا سبيل للتطور فى ٱلقول وٱلبلاغ خارج ٱلتكوين ٱلذىَ أبلغنا ٱللَّه عنه أنَّه يَبدأه ويعيده. فهو مغلق بين ٱلبداية وٱلنهاية. وٱلكلام ٱلذىَ أتى فى ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين هو كل ٱلكلام ٱلذى يمكن للإنسان ٱلذى يسير فى ٱلأرض ينظر فى كيف بدأ ٱلخلق أن يكشف عنه.

إن ٱلتطور سنَّةٌ خلقية تكوينية فى ٱلأية ٱلميتة وٱلحية على ٱلسَّوآء. أمَّا ٱلروح فهو ٱلذى ينفخ ٱلأية ٱلحية ويدفعها على سبيل «درك ودرى وعلم وخبر وعَقَلَ». وبها تتطور من ٱلبهيم إلىَ ءادب إلىَ ءادم إلىَ إبرٰهِم إلى عمرٰن إلى ٱلحمد ٱلذى يبدأ به طور «ميكيٰـٰل» وبه يوصل إلى ٱلبيان ٱلعربى. وسنّة ٱلتطور تترك ورآءها كلمات تُنسى مثل كلمة ءادب ودرب ونسمة وناموس وغيرها كثير من ٱلكلمات ٱلتى لم ينسخها ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وقد تركها فى سجل ٱلِّسان ٱلشامى ٱلفطرى قبل ٱلعربى ليكون ٱلسَّبيل إلى ٱلنظر فى تطور ٱلروح ووصوله إلى طور ٱلعربى ٱلمبين.

وفيما يلى مقارنة بين ٱلِّسان ٱلشامى وٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين فى كلمة واحدة:

كلمة «مَرا» ٱلشَّامية تدل علىَ أنثى بٱلغة عذرآء أو متزوجة أو ثيّب. وتطور ٱلروح إلى ٱلِّسان ٱلعربى أتى بكلمتين. ٱلأولى تدل علىَ أنثى بٱلغة بلا زوج «ٱمرأة» عذرآء كانت أم ثيّب. وٱلثانية تدل علىَ أنثى بٱلغة متزوجة «إمرأت».

ٱلتآء سوآء ءَكانت مغلقة أم مفتوحة «منبسطة» تدل على علامة هى فى ٱلانثى غير ٱلمقرونة بزوج مغلقة. وفى ٱلأنثى ٱلمتزوجة منبسطة. ويلزم عن وجود ٱلتآء ٱلمنبسطة ذِكرُ ٱلزَّوج مع ٱلكلمة ٱلتى تدل على ٱلأنثى ٱلمتزوجة مثل «ٱمرأت فرعون وٱمرأت لوطٍ وٱمرأت نوحٍ». هٰذه ٱلمقارنة تبين لنآ أن كلمة «مرا» فى ٱلِّسان ٱلشَّامى تدل علىَ أنثى بالغة من دون بيان هل هى عذرآء أم متزوجة. أما فى ٱلطور ٱلعربى فجآء بكلمة «ٱمرأة» لتدل على طورٍ يسبق طور كلمة «ٱمرأت». وكلّ مِّنها تدل على طورٍ فى ٱلأية ٱلبشرية ٱلأنثى. وأنَّ ٱلكلمتان ليستا كلمة واحدة تطورت فى ٱلنطق وٱلدليل. وكلّ مِّنهما تدل علىَ أنثى فى طورٍ من أطوارها ٱلبالغة.

هٰذه ٱلمقارنة تقوِّى دعوتىَ إلى تعلم ٱلِّسان ٱلشامى إلى جانب ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين. وترك ٱلتعلم وٱلتعليم بٱللغة ٱلفصحى ٱلتى جآء بها «ٱلّذين قالوٓاْ أَمنَّا بأَفواههم ولم تؤمن قلوبُهُم ومن ٱلّذين هادواْ». ودفعوا بسبيل ٱلعقل بعيدًا عن ٱلّذين يعيشون فوق أرض بلاد ٱلشام. حتى صار سبيل ٱلعقل فى ٱلهجرة إلى بلاد بعيدة .

ٱلملّوتُ «ءَالِفبيت»

ءَالِفبيت ٱسم مكوّن مِّن نطق ٱلرمزين «ا ءَلِف» و«ب بيت» ويدل على رموز ٱلخط وأصوات ٱلنطق ٱلتى يُبنى منها ٱلكلام.

لقد وردت كلمة «رمز» فى ٱلقرءان مرَّة واحدة وفى قول واحد:

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ٤١ ءال عمران.

ويبيّن هذا ٱلقول أن ٱلرَّمز إشارة وعلامة وصورة لكَلِم تجرى خطًّا على قرطاس أو تدل عليه حركاتُ ٱليد وٱلوجه. وهو فعل أيةِ حيَّةٍ تعلم وتخبر.

كذٰلك وردت كلمة «خطّ» فى ٱلقرءان مرَّة واحدة:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ ٤٨ ٱلعنكبوت.

ونفهم من قول ٱلقرءان أن كلمة «تتلُواْ» تدل على تتبع ٱلكلام ٱلمخطوط. وأن «تخطه بيمينك» تدل على جريان ٱلخط بٱليد لبنآء ٱلكلام فى ٱلسَّطر.

ودليل «خَطَّ» هو فى ٱلأفعال «عَلَمَ ومَيَزَ ورَمَزَ وكَلَمَ». وٱلخطُّ هو ٱلعلامة وٱلميز وٱلرمز وٱلكلم. ويجرى ذٰلك على قرطاسٍ وفى حبِّ «ٱلجينوم» وفى ٱلنَّوى. ويكوِّن كتابًا فى كلٍّ مِّنها.

أما «ٱلنطق» فورد وجرى فى ٱلبلاغ ٱثنا عشر مرَّة فى ٱلهيئات «تنطقون/ ينطق/ ينطقون/ أنطق/ أنطقنا/ منطق». وعددُ جريانه يوافق عدَّة ٱلشهور «ٱثنا عشر شهرًا».

وهٰذا يدل أن للفعل «نَطَقَ» يد قوية فى ٱلرّوح. وٱلنّطق هو ٱلكلام ٱلمصوَّت ٱلمسموع. ويجرى فى ٱلحلق وٱلفوه وتتلقىٰه ٱلأذن.

ٱلبحث فىَ ءَالِفبيت ٱلبلاغ يبيّنه ٱلبحث فىَ ءَالِفبيت ٱلخلق وفىَ ءَالِفبيت ٱلحقّ. وكنت فى كتاب «ٱلكلمة» قد تناولت ءَالِفبيت ٱلخلق ٱلتى سمَّاها ٱلبلاغ شهورًا:

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ٣٦ ٱلتوبة.

وٱلعِدَّةُ هى ٱلحسبة وٱلإحصآء وٱلتهيؤ وٱلتوقيت. وهىَ أساس ٱلبنآء. وقد حدَّدها ٱلخالق لقيام ٱلحقِّ وكان توقيت تحديدها «يومَ خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ وٱلأرضَ».

وٱلفعل «خَلَقَ» يضمّ دليله ٱلأفعال «عدَّ ووضع وراد وشآء وخطَّ وحدَّ وبان». فٱلخلق هوَ إعداد ووضع وإرادة ومشيئة وتخطيط وتحديد وبيان لِّلتسوية فى ٱلحقِّ.

وقد وردت كلمة «خلق» فى ٱلبلاغ فى ٱلهيئات ٱلتالية «خَلَقَ/ خَلقٌ/ خالِقٌ/ مُخلَّقةٌ/ خُلُقٌ/ إختلاقٌ/ خلاقٌ/ خَلُقُ/ تخلُقُ/ يخلُقُ/ نخلقكم/ خُلِقَ/ يُخلَقُ/ ٱلخلاَّقُ».

وٱلخلق هو بيان مفصل لِّجريان ٱلتَّسوية فى ٱلحقِّ يضمُّ كل تفاصيل ٱلتَّسوية من ٱلبداية إلى ٱلنهاية من دون زيادة أو نقص. وعدته ٱثنا عشر شهرًا وقت ٱلبدء بٱلتسوية للتكوين ٱلحقِّ. وكل تكوين لَّه أطواره بين ٱلبداية وٱلنهاية. وكل بداية عدتها ٱثنا عشر شهرًا.

هذا ٱلدليل لكلمة «خلق» ضيعه أصحاب ٱللغة ٱلفصحى على ٱلناس بحرفه إلى دليل كلام لا صلة له به. وقد جآءوا بكلمة «أخلاق» لتكون دليلاً على ٱلسلوك. وما جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط يبيّن تحريفهم فى هٰذه ٱلكلمة:

[الأخلاق: علمٌ موضوعه أحكام قيميّة تتعلق بالأعمال ٱلّتى توصف بالحُسن

أو القبح. الأخلاقي: هو ما يتفق وقواعد الأخلاق أو قواعد السلوك المقرَّرة فى المجتمع. وعكسه لا أخلاقي. الأخلَقُ: مصمت لا يؤثر فيه شيء. أخلق من المال: خِلْوٌ عار. أَخْلقَ بكذا: أَجدرُ. الخالق: اسم من أسمآء الله تعالى، المبدع الشيء، المخترعه على غير مثال سبق. رجل خالق: صانع. الخَلاق: الحظ والنصيب من الخير. لا خلاق له: لا رغبة له فى الخير. الخِلاق: ضرب من الطيب، أعظم أجزائه الزعفران. هضبة خلقاء: لا نبات فيها. الخَلَقُ: البالي من الثياب وغيرها].

فى ٱلمعجم لغو كبير وحرف لِّدليل كلمة «خَلَقَ» ٱلذى يبينه ٱلبلاغ أنَّه وضع لبيانٍ مُّفصّلٍ لِّجريان أىِّ تسوية فى ٱلحقِّ. فٱلخَلقُ هو ٱلمخطط وٱلكيل وٱلوزن ٱلكريم[1] لكلِّ شىءٍ قبل تسويته. وقد جآء أصحاب ٱللغة بكلمة «صمَّمَ» من أصل ٱلفعل «صَمَمَ» ٱلذى يدل على عطل فى ٱلسمع ووضعوه فى موضع كلمة «خلق».

فعندما نتلوا ٱلبلاغ:

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ٥٩ ءال عمران.

نفهم أن ٱلخطة وٱلكيل وٱلوزن ٱلكريم للبشر جرت فى عدةٍ لتسويته هى ٱلتراب. وهنا لا يمكن أن نصل إلى دليل ٱلسلوك ٱلحسن أو ٱلقبيح. ولآ إلى ٱلخلوِّ من ٱلمال. ولآ إلى ٱلصانع أو ٱلحظ وٱلنصيب. ولآ إلى ضربٍ من ٱلطيب أو ٱلثياب ٱلبالية.

كذٰلك عندما نتلوا ٱلبلاغ:

﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ٥ ٱلحج.

نفهم أن ٱلمخلَّقة تضمُّ فى مستودعها بيانًا مُّفصَّلاً لِّلكيل وٱلوزن ٱلكريم وسبيل جريان ٱلتسوية. أما غير ٱلمخلَّقة فلا بيان فيها. وفى هٰذا ٱلبلاغ بيان

---

(١) ٱلكريم لا زيادة ولا نقص فيه.

لِّلجدل بين ٱلمخلَّق وغير ٱلمخلَّق وزوجية فعل ٱلتسوية ٱلجارى فى تحويل ٱلخلق إلى شىءٍ.

أما ٱلبلاغ:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤ ٱلقلم.

فيبيّن ويوكّد كبرِ وكثرةِ وشدةِ وزهرِ ٱلبيان ٱلمفصل ٱلذى سارت عليه عملية تسويته. فهى كبيرة ٱلهيئة وكثيرة ٱلعدة وشديدة ٱلقوة وزاهرة ٱلبيان إنسان يرد ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين إلى قلبه من دون فقد أو زيادة. وهو «لا ينطق عن ٱلهوى» فيما ورد إليه. وكلمة «أخلاق» ٱلمحرّفة لا تدل علىَ أىِّ أمرٍ من ذٰلك.

هذا ٱللغو وهذا ٱلوضع ضيّع فهم ٱلبلاغ ٱلعربى وحرف ٱلكَلام عن موضعه وحرف ٱلكَلِم ومنه ٱلتحريف فى كلمة «أخلاق». فٱللّه خلق ٱلسّمٰوٰت وٱلأرض ولم يصمّمهما. وحدّد عدّة تسوية ٱلخلق ٱلتى كشف عنها ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق وسماها مقدار elementary particles (ٱلمقادير ٱلأولية أو ٱلعدة ٱلأولية). ورأى تقسيمهآ إلى لونين Quark وعدده ستة وLipton وعدده هو ٱلأخر ستة.

وٱلعالم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق للتكوين ٱلحقّ هو مَن نظر ورأىَ أن عدة هٰذا ٱلحقّ ٱثنا عشر fermions. وأن عدَّة ٱلقوى ٱلفاعلة عليها تسعة عشر. وقد رأى منها ثمانية عشر حتى ٱلأن ويعمل نظره ليرى ٱلتاسع عشر وقد وضع له ٱسم واحد من ٱلناظرين «هيكز» higgs boson. وهٰذه ٱلعدة تمثل ءٱلفبيت تكوين ٱلحقّ. وهى ذاتها ٱلمحددة فى ٱلقرءان فى سورتى ٱلتوبة وٱلمدّثر «ٱثنا عشر شهرًا» و«تسعة عشر ملٰئكة». ويبيّن قول ٱلقرءان أن عدَّة ٱلجنود ٱلتسعة عشر هى فتنة للذين كفروا. وهى عدَّة ٱلقوى ٱلفاعلة فى تسوية ٱلخلق حقًّا. وهو ما يستطيع ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق ٱلكشف عنهآ وٱلعلم بها.

أمَّا ما بعدها فلا يدخل فى قدرة ٱلخليفة ٱلإنسان ٱلذى بيّن ٱلبلاغ أن علمه محدود وقليل:

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ ٨٥ ٱلإسرآء.

وهو بهٰذا ٱلعلم ٱلقليل يكشف عن ءآلفبيت ٱلخلق وءآلفبيت ٱلحقّ. ويرىَ أن أيَّ تكوين حقٍّ لَّه ٱلعدة ٱلمطابقة لعدد ٱلشهور وٱلملٰئكة. فعدَّة ٱلكواكب (أى تكوين كوكبى) ٱثنا عشر. وعدَّة ٱلقوى ٱلفاعلة على ٱلكواكب تسعة عشر. ظاهر منها قوتان هما ٱلشمس وٱلقمر. وهناك سبعة عشرةَ قوةً فاعلةً على ٱلكواكب لم يكشف عنها ٱلعلم ٱلناظر فى بلاغاته حتى ٱليوم.

ويظهر لنا ٱلِّسان ٱلشامى أن عدة ٱلشهور ٱلشمسية هى «كانون اِحرَى. شباط. اَدار. نيسان. اَيَار. حزيران. تَموز. اَب. اِيلول. تشرى قدِيم. تشرى اِحرَى. كانون قدِيم». [١]

من هٰذه ٱلعدة يجرى بنآء ٱلكلمات بفعل ٱلقوى ٱلتسعة عشرة. وتتكون منها كلمات ثلاثية ٱلشهور هى فى لسان شام ٱلأرامىّ «تِدَا (ربيع). قيطا (صيف). تِشرَيتا (خريف). شتوا (شتاء)».

كما يُظهر لنا ٱلِّسان ٱلشامى عدة شهور قمرية هى «ٱلمحرّم/ صَفَر/ ربيع أول/ ربيع أَخر/ جمادى ٱلأولى/ جمادى ٱلأَخرة/ رجب/ شعبان/ رمضان/ شوّال/ ذى ٱلقعدة/ ذى ٱلحجة».

هٰذه ٱلشهور لتقسيم ٱلسَّنة ٱلشمسية وٱلسَّنة ٱلقمرية كلّ مِّنها ٱثنا عشر شهرًا. وكل تكوينٍ ٱثنى عشرى هو سَنَة. وكل تكوين ثلاثى ٱلشهور هو فصل وهو فى ٱلفيزيآء baryon «ٱلباريون ثلاثى ٱلكواركات كٱلبروتون وٱلبروتون ٱلمضاد وٱلنيوترون وٱلنيوترون ٱلمضاد». وكل ٱصطفاف باريونى فى سطر «سلك» string هو قلادة. [٢] ومنه تتكون ٱلنَّوى بفعل قوة ٱلمسك ٱلشديدة gluons. وعندما تضم

---

(١) المدخل إلى اللغة السريانية / جامعة حلب / كلية الأداب ١٩٧٥ الدكتور أحمد ارحيم هبو. وقد كتبتها هنا حسب ٱلنطق ٱلأرامى وبخط عربى.

(٢) «ٱلنموذج ٱلمعيارى لفيزيآء ٱلجسيمات» حبل من ٱلبروتونات وٱلنيوترونات ٱلمتصلة ببعضها على هيئة قلادة.

ٱلنَّوىَ إليها «ٱلإلكترون» بفعل قوة ٱلرَّعد «ٱلكهرومغناطيسية» تتكون ٱلسُّورة(*) «ٱلذرَّة فى ٱللغة ٱلفصحى». وٱتحاد ٱلسُّوَر يكوّن ٱلكواكب وٱلأقمار وٱلنجوم وٱلشموس. وفى ٱلكواكب ينشأ ٱلمآء من عدَّة ٱلشهور ٱلقمرية. ومنه ٱلحياة ٱلتى ينفخ فى واحدٍ مِّنها ٱلرّوح. وعدتها ٱثنا عشر شهرًا وقوىٰها ٱلفاعلة تسعة عشر.

لقد بيَّن ٱلبلاغ أن سُنَّتَ ٱللَّه لا تتبدل:

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ ٤٣ فاطر.

«سنَّت» من ٱلأصل «سنَّ» ٱلذى تشترك فى دليله ٱلأفعال «شرع وقطع وجرى». وينجم عن جريانه فى ٱلعدة «سَنَةٌ». وهى ٱسم لِّكل كمالٍ فى ٱجتماع ٱلعدة. وهٰذه ٱلسُّنَّت لا تبديل لَّها ولا تحويل. فٱلعدة ٱثنا عشر شهرًا وٱلقوى ٱلفاعلة عليها تسعة عشر. هٰذا فى ٱلخلق وفى تسوية ٱلحقّ من ٱلأصل «حَقَّ» ٱلذى تجتمع فى تكوين دليله ٱلأفعال «وقع وثبت وصدق ووجب». فٱلحقُّ هو ٱلواقع ٱلثابت ٱلصادق ٱلواجب.

أما كلمة ٱلبلاغ فهى من دليل ٱلفعل «بَلَغَ» ٱلذى يضمُّ دليله دليل ٱلفعلين «درك ووصل». فٱلمأرب من ٱلبلاغ هو ٱلإدراك وٱلوصول إلى ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. أى ٱلعلم فى ٱلحقّ. وسُنَّتُ ٱلبلاغ هى ٱلسنَّتُ ٱلعامة. كما نشأ ٱلحقُّ ينشأ ٱلبلاغ. وعدَّةُ وقوى كلٍّ مِّنهما واحدة. ومنها يكبر ويكثر ويشتد ويزهر ٱلتكوين حقًّا وبلاغًا يطابقه. ووسيلة ٱلكشف عن ٱلعدة وٱلقوى ٱلفاعلة (سوآء ءَكانت فى ٱلحق أم فى ٱلبلاغ) هى ٱلبلاغ ٱلوارد من ٱلخالق. وأنبآءه تستقرّ فى محراب ٱلبحث وٱلنظر ٱلعلميين. وأنَّ ٱلعقل بين بلاغ ٱلخالق وبلاغ ٱلنظر وٱلبحث يبين عظمة ٱلخلق وٱلخالق. وهٰذا هو ٱلمأرب من ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. ٱلذى يمدنا بوسيلةٍ أساس للنظر وٱلبحث «لَعَلَّكُم تعقلون».

(*) كل تكوين مغلق على نفسه مثل ٱلهيدروجين وٱلأوكسجين حيث ٱلكتروناته تسوره وتغلقه على نفسه.

فبعد سيرنا فى ٱلأرض نظرًا وبحثًا فى كيف بدأ ٱلخلق. وبعد وصولنآ إلى ٱلعلم فى كيف بدأ ٱلخلق. يبقى علينا ٱلعقل بين ما وصلنآ إليه مع بلاغ ٱلخالق لنعلم ونستيقن بٱلخالق وعلمه ٱلعظيم.

ولما كان ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين هو وسيلتنا للعقل وٱلمطابقة مع بلاغ ٱلعلم فقد أعلن ٱللَّه أنَّه يحفظ بلاغه ٱلعربى ٱلمبين من أعمال ٱللغو وٱلتحريف حتى يبقى وسيلتنا فى ٱلعقل وٱلمطابقة. وهذا ٱلإعلان هو فى قول ٱلبلاغ:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ ٩ ٱلحجر.

بدأ لغو وتحريف أصحاب ٱللغة ٱلفصحى من ٱلعدة وٱلقوى ٱلفاعلة. إذ سمَّوا ٱلعدَّة «حروفًا» واحدها «حَرفٌ» مِّن ٱلأصل «حَرَفَ». وقد سبق قولى فى دليله فى بحث «ٱلتحريف».

وبٱلعودة إلى لسانين شاميين «ٱلعبرىّ وٱلأرامىّ» رأيت أن ٱسم ٱلرَّمز هو «مِلَّه» وٱسم ٱلجمع هو «مِلُّوت». وبمقارنة ٱلكلمة ٱلشامية مع ٱلكلمة ٱلانكليزية melody ٱلتى تدل علىٓ أصوات مقدَّرة a tune رأيت مطابقة فى ٱلنطق وفى ٱلدليل. فٱلكلمة فى ٱللِّسان ٱلشامى وٱللِّسان ٱلانكليزى تدل على مقدارٍ صوتىٍّ. وفى ٱللِّسان ٱلانكليزى كلمة Letter تدل على علامة أو رمز فى ٱلخط a sign in writing وعلى كلمة مرسلة من إنسان إلىٓ أخر ward that one person sends to another فهل نسمىٓ ءالِفبيت ٱلبلاغ حروفًا بعد أن علمنآ أن ٱسم «حَرفٍ» هو تحريف ولغو فى عدَّة بنآء ٱلبلاغ؟

أم نقول أنها علامات؟

سبق ٱلقول فى كلمة «عَلَم وعلامة» فى بحث ٱلتحريف. ومن مفهومه رأيت أن رموز ٱلأبجدية هى علامات صوتية وخطية تهدىٓ إلى فعل ٱلروح. وللواحد منها فى ٱللِّسان ٱلشَّامى ٱسم مِلَّه وٱسم ٱلجمع لها مِلُّوت.

لقد وردت كلمة «مِلَّة» فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾ ١٣٠ ٱلبقرة.

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٣٥ ٱلبقرة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢٣ ٱلنحل.

«مِلَّة» من ٱلأصل «مَلَّ» ٱلذى يدل على طول ٱلإقامة على ٱلشىء أو ٱلأمر نظرًا وتقليبًا فيه حتى يصير مكشوفًا كله ويوصل ٱلناظر فيه إلى ٱلضجر منه. و«ملّة إبرٰهِم حنيفًا» تدل على طآئفة من ٱلناس لا تقع تحت تأثير ٱلفعل «عجل» وهى تنظر فىَ أمر ما. ولا تبقى على مآ أوصلها نظرها بعد أن ملَّ. فهى تحنف إلىَ أعلا متابعة ٱلنظر فى مسألة جديدة. وهى تفرق عن ملَّةِ ٱليهود وملَّة ٱلنصٰرى فى مسألة ٱلحنف. فٱليهود وٱلنصٰرى باقون على ما وصل إليه نظر أبآئهم. وهٰذا ما بينه ٱلبلاغ:

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ﴾ ٧ ص.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ ١٢٠ ٱلبقرة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ﴾ ١٣ إبراهيم.

هؤلآء منهاجهم سماعى لا جديد عندهم. ومن يطالب بٱلجديد يغضبون عليه ويخرجونه من أرضهم أو يتوقف عن متابعة ٱلجديد ويعود إلى ٱلمِلَّة ٱلسَّماعية. وهؤلآء وثنيون وهم ضد «حنف». فوثن يدل على طول ٱلإقامة على ٱلأمر أو ٱلشىء وٱلسكون فيه وٱلعدوان على من يتحرك عنه.

حمل ٱلِّسان ٱلشامى ٱلاسم «مِلّة» وٱلجمع «مِلُّوت». ولكل صوت مقدار وعلامة خط. وحفظ هٰذه ٱلأصوات وذكرها يحدث بتكرارها حتى يكمل إتقان ٱلنطق بها وٱلخط لعلاماتها ٱلتى تدل عليها. وهٰذا يحدث بقوة ٱلفعل «مَلَّ».

كما حمل ٱلِّسان ٱلشامى مع ٱلاسم دليلاً لِّكل علامة صوتية وخطية. وقد

غفل أصحاب ٱللغة ٱلفصحى عن كل ذٰلك بفعل ٱللغو وٱلتحريف. وسنبين دليل كل علامة كما حملها ٱلِّسان ٱلشامى منذ نشأته.

أعود إلى ءَالِفبيت ٱلبلاغ وعدته ٱلاثنا عشر شهرًا. ٱلتى بيّنت فى كتاب «ٱلكلمة» أنها ٱلرموز ٱلتى جاءت فى «٢٩» من سور ٱلقرءان وفى بداية ٱلسورة. وبيّنت فى كتاب «ٱلاستنساخ» ٱلعلاقة بين ٱلعددين «١٢» و«١٩». وقلت فيه أن عدة ٱلشهور هى «ٱلصافات» (ٱلعدَّة). وأن ٱلقوى ٱلفاعلة هى «ٱلزاجرات». وأجريت مقارنة مع عدَّة تكوين ٱلحق. وظهر لىَ أن سُنَّتَ تسوية ٱلخلق وبنآء ٱلروح بواسطة ٱلبلاغ واحدة. ولا حاجة للتكرار هنا.

كما بيّنت فى كتاب «ٱلكلمة» أن ٱلشهور ٱلاثنا عشر هى (ا/ ل/ مـ/ ص/ ر/ هـ/ يـ/ ع/ ط/ س/ حـ/ ق) وهى عدَّة ٱلبلاغ. وإن ٱلقوى ٱلفاعلة هى ٱلرُسُل ٱلتسعة عشر. وٱلرُّسُل ملٰئكة جعلها ٱللَّه رُسُلاً وجنودًا[١] لتعمل على ٱلعدَّة بقوة ٱلزجر. حيث ٱلعدة هى ٱلصافات وٱلرُّسل هى ٱلزاجرات. وقد بدأ ٱلبلاغ بكامل عدة ٱلشهور وقوتى زجر هما ٱلرسولين (كـ) و(ن). وبهٰذه ٱلعدة وٱلرسولين بدأ تعلُّم ٱلأسمآء كلّها ونجم عن جريان ٱلبلاغ فى قلب ٱلبشر ٱصطفآء أوَّل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

وأول ما يتعلمه ٱلبشر هو نطق صوت ٱلشهر وما يدل عليه فىَ أشيآء ٱلحقّ وفى ٱلخط. وفيما يلى ٱسم ٱلشهر وما يدل عليه فى ٱلحقّ وفى ٱلعدد. وكذٰلك ٱسم ٱلرسولين وما يدل عليه كلّ مِّنهما فى ٱلحقِّ وفى ٱلعدد:

«ا» ءَالِف ٱلحقُّ ٱلذى يدل عليه هو «ثور». وهٰذا ٱلدليل يقابله من ٱلِّسان ٱلانكليزى دليل كلمة ox وoxen. ويدل بها ٱلناظرون فى كيف بدأ ٱلخلق على سورة دخانية هى «ٱلأوكسجين».

---

(١) (١ فاطر) و(٣١ ٱلمدثر).

ويدل هٰذا ٱلشهر فى ٱلِّسان ٱلشامى على ٱلعدد (١).

«ل» لامِد يدل على حقٍّ هو «عصا راعى ٱلبقر». ويستعملها ٱلراعى فى توجيه أنعامه فى ٱلسبيل وفى ٱلمرعى. وقد أتى فى ٱلبلاغ بيان ٱستعمالها:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ ١٨ طه.

وتدل «هشَّ» على حركة خفيفة بعيدة عن ٱلشِّدَّة وٱلقسوة. فلامد يدل على قوة تحريك وتوجيه من دون شدة.

ويدل هٰذا ٱلشهر على ٱلعدد (٣٠).

«مـ» مِم يدل على حقٍّ هو «مآء». وقد جآء خط رمز هٰذا ٱلشهر فى جميع ٱلِّسان ٱلشامى قبل ٱلعربى على هيئة «مـ». وجآءت هٰذه ٱلهيئة فى ٱلبلاغ ٱلعربى إلى جانب ٱلهيئة «م». وأفهم من ٱلهيئتين أن للمآء حالين أو طُورين أولها شهر ٱلمآء وهو كوارك. وأول تكوين جمعى لَّه هو زوج «ٱلميزون». أما «ٱلهيدروجين» فهو سورة دخانية أساس لِّكل ألوان ٱلمآء ٱلسآئل.

ويدل هٰذا ٱلشهر على ٱلعدد (٤٠).

«ص» صادِى يدل على حقٍّ هو «صدّيق».

ويدل هٰذا ٱلشهر على ٱلعدد (٩٠).

«ر» ريش يدل على حقٍّ هو «رأس»

كما يدل على ٱلعدد (٢٠٠).

«ه» هِى يدل على حقٍّ هو «شبكة صيد» فى ٱلعبريّة. و«شبك حديد ٱلنافذة» فى ٱلأراميّة. وفيه دليل ٱلحبك وٱلصيد.

كما يدل على ٱلعدد (٥).

«يـ» يود يدل على حقٍّ هو «يد». وٱليد دليل لقوة تأييد ودفع.

كما يدل على ٱلعدد (١٠).

«عـ» عَين فى ٱلعبريّة. وعِى فى ٱلأراميّة. ويدل على حقٍّ هو «عين». وفيها دليل ٱلنَّبت وٱلفجر وٱلنَّبع وٱلأصل وٱلبصر.

كما يدل على ٱلعدد (٧٠).

«ط» طِيت يدل على حقٍّ هو «حَنَش». وفيه دليل ٱلمسار ٱلملتوى وٱلتطويق وٱلمسك ٱلشديد.

كما يدل على ٱلعدد (٩).

«سـ» سِمكَت فى ٱلأراميّة. وسامخ فى ٱلعبريّة. ويدل على حقٍّ هو «مسند». وهو ٱلسَّاموك فى لسان فطرة ٱلأميين ٱلذى يرفع سقف ٱلبيت ويجعل له سمكًا thickness. كما يدلنا على طبقة سفلى وأخرى عليا وبينهما هوآء أو دخان.

ويدل على ٱلعدد (٦٠).

«حـ» حِيت يدل على حقٍّ هو «حيط». وفيه دليل ٱلبنآء ٱلموضون ٱلذى يحيط ويطوق ويحصر ويحبس. وٱلقسم منه «جدار».

كما يدل على ٱلعدد (٨).

«ق» قوف يدل على حقٍّ هو «سَمِّ ٱلخِيَاط». وفيه دليل ٱلمنفذ ٱلضَّيِّق. وهو ٱلقفّة فى لسان ٱلفطرة.

كما يدل على ٱلعدد (١٠٠).

هٰذه هى شهور عدة ٱلبلاغ وما يدل كلّ مِّنها فى ٱلحقِّ وفى ٱلعدد.

وفيما يلى ٱثنان من ٱلرُّسل ٱلفاعلة على ٱلبدء فى ٱلبلاغ وهما رُسل قوى ٱلسَّنِّ:

«كـ» كاف يدل على حقٍّ هو «كفُّ ٱليد». وفيه دليل ٱلمسك ٱلشديد. ونجد فى قوى تسوية ٱلحقِّ ٱلتى كشف عنها ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق ما يشبه دليل ٱلكاف. فإن «ٱلغلوونات gluons» تمسك «ٱلكواركات» ٱلثلاثة لتسوية ٱلكلمة ٱلحقِّ ٱلثلاثية ٱلشهور «بروتون ونيوترون» فى هيئة ٱلقلائد strings.

كما يدل هٰذا ٱلرَّسُول على ٱلعدد (٢٠).

«ن» نون يدل على حقٍّ هو «حوت». من ٱلأصل «حَوَتَ يَحُوتُ» وفيه دليل قوة ٱلسباحة حول ٱلشىء حتى تكمل معرفته بٱلعلامات وتمييزها وتقليمها بٱلتفصيل وتسجيلها فى سطر يحويها.

وهٰذا يشبه فى ٱلفيزياء «ٱلفوتون» ٱلذى يحمل ٱلقوة ٱلرَّعديّة «ٱلكهرومغناطيسية» ٱلتى تجعل «ٱلإلكترون» يسبح فى فلك حول ٱلنَّوى. وهٰذا فى بداية تسوية ٱلحقِّ.

ويدل ٱلرَّسول «ن» على ٱلعدد (٥٠).

هٰذه عدة ٱلبلاغ وقوّتا ٱلفعل ٱلبادىء فيه.

وفى ٱلسَّمآء ٱلدنيا عدة وقوى مثلها. فعدَّة ٱلكواكب «ٱثنا عشر» وقوّتا ٱلفعل ظاهرتان مع ٱلكواكب ومرافقتان لها وهما ٱلشمس وٱلقمر. وقد بيَّن لنا ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلعدَّة وٱلقوتين فى ٱلسمآء:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ ٤ يوسف.

وفيه ٱلكواكب «ٱثنا عشر» ويوسف واحد من ٱلعدة. وهو يمثل نوى (ٱلأرض) وٱلقمر «إلكترونهآ». أما ٱلشمس فهى قوة ٱلشموس ٱلشديدة[1] ونوى عظيمة لسورة أعظم هى ٱلمجموعة ٱلشمسية.

لقد بدأ نفخ ٱلروح فى ٱلبشر بواسطة عدة شهور ٱلبلاغ وٱلرسولين (كـ/ ن). وبها تعلَّم «ءادم» ٱلأسمآء كُلَّها. وجرى ٱصطفآؤه من حظيرة ٱلأدب بعد زجره وجمعه فيها وهٰذا ما بيّنه ٱلبلاغ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ ٣٣ ءال عمران.

---

(١) بحث «عدة الكواكب» كتابنا الأول «منهاج العلوم».

وصار ءادم طُورًا أعلا من طُور ءَادب ٱلذى كان فيه زجر وحبس فى حظيرةٍ لِّلبدء فى تعلُّم ٱلأسمآء. وبعد تعلمها صار ءادم مصطفى لِّطور جديد هو طُور «ٱلعرش» من ٱلأصل «عَرَشَ» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال «ملك وقام وأمر ورفع وثبت». فٱلعرش هو ٱلملك وٱلقيام وٱلأمر وٱلرفع وٱلثبات فى تلك ٱلأسمآء. وهٰذا ٱلطُّور ٱلجديد يلزمه رُسُل جنود لِّزيادة بنآء ٱلروح. وقد بيّن ٱلبلاغ ٱلعربى لونهم وعددهم:

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ ١٧ ٱلحاقة.

حملة عرش ٱلرَّب هم «ٱلملَكُ». وقد جعلهم ٱللَّهُ «رُسُلاً» فى ٱلبلاغ ١ فاطر. وٱلعرش هو عرش ٱلرَّب. وفيه دليل ٱلفعل «ربو يربو». وٱلرُّسُلُ ٱلتى تحمل عرش ٱلرَّب تجعل «ءادم» يملك ٱلأسمآء ويقوم عليها ويأمر فيها. يرفع ويعلوا ويثبت ٱلأمر. ويدخل فى طُور ٱلخليفة ٱلذىَ أعلنه ٱللَّه فى ٱلبلاغ:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ﴾ ٣٠ ٱلبقرة.

وٱلرُّسُل ٱلثمانية تظهر فى ٱلِّسان ٱلشامى إلى جانب ٱلرَّسولين (كـ) و(ن) وٱلشهور ٱلاثنا عشر. ويصير ءَالِفبيت ٱلِّسان ٱلشامى ٱثنان وعشرون مِلَّة وفيما يلى تلك ٱلرّسُل:

«b» فيت يدل على حقٍّ هو «بيت». وفيه دليل ٱلملجأ وٱلمسكن وٱلمنزل وٱلمأوى وٱلبنآء ٱلمقام للإقامة وٱلقرار.

كما يدل على ٱلعدد (٢).

«غ» غيمَل يدل على حقٍّ هو «جمل». وفيه دليل ٱلجمع عن فرقة وٱلكبر وٱلكمال وٱلزينة. وفى ٱلبلاغ بيان ٱلجمع عن فرقة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةًۚ﴾ ٣٢ ٱلفرقان.

وبيان كمال ٱلعمل وٱلأمر:

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ ٥ ٱلمعارج.

وبيان ٱلهيئة ٱلكبيرة:

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ ٤٠ ٱلأعراف.

وبيان ٱلجمع ٱلكبير ٱلخالى ٱلجوف:

﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ ٣٣ ٱلمرسلات.

وبيان ٱلزينة:

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ٦ ٱلنحل.

وفى ٱلجمع عن فرقة يكبر ٱلشىء ويكمل ويزَّيَّنُ.

كما يدل على ٱلعدد (٣).

«د» دالَت يدل على حقٍّ هو «باب». وفيه دليل ٱلفتح فى ٱلشىء ٱلذى يسمح بٱلدخول إليه وٱلخروج منه.

كما يدل على ٱلعدد (٤).

«و/ f» فاف يدل على حقٍّ هو «وتد». وفيه دليل ٱلمسك بقوة وثبات.

كما يدل على ٱلعدد (٦).

«ز» زين يدل على حقٍّ هو «سلاح». من ٱلأصل «سَلَحَ» (أخرج من بطنه ٱلفضلات). وٱلسلاح يسبب خروج ما فى ٱلبطن لأنه يفتحه وهو ما يفعله ٱلرمح وٱلسكين.

ويدل على ٱلعدد (٧).

«ف» فِى يدل على حقٍّ هو «فم». وهو مدخل ٱلطعام ومخرج ٱلصوت وفتحة فى وعاء. وأنَّ ٱلكلمة لا تدل على مخرج أصوات مفهومة. بل هو مخرج أصوات مبهمة. وعندما نريد مخرج ٱلأصوات ٱلمفهومة ٱلمعلومة فإن كلمة «فوه» هى ٱلتى تحمل هٰذا ٱلدليل.

ويدل على ٱلعدد (٨٠).

«ش» شين يدل على حقٍّ هو «سنّ». وهو وسيلة شقٍّ وفرقٍ وقطع. وأصل ٱلكلمة من ٱلفعل «سَنَّ». كما تدل كلمة «شين» على ٱلعيب وٱلقبح. وهو ما يسببه ٱلشَّقُّ وٱلمزق وٱلقطع للشىء.

ويدل على ٱلعدد (٣٠٠).

«ث» ثاف فى ٱلعبرية. ثاو فى ٱلأرامية. ويدل على حقٍّ هو «علامة» من ٱلأصل «عَلَمَ».

كما يدل على ٱلعدد (٤٠٠).

وبذلك بلغ عدد ءَالِفبيتِ ٱلبلاغ ٢٢ مِلَّةً مَنطوقة ومخطوطة. ومعها ستّة رُسُلٍ تتميز بوجود داتٍ (نقطة فى ٱللغة)[١] داخلها وهى:

ب «بيت» وهو طور أخر للملة «فيت b».

ج «جيمل» يدل على «جمل» هو طور أخر للملة غ «غيمل».

ذ «ذالت» طور أخر للملة د «دالت».

كـ «كاف» طور أخر للملة خ «خاف».

p «بى» طور أخر للملة فـ «فى».

ت «تاف» فى ٱلعبرية وهو طور أخر للملة «ثاف» وطور أخر للملة «ثاو» فى ٱلأرامية.

وهٰذه ٱلرسل تظهر فى ٱلنطق من دون خطٍّ خاص بها. ويميزها فى ٱلخط واحد من ٱلحركات هو ٱلدّاث «.» (ٱلنقطة). وهى ٱلملّوت «فيت وغيمل ودالت وخاف وفِى وثاف». وفى داخل كل منها داث (نقطة فى ٱللغة). وبها يكون ءَالِفبيتُ ٱلبلاغ ٱلشامى قبل ٱلعربى ٣٠ مِلَّة. وبه يوصل ٱلإنسان إلى حآفّة طور تعلّم ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل بتأييد ٱلروح ٱلقدس فى قول وفعل عيسى ٱبن مريم.

ثمّ جآء رسول قَلَبَ ٱسم حامليه من ٱسم «شام» إلى ٱسم «سام» وهو ٱلرسول (س «سين» طور أخر للملة «شين»). وبه بدأ طور ٱلكتاب وٱلحكمة وٱلتورىٰة وٱلإنجيل.

---

(١) ٱلنقطة فى ٱلعبرى هى خرا ٱلذباب.

ويبقى ٱلطور ٱلأخير لبلوغ درجة ٱلخليفة وهو طور ٱلحمد. وفيه ٱلقَضىُ وٱلجزآء وٱلإرشاد إلى جميع ٱلحقّ.

فما هى وسآئل بلوغ هٰذه ٱلدرجة؟

كمل ٱلّسان وكمل معه ٱلبلاغ فى ٱلطُّور ٱلعربى. وبطور ٱلكمال نسخت ءايات ونسيت أخرى وأتى مثلهآ أوَ أحسن منها. فلقد نُسى ٱثنان من ٱلرُّسُل ٱلمنطوقة فى ٱلّسان ٱلسّامىّ «فاف f» و«بى p». وظهر خطّ خاص بٱلرُّسُل ٱلثمانية (ب ج ذ و كـ ك س (سين) ت).

كما ظهر خطّ ونطق لّثلاثة رموز جديدة هى (ء ظ ض) إلى جانب خطٍّ للمفروق وخطٍّ للموصول. وخطُّ بعض ٱلملوت معه داث واحدة (نقطة فى ٱللغة) هى من ٱلقوى ٱلفاعلة فى ٱلاطوار ٱلسابقة. وأخر معه ٢ داث وأخر ٣ داث. وفيما يلى ٱلملوت ٱلعربى:

«ا؟ » ءالف

«فـ ـفـ ـف ف» فيت

«بـ ـبـ ـب ب» بيت

«غـ ـغـ ـغ غ» غيمل

«جـ ـجـ ـج ج» جيمل

«ـد د» دالت

«ـذ ذ» ذالت

«هـ ـهـ ـه ه ؟ » هى

«ـو و» واو

«ء» ءاء

«ـز ز» زين

«حـ ـحـ ـح ح» حيت

«ط ـط» طيت

«ظ ـظ» ظيت

«يـ ـيـ» يود. هٰذا ٱليود تحته ٢ داث. ونجده فى خطّ ٱلقرءان يأتى فىَ أول ووسط ٱلكلمة ولا يأتى فىَ أخرها.

«ـى ى» يود. هٰذا ٱليود من دون ٢ داث. ويأتى فى وسط وأخر ٱلكلمة. وهو ما يسميه أصحاب ٱللغة ٱلفصحى ألف مقصورة.

«خـ ـخـ ـخ خ» خاف

«كـ ـكـ ك» كاف

«لـ ـلـ ـل ل» لامد

«مـ ـمـ» مِم

«ـم م» مِم

«نـ ـنـ ـن ن» نون

«سـ ـسـ ـس س» سامخ

«عـ ـعـ ـع ع» عين

«فـ ـفـ ـف ف» فِى

«صـ ـصـ ـص ص» صادى

«ضـ ـضـ ـض ض» ضادى

«قـ ـقـ ـق ق» قوف

«ـر ر» رأس

«شـ ـشـ ـش ش» شين

«سـ ـسـ ـس س» سين

«ثـ ـثـ ـث ث» ثآء

«تـ ـتـ ـت ت ـة ة» تآء

ووردت رموز للقوى ٱلفاعلة لن نعرض لها هنا وسأترك ٱلبحث فيهآ إلىَ أن أكمل فهمى لها.

ٱلرُّسُل (ب ج د و كـ ف س (سين) ت) ٱلتى وردت فى ٱلِّسان ٱلسامى منطوقة من دون خط خاص بها تدل عليها ٱلرُّسل ٱلمخطوطة وٱلمنطوقة (b غ ذ f خ p ش ث) بعد تحميلها علامة داث. وهى ٱلرسُل ذاتها وقد ظهرت فيها قوى تدل على منهاج محمول فيها:

(ب بيت = فيت)

(ج جيمل = غ غيمل)

(ذ ذالت = د دالت)

(و واو = فاف)

(كـ كاف = خاف)

(ف فى = p)

(س سين = ش شين)

(ت تاف = ثاف)

وٱلبلاغ ٱلعربى هو ٱلذى يدلنا على هٰذه ٱلرسل:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ ٨٧ ٱلحجر.

«ٱلمثانِى» من ٱلأصل «ثنى يثنى» وتدلُّ عليه ٱلأفعال (زاد وطوى وضَعَفَ). وقد أتى «ٱلقرءانَ ٱلعظيم» لاحقًا على «سبعًا من ٱلمثانِى».

وكلمة «عظيم» من ٱلأصل «عظم» ٱلذى تدل عليه ٱلأفعال (زاد وكثر وكبر وضعف وبان وزهر). فٱلقرءان هو ٱلبلاغ ٱلمبين عن جميع ٱلحقِّ من ٱلبداية إلى ٱلنهاية إلى ٱلعودة إلى بداية أخرى. وهٰذا يجعله عظيما.

لقد جرى ٱلاصطفآء ٱلأول بفعل ٱلشهور وفعل ٱثنين من ٱلرُّسُل (كـ ن). ثم

تابع ٱلاصطفآء أطواره بفعل ٱلزيادة فى عدد ٱلرُّسُل حاملات ٱلعرش ٱلثمانية (b فيت غ غيمل د دالت f فاف ز زاين p فِ ش شين ث ثاف). إلى جانب ٱلرُّسل ٱلمثانى ٱلّتى ٱشتركت فى بنآء ٱلروح من دون ظهور وإعلان عن ٱشتراكها فى رمز خطى مستقل. فيكون عدد ٱلرُّسُل ٱلعاملة فى ٱلبلاغ ثمانية عشر رسولاً هى:

b فيت/ ب بيت

غ غيمل/ ج جيمل

د دالت/ ذ ذالت

f فاف/ و واو

ز زاين

خ خاف/ ك كاف

ن نون

p فِ/ فِ فى

ش شين/ س سين

ث ثاف/ ت تاف

ويبقى من عدة ٱلرُّسُل ٱلتسعة عشر واحد. فهل نجده فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين؟(*)

غاب فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين من ٱلملوت ٱلمثانى ثلاثة (p/f/b). وظهر فيه رموز أخرى تدل على ٱلمثانى هى (ء ض ظ). فيكون عدد ٱلمثانى فى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين سبعة ومعها ٱلقرءان ٱلعظيم:

ج = غ

ذ = د

و = f

(*) ٱلفيزيآئيون يبحثون عن ٱلبوزون التاسع عشر حتى يكمل علمهم بٱلعدة وٱلقوى.

ء = و

ظ = ط

كـ = خ

ض = ص

ت = ث

ودليلنا أن ٱلرسول (ء) هو ٱلواو ٱلمثانى نجده فى نطق ٱلأميين لكلمة جزء (جزو). كما نجده فى كلمة «سمآء» ٱسم ٱلجمع «سمـٰوٰت». وجريان ٱلكلمة من ٱلفعل إلى ٱلاسم (سَمَوَ يسمو سماو). وقد ٱشتدّ توتيد ٱلواو بواو ٱلمثانى «ء» فجعل ٱلاسم «سمآء» فتقوّى ثباتها وٱشتد.

فٱلسبع ٱلمثانى هى ٱلرُّسُل ٱلسبعة (ج ذ و ء كـ ت ظ). وٱلشهر ٱلمثانى (ض) بينها ليس من ٱلرُّسُل. وهو يدل على ٱلقرءان ٱلعظيم بجعل ٱلشهر «ص» مثانى «ض». وفى ٱلبلاغ يأتى ٱلقرءان لاحقًا عليه:

﴿صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ﴾ ١ ص.

ٱلقرءان ذى ٱلذّكر طُور يلى ٱلصِّدِّيق (ص). وبورود ٱلصِّدّيق ٱلمثانى (ض) وهو يلى طُور ٱلقرءان ٱلعظيم. ٱلذى يشير إلى عظم ٱلعلوم وٱلمعارف ٱلتى تتكون من عدَّة ٱلشهور وٱلرُّسُل. وفيه بلاغ هو صورة تطابق أفعال ٱلتسوية للحقِّ. وأساسه ٱثنا عشر شهرًا وتسعة عشر رسولاً (ٱلكواركات وٱلليبتونات وٱلبوزونات).

ومن هٰذا ٱلطُور وهو طُور «ميكيـٰل» يبدأ ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلكون كله بأبعاده فى ٱلسمـٰوٰات ٱلسبع. فكلمة «مثانِى» تدل على ٱلطوى وٱلتثنية وهذا يبيّن ٱلأبعاد ٱلعظيمة فى ٱلمعارف وٱلعلوم ٱلتى تنشأ بـ «ٱلسبع ٱلمثانِى وٱلقرءان ٱلعظيم».

لقد ورد «ٱلقرءان ذِى ٱلذكر» بعد ٱلشهر «صٓ» وفوقه قوة مدّ صوتية. وهو ٱلشهر ٱلذى يدل على «صدّيق». وٱلصِّدّيق من ٱلأصل «صَدَقَ» ٱلذى يدل على

مطابقة ما فى ٱلقلب للحقِّ. وهٰذا لا يحدث إلاَّ عند ٱلذى ٱمتلأ قلبه بٱلعلم وٱلمعرفة وٱلذِّكر وٱلفكر وٱلفقه. وهو ما يدل عليه «ٱلقرءان ذِى ٱلذِّكر» ٱلذى ورد ملحقًا بٱلشهر «صٓ» ٱلممدود ٱلصوت.

فإذا كان «صٓ» ٱلممدود يسبب حدوث «ٱلقرءان ذِى ٱلذِّكر» فكم هو مقدار ٱلقرءان بفعل ٱلشهر صادى ٱلمثانى «ض»؟

إنه ٱلمقدار ٱلذى يدل عليه «ٱلقرءان ٱلعظيم». فهو عظيم بفعل «ءَاتينٰك سبعًا مِّنَ ٱلمثانِى وٱلقرءان ٱلعظيم».

أساس بنآء جميع ٱلحقِّ هو فى ٱلعدَّة «ٱثنا عشر شهرًا» وعليها جنود ٱلرّب ٱلرُّسُل وعددهم تسعة عشر. ومثل ٱلحقِّ هو ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين ٱلذى يمثل صحفة مطوية أمام ٱلحقِّ تُرسَلُ فوقها صورة جميع ٱلحقِّ:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ ٢٤ ٱلحشر.

ٱلخالق هو ٱلفاعل فى ٱلخلق وهو ٱلفاعل فى فصل وفرق أشيآء ٱلحقِّ فى ٱلتسوية وٱلصورة عنه. وٱسم «ٱلبارئ» من ٱلأصل «برأ» ٱلذى يدل على ٱلفرق وٱلفصل للأشيآء ٱلخالى وٱلخالص من ٱللَّعب. وهو ٱلفاعل للفعل ٱلجارى فى ٱلتسوية وقد جعل له صورةً فى ٱلبلاغ ٱلعربى. وهو يطلب من حامل ٱلصورة لينظر ويقرأ ويعقل بين ٱلصورة وٱلحقِّ حتى يصدّق ويطمئن أن فاعل ٱلتسوية للحقِّ هو فاعل ٱلصورة فى ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٣ ٱلزخرف.

ومن ٱلمثل على ٱلعقل بين ٱلصورة (ٱلبلاغ) فى ٱلنبأ ٱلتالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذاريات.

وبين ٱلحقّ ٱلمنظور فيه هو فيما أعلن عنه فى مقال «ٱكتشاف كوارك ٱلقمة»[١]:

(الكواركات لا تظهر إلا لاصقة بعضها ببعض على شكل أزواج تسمى الميزونات mesons. و«إن فائقية التناظر تناظرٌ مفترضٌ يقرن بكل جسيم فى المنوال المعياري جسيماً مرافقاً لم يكتشف بعد». وحتى «كوارك القمة يتفكك حسب تنبؤات المنوال المعياري إلى جسيم W وكوارك القاعدة، ويمكن للجسيم W أن يتفكك إلى كوارك وكوارك مضاد من الجيل نفسه: كوارك فوقي وكوارك تحتي مثلاً).

هذا ٱلمثل على ٱلعقل هو من فيزيآء ٱلتكوين وفى غيبٍ بعيد عن بصر ٱلعين.

أما عن لون هٰذه ٱلأزواج فورد فى ٱلنبإ:

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ ١٤٣ ٱلأنعام.

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ ١٤٤ ٱلأنعام.

دليل «ٱلضأن» فى (ضعف ولان).

دليل «ٱلمعز» فى (عزل ونفر ومنع).

دليل «ٱلإبل» فى (جمع وكثر وحسن).

دليل «ٱلبقر» فى (شَقَّ ووسع وفاض).

فٱلأزواج ٱلثمانية هى (ضأن ذكر وضأن أنثى. معز ذكر ومعز أنثى. إبل ذكر وإبل أنثى. بقر ذكر وبقر أنثى).

وفى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق ثمانية أزواج كما هو فى ٱلبلاغ ٱلعربى وقد سمّاها ميزونات mesons ويقول فى وصفه لها:

(أكثر الميزونات انتشاراً هي البيونات pions، وتتكون من كواركات علوية وكواركات سفلية والكواركات المضادة لها. أما الميزونات K وB فتحتوي على

---

(١) مجلة العلوم الأمريكية ـ المجلد ١٤ ـ العدد ٥ ـ ١٩٩٨.

الكواركات الغريبة والكواركات القعرية والكواركات المضادة)[١].

وفى بلاغ ٱلعلم عن «الكواركات العلوية والكواركات السفلية والكواركات المضادة لها» أنها ٱلأكثر ٱنتشارًا. وفى وصفه لها ما يطابق دليل ٱلإبل. وكذٰلك دليل ٱلبقر. وأن زيادة ٱلوصف لهٰذه ٱلكواركات لاحقًا يساعد فى تحديد ألوانها كما جآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى وهو ٱلصورة ٱلمطابقة للحقّ. وبلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق يقترب من ٱلمطابقة بين ٱلصورة وٱلحقّ. وبذلك أتوجه إلى «لعلّكم تَذَكَّرُون». وأزيد من قيام ٱلّيل سعيًا ورآء ٱلقول ٱلأقوَم كما يوجِّه ٱلبلاغ:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)﴾ ٱلمزّمل.

وبعد طول نظر فى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق وبعد عقله مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين رأيت أنَّ بلاغ ٱلعلم يقول أن «ٱلكواركات» ستة وأن «ٱلليبتونات» ستة. كما يقول أن «ٱلكواركات» موجودة على هيئة أزواج وقد سمّاها mesons وعلى هيئة ثلاثيات سمّاها baryons (ٱلبروتون وٱلنيوترون وٱلبروتون ٱلمضاد وٱلنيوترون ٱلمضاد).

ورأيت فى وصفه هٰذا شبها بٱلتقسيم ٱلسامى لشهور ٱلسَّنة إلىَ أربع كلمات ثلاثية ٱلشهور (أبيب = ربيع/ قيص = صيف/ ستَو = خريف/ حُرِف = شتآء). وفى ٱجتماعها فى وحدة كاملة تتكون سَنَة.

وفى ٱلهيئة ٱلتى يسميها بلاغ ٱلعلم ٱلناظر سورة (ذرَّة فى ٱللغة) تجتمع ٱلنَّوى وٱلقمر (إلكترون) كما هو تكوين سورة «ٱلهيدروجين» (فى نوىٰها «بروتون» واحد وفى فلكٍ حوله قمر واحد «إلكترون»).

وما قاله بلاغ ٱلعلم ٱلناظر عن «ٱلبروتون» أنّه يتكون من ثلاثة «كواركات»

---

(١) «اللا تناظر بين المادة والمادة المضادة» مجلة العلوم الأمريكية ـ المجلد ١٦ ـ العدد ١٠/ ٢٠٠٠.

تمسكها مع بعضها قوة شديدة gluon كما يقول «p.g كولينز»:

«حين تضمحل نواة ذرية فتصدر إلكتروناً ونيوترينو». [(١)]

ويظهر من قوله أن «ٱلإلكترون وٱلنيوترينو» من أساس تكوين ٱلنوى. وإلا كيف يخرج «إلكترون ونيوترينو» منها؟

يقول «كولينز»:

(إن الكواركات تلتصق ببعضها بعضاً بوساطة القوة الشديدة الّتى تحملها الغلوونات لتشكل «الهدرونات» الّتى تضم البروتونات والنيوترونات الّتى تتحد بدورها لتشكل النوى الذرية. وتدور الإلكترونات الّتى تجذبها إلى هذه النوى القوة الكهرمغناطيسية الّتى تحملها الفوتونات حول النوى لتشكل الذرات والجزيئات). [(٢)]

وفى هٰذا ٱلقول أكثر من «كواركات». فهناك «ٱلغلوونات وٱلإلكترونات وٱلفوتونات».

وقال ٱلناظرون فى كيف بدأ ٱلخلق كما قال «كولينز»:

(تتألف المادة كلها الموجودة حولنا من جسيمات العائلة ذات الكتلة الأخف. وهذه الجسيمات هي الكواركات «العلوية» والكواركات «السفلية» والإلكترونات والنيوترينوهات الإلكترونية). [(٣)]

وكانوا قد قسموا ٱلتكوين إلى عدَّة هى «الكواركات والليبتونات» وعددها ٱثنا عشر. وعدّوا «الإلكترون والنيوترينو» من «الليبتونات». أما «الفوتونات والغلوونات» فعدوها من ٱلقوى «البوزونات».

وبعقل هٰذه ٱلأقوال مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين نجد ٱلعدَّة وٱلقوى تتطابق

---

(١) مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٧ العددان (٣، ٤) ٢٠٠١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) ٱلمرجع ٱلسابق.

بٱلعدد. كما نجد تطابقًا فى ٱلبلاغين فى مسألة تغيب عن بصر ٱلعين. فأىّ تكوين فى ٱلغيب أساسه زوج (ذكر وأنثى) أو (يمين وشمال). وهٰذا جعلنىَ أرىَ أنَّ «ٱلبروتون» ليس فردًا ويجب أن يكون له زوج يرافقه فى ٱلتكوين.

وما يبينه بلاغ ٱلعلم فى مقال «ٱكتشاف كوارك ٱلقمة» أنَّ «ٱلكوارك» هو زوج فٱلبروتون ٱلمكون من ثلاثة «كواركات» هى ستة أزواج. وكذٰلك «ٱلنيوترون». وفى كل مِّنهما نصف عدَّة ٱلشهور أى نصف ٱلسّنة.

ومآ أرىٰه فى بلاغ ٱلعلم أنَّه يعدُّ تكوينات من ٱلعدَّة خطأ كٱلإلكترون ونيوترينو ٱلإلكترون.

وٱلعدَّة هى ٱلشهور كما بيَّنها بلاغ ٱلقرءان. وهى توافق ٱلكواركات وصفًا وعددًا. فٱلكواركات ستة وستة مضادة. وهٰذا يبيِّن أنَّ ٱلعدد ٱثنا عشر كما هو عدد ٱلشهور.

ويقول ٱلعلم ٱلناظر أنَّه «يصدر عن ٱلنواة ٱلمضمحلة إلكترون ونيوترينو» وأنَّ «ٱلغلوونات» هى ٱلتى تمسك «ٱلكواركات» ٱلثلاثة. ويبيّن هٰذا ٱلقول أنَّ «ٱلبروتون وٱلنيوترون» يتكون كل منهما من أكثر من «كواركات». ويمدُّنى فى قولى هٰذا ٱلنظر فى سورة ٱلفاتحة فى ٱلقرءان. ٱلتى قلت عنها فى بحث «ٱلقرءان ١١٤ سورة»[1] أنَّها سورة «ٱلهيدروجين». فسورة ٱلفاتحة تتكون من سبع ءايات ستة فى ٱلنَّوى وواحدة مقابل «ٱلإلكترون». فٱلأية تتكون من كلمات وٱلكلمة تتكون من شهورٍ ورسلٍ. وبٱلتالى فإن «ٱلكوارك وٱلإلكترون وٱلنيوترينو» كلّ مِّنهآ ءاية. وهٰذا يجعلنىَ أوجّه ٱلنظر إلىَ أنَّ «ٱلكوارك» زوج.

هذا ٱلأمر هو مسألة ٱلبحث وٱلسئوال عند علمآء ٱلنظر بعد أن ٱكتشفوا «كوارك ٱلقمة». وهم يتوجهون (لاستخدام كوارك القمة للإجابة عن أسئلة ما زالت قائمة حول المادة والكواركات والقوى الّتى تتحكم فى الطبيعة).[2]

---

(١) كتاب «منهاج ٱلعلوم» ٱلأول.

(٢) مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٤ العدد ٥ / ١٩٨٨ «اكتشاف كوارك القمة».

وهٰذه ٱلمسألة تُقوِّى لدىّ ٱلقول أنَّ ٱلشهور ٱلتى تمثل عدَّة ٱلتكوين للأزواج ٱلتى ظهرت لعلمآء ٱلنظر وٱلبحث فى كيف بدأ ٱلخلق على هيئة «كواركات» أو «إلكترونات» أو «ميزونات» كلّ مِّنها طرفٌ فى عدّةٍ لِّكلٍّ طور مِّن أطوار تسوية ٱلحق.

فٱلعدَّة عددها ٱثنا عشر. وٱلشهور من كل لون ٱثنا عشر شهرًا. عدَّةُ بنآءٍ تفعل عليه تسعةُ عشر من حاملات ٱلقوة. وعندما يكمل ٱلبنآء يكون هو ٱلعدَّة لطور أعلا فى ٱلتسوية. ومن شهور ٱلخلق تسوّى «ٱلميزونات» ومنها تسوى عدَّة أكبر. وكما يجرى فى ٱلحقِّ يظهر فى ٱلصورة (ٱلبلاغ). وفى كل طُور ٱقتران بين ٱلزوجين يعبر ٱلحق طورًا مِّن أطواره ٱلتى تزيد فى كبره بدءًا مِّن ٱلأشيآء ٱلمحرّمة على ٱلعين وٱنتهآء بٱلسمآء وما فيها من نجوم وشموس وكواكب.

فٱلشهور لونية وجميع ٱلأشيآء لونية وفيهآ ألوان ٱلشهور وكل شىء يضىء وينير.

* *

جآء أصحاب ٱللغة ٱلفصحى بٱلاسم «همزة» ليدل على واو ٱلمثانى (ء). وفى ٱلمعاجم توحيد بين ٱلثور ءَالِف (ا) وبينها تحت ٱسم واحد «ٱلهمزة». وهٰذا ٱلاسم من ٱلأصل «هَمَزَ» ودليله فى ٱلأفعال (غاب وهمس ووسوس ووشى). وفى ٱلبلاغ بيان ذٰلك:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ١ ٱلهُمَزَة.

«لَمَزَ» دليله فى ٱلفعلين (عاب وغمز). فٱلهُمَزَةُ قول فىَ أمرٍ أو ٱمرءٍ موجَّه ليعيبَهُ ويغمُزَ فيه. فكيف رأىَ أصحاب ٱللغة ٱلفصحىَ أنَّ هٰذا ٱلاسم يدل على واو ٱلمثانى (ء)؟

لقد أضاع أصحاب ٱللغة ٱلفصحى دليل ٱلشهور وٱلرُّسل بحرف ٱسمهآ إلى «حروف» فضاع ٱلبيان وحلّ محله ٱلإعجام وٱلإبهام فى كل ٱلأمور.

وأضرب مثلا على ضياع ٱلبيان فى مقابلة ٱلشهور (ا ل مـ) مع رمز واحد ٱلمآء (جزء فى ٱللغة ٱلفصحى) H_2g_2O:

(ا) يدل على ثور. وٱسمه ءَالِف. يقابله فى ٱلِّسان ٱلانكليزى كلمة ox فى ٱلدليل. ومنه ٱلرَّمز o ٱلذى يدل عليه ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق بكلمة مركبة "Oxy-gen".

(ل) يدل على«عصا راعى ٱلبقر». وٱسمه (لامد). يدل على ٱلتأديب وٱلتوجيه وٱلتعليم وٱلمتابعة. وعصا ٱلراعى تستعمل للتأديب وٱلتوجيه وٱلحث على ٱلحركة فى وجهة محدَّدة.

وفى ٱلِّسان ٱلانكليزى كلمة "gen-" تدل على مُحدِثٍ ومولِّدٍ. وتلحق بٱلاسم فتجعله ذو قوة حركية ذاتية.

(مـ) يدل على «مآء». وفى ٱلِّسان ٱلانكليزى كلمة "hydro" من أصلٍ يونانى تدل على مآءٍ دخانٍ. وكمالُ تكوين ٱلمآء يدل عليه واحده وهو ٱلجزء H_2g_2O.

ٱلأية ٱلأولى فى سورة ٱلبقرة هى ٱلكلمة «الٓـمٓـ» مكونة من ٱلملوت ءالِف (ا) واحد هو ٱلثور ox. يليه لامد (لٓ) وهو عصا راعى ٱلبقر gen فوقه قوة مدّ تبين أنه ٱثنين (ل ل). ويليه مِم (مٓـ) مآء دخان hydro فوقه قوة مدّ تبين أنه هو ٱلأخر ٱثنين (مـ مـ).

وفى ٱلأية ٱلثانية من سورة ٱلبقرة بلاغ عن ٱلأية ٱلأولى كما رأى ٱلزمخشرى «ذٰلك ٱلكتٰب لا ريب فيه». ورمز واحد ٱلمآء كما تعرفه ٱليوم ٱلفيزيآء هو H_2O مكون من HHO. ويغيب منه عصا ٱلراعى (ل gen) وقوة مدِّهِ. وبإظهاره يكون رمز واحد ٱلمآء هو HHggO كما تظهره ٱلكلمة ٱلأية (الٓ مٓ) H_2g_2O. وبتطبيق منهاج ٱلخط ٱلعربى عليه يكون $\tilde{H}\ \tilde{g}\ O$. وبتلاوته من ٱليمين إلى ٱلشمال ليطابق فى ٱلهيئة ٱلأية ٱلكلمة (الٓـمٓـ = ا ٢ل ٢مـ) أو H_2g_2O.

فقه ٱلكلمة يحدث بٱلعلم بما تدل عليه أبجديتها. وأضرب مثلا فى ٱلكلمة

ٱلفعل «كُن». فٱلرَّسول «كـ» يدل على «كفِّ ٱليد». وهو ٱلذى يوجه ٱلخط لتسوية كلمات ٱلحقِّ وتسطير كلام ٱلبلاغ.

و«ٱلنون» ٱلذى يدل على «حوت» وٱلحوت يسبح حول ٱلشىء حتى تكمل معرفته بٱلعلامات ويميزه بٱلتفصيل ويحويه فى سطر. وقد أتى «ٱلنون» فى ٱلبلاغ ولحق به ٱلقلم وٱلسَّطر:

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١ ٱلقلم.

فٱلرَّسُول «و» (وهو من ٱلقوى ٱلماسكة) يوتّد كلاً مِّن «ٱلقلم وما يسطرون» بٱلحوت «نٓ» ٱلمضاعف بٱلمدّ. وفعل ٱلتقليم وفعل ٱلتسطير يلحقان ببداية أساس لَّهما هى ٱلتعريف وٱلتميز ٱلمفصّل وٱلاحتوآء ٱلمضاعف «نٓ».

وفى ٱلفعل «كُن» ما يدل علىٰ أمر لخطِّ صور تعلو كفّ ٱليد (ُ) لتكون كلماتٍ معرّفةٍ ومميّزةٍ ومفصّلةِ ٱلشهور ساكنة بسكون حاويها «ن».

وبجريان ٱلفعل «يَكُونُ» تظهر ٱليد مفتوحة «يَـ» تدفع ٱلكف وتؤيده. ويظهر ٱلوتد ٱلساكن سكونا مخفيًا «و» وهو قوة تثبيت للكفِّ على فعل خطِّ ٱلكلمة ٱلمطابقة للصور ٱلمحمولة فيه.

وبٱلوصول إلى ٱلاستقرار فى خطِّ ٱلكلمة تزول ٱليد وٱلوتد ويثار كف ٱليد بٱلثور فيصير ٱلفعل «كان». وٱلثور يدل علىٰ إثارةٍ جرت بٱلكفِّ وٱلمُثار معرَّف ومفصّل بٱلحوت.

وبعد فعل ٱلنظر فيه ومعرفته وتقليمه ومراجعة ٱلنظر فيه يوتد ٱلثّور بواو ٱلمثانى وتعلوها قوة فتح «كأَن». ويدلّ واو ٱلمثانى «ء» علىٰ أن ٱلثور جرى توتيده وتثبيته مثانىَ بٱلنظر فيه ومراجعته.

ولبيان وتوكيد وتثبيت ما خطه «كف ٱليد» وما عرّفه وميّزه وفصّل فيه «ٱلحوت» وجعله ٱلثور ظاهرًا مُعلنًا مُّثبتًا تثبيتًا مَّثانيًا يلزمه ٱتباع ٱلأمر:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ١ ٱلعلق.

وأضرب مثلا أخر على فقه ٱلكلمة من أبجديتها مع ٱلكلمة ٱلفعل فى طُوريها «يقرأ قرأ». وهو فعل يُخرج ويفصح ٱلفعل فى «كان».

ما ينجم عن جريان ٱلفعل يقرأ قرأ هو «قرءٌ» فىَ ءايةٍ يفصح عنه بلاغُ ٱلعلم ٱلناظر فيها. وفيه تعريبُ وبيانُ وٱستقرارُ ٱلنبإ عنها. ولذٰلك بدأ ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين بٱلفعل «ٱقرأ» ٱلذى يبدأ بثور موصول «ٱ» مبيِّنًا مَّوقع ٱلإثارة فى ٱلبدء وعبر منفذٍ ضيّقٍ «ق» هو سَمُّ ٱلخِياط. لينتهى بثور يعلوه واو ٱلمثانى «أ» وفوقه قوة سكون ظاهر.

هٰذا ٱلأمر «ٱقرأ» يبدأ بوصل قوّة ٱلإثارة ٱلتى تستمر حتى سكون ٱلثور ٱلموتد بواو ٱلمثانى.

أما جريان ٱلفعل فتبينه كلمة «يَقرَأُ» وفيها ٱليد ٱلمفتوحة وقوة فتح للرأس وحُلَم فوق ٱلوتد ٱلمثانى ٱلموتّد لثورة ٱلرأس. وهذا يبيّن مسك ٱليد للقفّة لتأييد ثورة ٱلرأس ٱلمفتوح فيما يخرجه من ٱلقفّة من صور. وفى مواصلة جريان ٱلفعل إلى ٱلنهاية تزول ٱليد وٱلصور. ويظهر ما حدث فى كلمة «قَرَأَ» وفيها قوّة فتح تعلو رموزه ٱلثلاثة. وهٰذا يدل على ٱلفتح وٱلبيان وتحقق ٱلطلب «قُرءٌ». وفيه خروج وفصح وٱستقرار ٱلنبإ.

تتكون كلمة «قرء» من ٱلملوت «ق» ٱلذى يدل على «سَمِّ ٱلخِيَاطِ» وعلى قفّة داخلها صور. و«ر» ٱلذى يدل على «رأس» ساكن. وهٰذا ٱلتكوين «قُرء» يدل على رأس يتصل بقفّة من منفذ ضيق ونظره موتد بوتد مثانى «ء».

و«ٱلقُرءَان» هو قُرء مُثار وتد ٱلرأس ٱلمثانى بثور ساكن من بعد خروج وفصح ما فى ٱلقفة من صور وتسطيرها مقلمة فى حوت يحويها «ن». وهو عمل يشبه إخراج منهاج مثبتٍ فى كومبيوتر إلى سطح مكتبه أوَ إلى طابعة تخط ٱلمنهاج على قرطاس. وهٰذا ما يدل عليه ٱلنون بعد ٱلثور. وفى ٱلنون سطور مقلمة ومعرفة ومميزة ومفصلة. وهو ٱلذى يليه «ٱلقلم وما يسطرون» وبه تخرج وتفصح صور ٱلحق مقلمة ومسطورة من ٱلبداية ٱلشهرية إلى ٱلكون ٱلمشاهد بلاغًا عربيًّا مُّبينًا.

لقد بيّن ٱلبلاغ أن ٱلنبأ سيستقرّ بين أيدى ٱلناظرين فى كيف بدأ ٱلخلق:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

وٱستقرار ٱلنبإ يأتى بعد جريان ٱلفعل «يقرأُ». وبوصوله إلى طور «قَرَأَ» تخرج وتفصح صور ٱلحقّ ويُعرب ويُبيّنُ ما كان فى ٱلأية مبهما معجما.

هٰذا ٱلفعل لا يتوقف عن ٱلجريان طالما «ٱلرأس» يوجه ٱلسؤال ناظرًا باحثًا عبر سَمُوم ٱلحَقِّ «قففه». وكلماَ أكمل قرءًا وثبَّته فى فؤاده (دماغ فى ٱللغة) صار قادرًا علىَ إخراجه من فؤاده قولا مَّنطوقًا أو خطًّا فى قرطاسٍ. وكلّ مِّن ٱلفعلين هو قرءٌ.

هٰذا «ٱلرأس» هو رأس ٱلإنسان ٱلعالم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وكل ما يقرأه هو عند ٱلخالق «قرءان» لا عَجَم ولا غيب فيه. وقروء ٱلإنسان تبيّن صدق قرءان ٱلخالق ٱلذى نزّله على قلب ٱلرَّسول محمد. كما تدل علىَ أن ٱلخالق عليمٌ خبيرٌ شهيدٌ سميعٌ بصيرٌ حكيمٌ مهيمنٌ واسعٌ محيطٌ قادرٌ قديرٌ مقتدرٌ قوىٌّ عزيزٌ رحمٰنٌ رحيمٌ مالكٌ مِلِكٌ قدوسٌ سلامٌ مؤمنٌ إلىَ أخر أسمآئه ٱلحسنى. وكل شىء عنده «قرءان» وهو لا «يقرأُ» ولا يوصل إلى «قَرَأَ». فٱلذى «يقرأُ» ويوصل إلى «قَرَأَ» ويستخرج «قُرءًا» ويثبّته فى فؤاده هو ٱلعالم ٱلناظر ٱلَّذى علَّمه ٱللَّه ٱلأسمآء كُلَّها. وعندما وصل إلى طور ٱلحمد طلب منه أن يقرأ بٱسم ربه ٱلَّذى خلق. وبيَّن له أن سبيل ذٰلك هو فى ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. حتّى يتبيَّن له فعل ٱلخالق ٱلذى لا تفاوت فيه:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ ٣ ٱلملك.

«ٱلسبع ٱلمثانى» هى سبيل ٱلّلسان ٱلسامى قبل ٱلعربى إلى «ٱلقرءان ٱلعظيم». لأنها تثنى قدرة ٱلإدراك وٱلفهم وٱلفقه.

أتت كلمة «ٱلمثانى» مرَّة أخرى فى ٱلبلاغ مع «أحسن ٱلحديث»:

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ ٢٣ ٱلزمر.

«أحسن ٱلحديث» هو «ٱلقرءان ٱلعظيم». وٱلقول عن أحسن ٱلحديث أنّه «كتٰبًا متشٰبهًا» يدل على ٱلفهم ٱلطُّورى للكتاب ٱلذى تولِّده ٱلأطوار فى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وٱلفهم ٱلطورى يأتى من زيادة أعمال ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلحقِّ وٱلتجديد فى وسآئلها ٱلتى توسّع ما يتشابه فهمه منه وتُعربُ ما عَجَمَ وبَهَمَ منه.

ومثلى على ذٰلك فى علم ٱلكيل ما جآء به «إقليدس» وما وصل إليه علم ٱلكيل ٱليوم. فهو يمثل سلمًا صاعدًا يرتقى عليه ٱلناظرون فى علم ٱلكيل. وعند كل درجة فى ٱلسلم طُور من أطوار هٰذا ٱلعلم.

ويقابل هٰذا ٱلمثل فى علم ٱلكيل مثل عن مفهوم ٱلسلف عن «أحسن ٱلحديث». فهو يقع فى ٱلدرجة ٱلأولى على ٱلسلم ٱلصاعد. ويقابل ما وجده «إقليدس» فى علم ٱلكيل. وأنَّ ٱلتوقف عند فهم ٱلسلف لأحسن ٱلحديث يشبه ٱلتوقف عند «إقليدس» فى علم ٱلكيل. وهٰذا يلغى مفهوم «أحسن ٱلحديث».

كلمة «أحسن» من ٱلأصل «حَسَنَ». ودليله فى ٱلأفعال (دَأَبَ وجَدَدَ وتَقَنَ وزَيَنَ). فأحسن ٱلحديث هو لزوم ٱلجدِّ فيه من دون فتورٍ. وٱلإتيان بجديد بإتقان. وجمع أقسامه وسوره. وفى ٱجتماعها تكشف عن زينة ٱلحقِّ وتجعله «عربيًّا مبينًا».

فٱلتوقف عند طور مِّن أطوار ٱلنظر يوقف ويلغى مفهوم «أحسن ٱلحديث». كما يلغى مفهوم «كتٰبًا مُّتشٰبهًا».

وأمثّل لبيان ٱلفرق بين ٱلتطور وٱلاصطفآء فى سلم ودرجاته. فٱلتطور تمثله درجات ٱلسلم ٱلصاعد. أما ٱلإصطفآء فتمثله حركة ٱلذى يصعد على درجاته. وٱلذى يصعد ويتابع ٱلصعود على درجات ٱلسلم هو ٱلمصطفىَ. أما ٱلذى يتوقف عن ٱلصعود لأى سببٍ كان فهو ٱلسَّلف ٱلميت. وٱلمصطفى حىّ يرتقى درجات ٱلسلم. وٱلسَّلف ميِّت ولو كان يأكل ويشرب.

وفى ٱلمثل بيان لمسألة أخرى تفرق بين بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق وبين ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. حيث فى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر تعريب عن ٱلحقّ يوافق درجة ٱلسلم ٱلتى وصل إليها ٱلعلم ٱلناظر فى سلم ٱلتطور. أما ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين فهو بلاغ عن جميع ٱلحقّ ٱلذى ينظر فيه ٱلصاعد على درجات ٱلسلم. وفى ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين بلاغ عن جميع ٱلأطوار ٱلمتدرجة على سلم ٱلحقّ. وهو ٱلصورة ٱلكاملة لجميع ٱلحقّ. وفى ٱلصورة ألوان متعددة. فٱلناظر إلى ٱلصورة يرى من ألوانها ما يستطيعه بصره ونظره. وكلما زاد بصره ونظره زادت رؤيته فى ٱلألوان. وهٰذا ما نجده فى وسآئط ٱلبصر ٱلعظيمة ٱلتى يصنعها ٱلإنسان ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وٱلذى لا يملك تلك ٱلوسآئط أعمى لا يرى كثيرًا مِّن ألوان ٱلحقّ. وبزيادة أعمال ٱلبحث ٱلعلمى تزيد ٱلمفاهيم ٱلمشابهة للحقّ. وهٰذا ما تدل عليه كلمة «مثانى multivalent».

فما دام ٱلإنسان ينظر ويقرأ لا يتوقف عقل بلاغ ٱلعلم ٱلناظر مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. وبتتطابق مفاهيم بلاغ ٱلعلم ٱلناظر مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين عند كل طور علمى نعلم بٱلحركة فى مفاهيم ٱلكتاب ويظهره لنآ مفهوم قوله «أحسن ٱلحديث كتٰبًا مُّتشٰبهًا مَّثانِىَ». فهو كتاب تكبر فيه ٱلمفاهيم وتزيد وتتضاعف وتتجدد وتتزيَّن مع زيادة بلاغات ٱلعلم ٱلناظر.

هٰذا ٱلأمر يبيّن موقفنا من مفاهيم ٱلسلف عن «ٱلقرءان ٱلعظيم». فهم «لهم ما كسبوا» ومفهومهم عنه لا يخرج عن مفهوم ٱلتشابه ويمثل ٱلطُّور ٱلأول فيه ٱلذى سلف. وكل سلفىّ ميِّت. وٱلتوقف عنده يُميت. ويدلنا ٱلبلاغ ٱلعربىّ ٱلمبين على ذٰلك ويطلب إلينا عدم ٱلتوقف عنده:

﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ ٨١ هود و٦٥ ٱلحجر.

«لفت» فى دليله ٱلأفعال (لوى وميل وعوج وصرف وعطف وحمق). وهٰذا ٱلدليل يبطل ٱلأمر ٱلتوجيهى:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

و«لفت» يصرف ويعطف ويعوج ويميل ويلوى ٱلنظر ويجعل صاحبه أحمقًا. وفى ٱلبلاغ ٱلعربىّ ٱلمبين نهى عن لفت ٱلنظر إلى خلفٍ حيث ٱلسَّلف ٱلميِّتُ.

لقد بيّن ٱللّه أنّ عدَّة تسوية ٱلحقِّ «ٱثنا عشر شهرًا». وأنّ من ٱلملٰئكة تسعة عشر «رُسُلاً ذات أجنحة مثنى وثلٰث وربٰع». تفعل على عدَّة ٱلتسوية تزيد فيها وتتكاثر بٱلكلمات ٱلحقِّ وبٱلصورة عن كلمات ٱلحقِّ كلاما بلاغًا عربيًّا مُّبينًا «كتٰبًا مُّتشٰبهًا مَّثانِىَ». فلا ٱلطبرى ولا ٱبن كثير ولا ٱبن عباس ولا ٱلجلالين ولا كهنة ٱليوم ولا علمآء ٱلنظر فى كل ٱلأوقات يعلمون جميع ٱلحقِّ. ومنهم سلف مَّيِّت ومن يلتفت إليه يموت خلقه ويضيع منه أمر ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ويحلُّ عنده ٱلحَمَقُ فى كل أمرٍ.

وأرىَ أن بيوتًا (كٱلأزهر وٱلنجف وقُم وٱلفاتيكان ومؤسسات ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلمى) عليهآ أن تتبادل ٱلمفاهيم ٱلناشئة عن ٱلنظر فى ٱلحقِّ وٱلنظر فى ٱلبلاغ عن جميع ٱلحقِّ.

كما عليهآ أن تخرج ببلاغ مِشتركٍ تبيّن فيه للناس ٱلنفع ٱلحاصل وٱلشرّ ٱلحاصل من ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق عند كل طور مِّن أطواره. وإن ٱلّذين «يتفقهون فى ٱلدين» تقع عليهم مسئولية ٱلتحذير من ٱلفساد فى ٱلأرض وفى ٱلحرث وفى ٱلنسل ٱلذى يتولد عن ٱلإسراف فى ٱستهلاك كل شىءٍ. وهؤلاء يجب أن يضموا فى صفوفهم «حماة ٱلبيئة» بكل ألوانهم. فٱلأرض أرض ٱللّه وٱلفساد فيها لا تمنع ٱنتشاره ٱلحدود ٱلتى تقسم ٱلأرض ظنًّا وحمقًا.

وأضرب مثلاً عن تبادل ٱلمفاهيم وتصديقها بين بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق وٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. وهو مآ أربٰه فى ٱلبلاغ ٱلتالى:

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧ ٱلمائدة.

وفيه أنَّ ٱللَّه عليم بما فى ٱلسَّمٰوٰت وٱلأرض وبكلِّ شىءٍ. ويريدناَ أن نعلم ذٰلك من خلال جعله «ٱلكعبةَ ٱلبيتَ ٱلحرامَ قيامًا لِّلنَّاسِ وٱلشَّهرَ ٱلحرامَ وٱلهَدىَ وٱلقلـٰئدَ».

فما هى هٰذه ٱلأشيآء ٱلتى تجعلنا نعلم أنَّ ٱللَّه يعلم بكلِّ شىءٍ؟

أمامى فهم ٱلسلف ٱلذى يشبه فهم «إقليدس» فى ٱلكيل. فإذآ أخذت بما قاله ٱلسلف يخرج ٱللَّه وأخرج معه من مفهوم «يعلم».

فما هو ٱلسبيل إلى ٱلعلم أنَّ ٱللَّهَ يعلم حقًّا؟

ما تقدم من فهم ٱلقول «كتـٰبًا مُّتشـٰبهًا مَّثانىَ» هو ٱلسبيل. وٱلعون فيه هو بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وذٰلك فى عقل له مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. ولن أنسىَ أن ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين هو بلاغ عن جميع ٱلحقِّ. أمَّا بلاغُ ٱلعلم ٱلناظر فهو بلاغ طُورىّ يعتمد على ٱلسير ٱلمتواصل فى ٱلصعود على درجات ٱلسّلم ٱلحقِّ.

فى ٱلبلاغ أربعة أشيآء جعلها ٱللَّهُ أساسًا لَّنا لنعلم أنَّه يعلم بكلِّ شىءٍ. وهٰذه ٱلأشيآء هى «ٱلكعبة وٱلشهر ٱلحرام وٱلهَدىَ وٱلقلـٰئد». وفيما يلى عرض لفهمى ٱلمتشابه يظهر أنَّ ٱللّه يعلم.

كلمة «ٱلكعبة» من ٱلأصل «كَعَبَ». وهٰذا ٱلفعل يجعل للشىء ستة وجوه رباعية متماثلة ٱلأركان (زاوية فى ٱللغة ٱلفصحى). وٱلكعبة هيئتها ذات وجوه ستة رباعية متماثلة ٱلأركان وهى هيئة مبصرة بيّنة. ولون ٱلكعبة ٱلأسود يدلنا على ظلام يستر ورآءه حقًّا يلزمه نور يأتى به ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ورأيت فى بلاغٍ للعلم ٱلناظر هٰذا ٱلنور ٱلذى يبيّن لى هٰذا ٱلحقّ ٱلمستور بظلام نقص ٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق:

[إن لجزيء الماَء H_2O المفرد هندسة رباعي السطوح. بيد أنَّ البنية التفصيلية للمآء السائل يمكن أن تكون عشوائية وغير منتظمة خلافاً لبنية الجليد

ٱلّذى يتألف عادة من بلورات شبكية lattice لجزيئات المآء، تنتظم فى هندسة مثالية رباعية السطوح]. [1]

فأين ٱلنور ٱلذى قدمه لى بلاغ ٱلعلم هٰذا؟

لقد دفعنى هٰذا ٱلبلاغ إلى ٱلنظر فىَ أسمآء ٱلشهور ٱلقمرية. وبيّن لى نظرى فيهآ أنهآ أسمآء لشهور عدَّة ٱلحياة. فعدَّة أىّ طور خلقى هى «ٱثنا عشر شهرًا» وقد سبق قولى ذٰلك.

وأول شهور ٱلحياة ٱلقمرية هو «ٱلمحرّم» وهو ثانى ٱلأشيآء ٱلتى جعلها ٱللَّه فى ٱلبلاغ ٩٧ ٱلمآئدة أساسًا لِّعلمنآ أنه يعلم. وتبيّن لىَ أن هٰذا ٱلشهر هوَ أول حجر بنآء فى جميع أطوار ٱلحياة. وهو سورة ٱلفاتحة فى هٰذا ٱلطُّور ٱلخلقى.

فٱلمحرَّم من ٱلأصل «حَرَمَ» ودليله فى ٱلفعلين (منع وحمى). وهو ٱلشهر مِم «م» ٱلذى يدل علىَ أساس ٱلمآء ٱلذى تقابله كلمة hydro فى ٱلِّسان ٱلانكليزى. وأنَّ ٱلمنع وٱلحماية عن نظر ٱلعين تأتى به هيئته ٱلدخانية gas.

وثانى شهور عدّة ٱلحياة هو «صَفَر». دليله فى ٱلفعلين (خلا وخوى). وهو يدل فى علم ٱلمقدار (رياضيات) على «صفرٍ» وهو قوة فراغ وسلبٍ وسحبٍ. وهٰذا ما بيّنه بلاغ ٱلعلم ٱلتالى عن ٱلشهر ءالِف «ا» = ox ٱلأوكسجين:

[إنَّ للأكسجين ثمانية إلكترونات سلبية الشحنة، تدور حول نواته ذات الشحنة الموجبة: اثنين فى مدار shell داخلي، وستة فى مدار خارجي. والسعة القصوى للمدار الداخلي إلكترونان، فهي إذاً مليئة بيد أنَّ المدار الخارجي يتسع لما يصل إلى ثمانية إلكترونات. وللهيدروجين إلكترون واحد، فعندما يتضام الأكسجين إلى ذرتي هيدروجين، فإنه يجتذب إلكترونيهما فى محاولة لملء مداره الخارجي]. [2]

---

(١) «محاكات المآء وجزيئات الحياة» مجلة العلوم الأمريكية/ المجلد١٥ العدد١ /١٩٩٩.

(٢) ٱلمرجع ٱلسابق.

«صفر» هو سمة ٱلمدار ٱلخارجى للشهر ءَالِف ox. وبها يسحب إليه قمرين تابعين لشهرين محرَّمين (إلكترونين لذرتى هيدروجين). وبذٰلك ينشأ ٱلشهر ٱلثالث «ربيع أول». وٱسم «ربيع أول» يدل على هيئة أولى للمآء رباعية ٱلسطوح وهى غير متماثلة ٱلأركان (زوايا فى ٱللغة). وهى هيئة جزء ٱلمآء ٱلذى يدل عليه ٱلرمز «H_2g_2O الٓمٓ» وٱلذىَ أتى عنه فى ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ ٱلبقرة.

إن أول ءاية فى سورة «ٱلبقرة» هى «الٓمٓ H_2g_2O = أو HHggO» وهو واحد ٱلمآء ٱلذى وصل ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق إلى ٱلعلم فيه مفصلاً بما فى ذٰلك هيئته ٱلرباعية غير ٱلمتماثلة ٱلأركان.

وٱلأية ٱلثانية تشير إلىَ أنَّ الأية «الٓمٓ» هى كتاب لا ريب فيه. وبيَّن ٱلبلاغ ٱلعربى أنه أساس كلِّ حيٍّ:

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ ٣٠ ٱلأنبيآء.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ ٤٥ ٱلنور.

كما بيّن ٱلعلم ٱلناظر فى كل بلاغاته عن ٱلحياة أن ٱلمآء وٱلتراب هما منطلق ٱلحياة بكل ألوانها. وأن هٰذا ٱلأمر لا ريب فيه عندهم. كمآ أن «فقه ٱلدين» يجعلهم يهتدون إلىَ أن ٱلفساد فى ٱلمآء يفسد فى ٱلحياة. وهٰذا ٱلأمر يجعلهم يتقون. فيشرعون فى تحذير ٱلناس من ٱلفساد فى مآء ٱلأرض ٱلذى يأتى به فعل ٱلمسرفين.

وٱلشهر ٱلثالث (ربيع ٱلأول = الٓمٓ) عندما يكثر ويجتمع مع بعضه يتزين ويظهر فى نشأة جديدة هى ٱلشهر ٱلرابع «ربيع ٱلأخر». وهو ٱلمآء ٱلشراب water. وهيئة هٰذا ٱلمآء رباعية ٱلسطوح غير متماثلة ٱلأركان مثل هيئة ٱلجزء.

وبتبريد هٰذا ٱلمآء تتجمد بعض أقسامه فينشأ ٱلشهر ٱلخامس «جمادى ٱلأولى». وله هو ٱلأخر هيئة رباعية ٱلسطوح غير متساوية ٱلأركان.

وبكمال تبريده تتجمد كل أقسامه فينشأ ٱلشهر ٱلسادس «جمادى ٱلأخرة».

وهٰذا ٱلمآء له هيئة رباعية ٱلسطوح متماثلة ٱلأركان وهى هيئة «ٱلكعبة» ٱلتى جعلها ٱللَّه «ٱلبيت ٱلحرامَ قيامًا للنَّاس». وهى هيئة ٱلمآء فى طُور «جمادى ٱلأخرة».

هٰذه ٱلهيئة فيها حِجُّ ٱللّه على ٱلناس أنه يعلم هيئته ٱلتى كشف عنها نور ٱلعلم ٱلناظر. وكان ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين قد حمل إلينا هٰذا ٱلحِجّ قبل وصولنآ إلى ٱلنور ٱلذىَ أظهر هيئة ٱلمآء «جمادى ٱلأخرة». وقد بين ٱلبلاغ ذٰلك للناس:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ ٩٧ ءال عمران.

فٱلنظر وٱلبحث فى هيئة ٱلمآء يكشف ٱلحقّ ٱلذى يستره ٱلظلام. وهو ما يرمز إليه لون ٱلكعبة ٱلأسود. وهيئة ٱلكعبة حجّ ٱللّه على ٱلناس أنّه «يعلم ما فى ٱلسّموات وما فى ٱلأرض وأنّ ٱللّه بكلّ شىء عليم».

وبكمال ٱلنظر يكمل ٱلعلم بأطوار ٱلمآء وشهوره ٱلتى تكمل بٱلشهر «ذى ٱلحجة». وهو ٱلشهر ٱلثانى عشر طور ٱلمآء فى هيئة ٱلبشر ٱلإنسان. وفيه ٱلمأرب من عدَّة شهور ٱلحياة. وبه يكون ٱلدليل وٱلبرهان على نشأة ٱلحياة ووصولهآ إلى موقف ٱلحِجّ بقوة ٱلفكر وٱلنظر وٱلعلم ٱلذى يمثله ٱلعالم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وهو ذاته ٱلشهر ٱلثانى عشر «ذى ٱلحجة». وهو شهر محرّم قتله. وتحريمه من بدء ٱلعدّة بٱلشهر ٱلأول «ٱلمحرّم».

بدأ ٱلبلاغ ٱلعربى ٩٧ ٱلمآئدة من ٱلكبير ٱلهيئة «ٱلكعبة» إلى «ٱلشهر ٱلحرام» إلى «ٱلهَدىَ» إلى «ٱلقلٰئد». وٱلبحث ٱلعلمىّ يبدأ به ٱلإنسان ٱلناظر من ٱلأشيآء ٱلكبيرة ٱلمحسوسة يتعرف عليها يعلمها ويميزها ويفصّل فيها. ثم يقلمها ويسطّرها. ثم يتابع ٱلنظر وٱلبحث فى ٱلأشيآء ٱلأصغر فٱلأصغر حتى يصل إلى ٱلبدء فلا يستطيع أن يفعل شيئًا مِّن بعده. فٱلأشيآء ٱلكبيرة ٱلمشاهدة مثل ٱلذبابة وٱلعصفور وٱلشجرة وٱلنهر وٱلجبل وٱلقمر وٱلشمس تتكون من أشيآء كثيرة تغيب عن بصر ٱلعين. وكلما كبر ٱلشىء نقص ٱلحس بمكوناته ٱلغيبية. وٱلشىء ٱلمشاهد هوَ أشيآء كثيرة لَّم تكن مُّشاهدة قبل ٱجتماعها فيه. وٱلكون ٱلمشاهد هو كون ٱلأشيآء ٱلكبيرة ٱلتى تكونت من أشيآء صغيرة ناعمة لا تنقسم. ونعومتها هى

سبب غيابها فى ٱلظلام ٱلأسود. وهٰذه ٱلأشيآء ٱلكبيرة ستعود إلىَ أصلها ٱلناعم وتغرق فى ٱلظلام ثم يبدأ ٱلكون نشأة أخرى:

﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ ١٠٤ ٱلأنبيآء.

لقد تعرّف ٱلناظرون وٱلباحثون على كثير من هٰذه ٱلأشيآء ٱلغآئبة. ومنها هيئة جزء ٱلمآء ٱلجامد (H_2g_2O الـمّـ). كما تعرفوا على هيئة ٱلسور ٱلمكونة له (ox ا) و(مـ hydro) كل مِّنهما بمفرده. وتعرفوا على مكونات ٱلسورة ٱلواحدة من ٱلأيات (إلكترون بروتون نيوترون). وعلى ٱلسلك ٱلجامع للأيات (string = ٱلبايونات وٱلكايونات وٱلكواركات). وهٰذه ٱلأيات تجتمع مع بعضها فى هيئة حبات ٱلقلادة ٱلتى يجمعها سلك جامع. وقد بين ٱلبلاغ ٱسم ٱلجمع لها «ٱلقَلَـٰئِدَ». وهىَ أوّل ٱجتماع لتكوينات ثلاثية ٱلشهور. وقد كشف عنها ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وٱختار لها ٱلاسم ٱلمطابق لهيئتها فى ٱلحقّ وفى ٱلبلاغ.

بعد هٰذا ٱلعرض فى بلاغ ٱلعلم ٱلناظر فى كيف بدأت ٱلحياة ومقابلته مع ٱلبلاغ هل وجدنا فيه نورًا يكشف ٱلظلام عن ٱلبيت ٱلذى جعله ٱللّه حِجًّا لِّلناس وهو «ٱلكعبة» ٱلسوداء؟

وهل علمنا يقينًا أن ﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

وإذا تابعنا ٱلنظر فى كلمة «تعلمُوٓا» ٩٧ ٱلمآئدة نجد ٱلوتد «و» قد علاه ٱلمدّ «وٓ» وبعده ثور ساكن سكونا ظاهرا ونطقه ممنوع.[١] وهٰذا ٱلمنع يدلُّ على وقف إثارة ٱلثور. فٱلمدّ فوق ٱلرَّسُول «وٓ» يدل على ٱلمدّ فى قوة وشدة ٱلتوتيد للعلم. وهٰذا يدل على ٱليقين ٱلذى يأتى به ٱلعلم ٱلناظر ويبرهن عليه حسيًّا ويقطع ٱلرّيب فيه. فتتوقف ثورته بعد ٱلوصول إلى ٱلنهاية. حيث لا يخرج عن ٱلبحث أىُّ تغييرٍ فى بيانه.

(١) ٱنظر علامات ٱلوقف ومصلحات ٱلضبط لتلاوة ٱلقرءان وقد غفلت عنها ٱللغة ٱلفصحى حيث ٱلسكون علامته ٱلتى تشبه ٱلملة (حـ) وٱلممنوع نطقه علامتة (ْ).

فلماذا «جعل ٱللَّهُ ٱلكعبة ٱلبيتَ ٱلحرامَ»؟

ما يفعله ٱلإسراف من رفع حرارة قميص ٱلأرض وما يسببه من تسييل للمآء ٱلجامد فى يمين ٱلأرض وشمالها (ٱلقطبين) وأثر ذٰلك على ٱلحياة يبيّن دليل «ٱلبيت ٱلحرام». وفيه طلب لّنا لنحمى ونمنع ٱلاعتدآء على هٰذا ٱلبيت.

كما يبيّن لنآ أنَّ ٱلمآء ٱلجامد «ٱلكعبة» هو ٱلركن ٱلشديد للحياة ٱلذى علينآ أن نتوجه جميعنا لحمايته وإلا وقعت ٱلطَّامَّةُ ٱلكبرى. وقد سبقنا فى ٱلحياة على ٱلأرض من أفسدوا فيها وكانت عاقبتهم شديدة. وقد بيّن لنا ٱلبلاغ ٱلعربى مثل ذٰلك:

﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ ٨٦ ٱلأعراف.

لقد أتى فى ٱلبلاغ ٩٧ ٱلمآئدة أمر لم يكشف ٱلناظرون وٱلباحثون عنه إلى ٱليوم. وهو «ٱلهَدىَ» من ٱلأصل (هَدَى). ودليله فى ٱلأفعال (دلَّ ورشد ونهج ووزع) ويقابل ٱلكلمة فى ٱلّسان ٱلانكليزى ٱلكلمات (/method/ automat program) وهى تدلّ على معلومات مقدارية يلقم بها ٱلشىء ويبدأ فعلها وفقًا لِّتسلسل مُّحدَّد فيها. وهى لا تفعل من دون تحريض مِّنَ ٱلخارج يجعلها تفعل فعلهآ إلى نهاية «ٱلهَدىَ».

لقد بدأ ٱلبلاغ بٱلكعبة (جزء ٱلماء ٱلجامد) وهى بنآء لَّه ستة وجوه رباعية مُّتماثلة ٱلأركان أمر ٱللَّه ٱلرسول وٱلنبى إبرٰهيم لإقامته بهٰذه ٱلهيئة وٱللون. وجعل بنآءه «قيامًا للناس». وهو حِجٌّ قآئمٌ جآء ٱلعلم ٱلناظر لتصديقه.

ثم تبع ٱلشهر ٱلحرام وهو ٱلهدروجين ٱلذى لا تبصره ٱلعين.

ثم ٱلهداية program إلى فعلٍ مُّحدَّدٍ لا خطأ فيه.

ثم ٱلسلك ٱلذى تصطف فيه ٱلأيات string ٱلتى تتكون منها نوى ٱلسورة «ٱلقلٰئد». وإنَّ ٱلعلم فى ذٰلك هو حِجُّ ٱللَّه علينا فى بيته ٱلمحرّم أنّه ﴿يعلم ما فِي ٱلسَّماوات وما فِي ٱلأرض وإنَّ ٱللَّهَ بكُلِّ شيءٍ عليم﴾.

لقد ضاعفت ٱلسبع ٱلمثانى قدرة ٱلإنسان على ٱلإدراك وٱلفهم وٱلفقه. ورفعت هٰذه ٱلقدرة إلى ٱلعربى ٱلمبين. وبه تفتح سبيل ٱلنظر وٱلبيان أمام ٱلذى يسير وينظر فى كيف بدأ ٱلخلق. ويزول ٱلإعجام وٱلإبهام فى جميع أيات ٱلخلق.

وقد أتى فى ٱلبلاغ ٱلعربى أنّه بيانٌ لِّلنَّاس:

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

وبيَّن أن ٱلإنسان هو حامل ٱلبيان وٱلمأرب منه:

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤)﴾ ٱلرحمٰن.

* *

وأبيّن ٱلرأى فى قول ٱلّذين يظنون أن ٱلكلام وضع ٱتفق عليه ٱلناس. وأقول أن ٱلَّذى لا يعلم ٱلشىء لا يستطيع أن يضع كلمة تدل عليه. فكلمة (عَلَمَ) بدليل شهورها ٱلتى تبيّن أن ٱلعين توجَّه إلى ٱلمآء للنظر فيها كونهآ أساس ٱلحياة. لا يمكن أن تأتى على هٰذه ٱلهيئة وٱلدليل من بشرٍ لا يعلم ٱلرابطة بين ٱلحياة وٱلمآء. فٱلكلمة أتت من عليم هو ٱللَّه. وقد حمل ٱلخبرة بهآ إلى ٱلبشر رُسُلٌ موزعون (مهديون بمنهاج مُّحدَّدٍ) لا يعصون ما لُقِّم فيهم ويفعلون ما يؤمرون.

لقد بدأ ٱلبشر وهو ٱلشهر ٱلحادى عشر من شهور ٱلحياة (ذى ٱلقعدة) من ٱلأصل (قعد). ودليله فى ٱلأفعال (أخر وجلس ومنع). فٱلبشر متأخر عن ٱلإنسان وجالس وممنوع عن ٱلفكر وٱلعلم. وعندما نفخ ٱلروح فيه وتعلَّم ٱلأَسمآء كُلَّها صار ءادمًا إنسانًا. وصوته قبل ٱلعلم بٱلأسمآء لا يختلف عن أصوات ألوان أخرى من ٱلدَّوآبِّ. وهو لا يعلم بها سوآء عند نطقهآ أم بعده. وهىَ أصوات مُوزَعَة عند كلِّ أفراد ٱللون. وصوت ٱلحمار فى كل ٱلأرض واحد. ولم تتفق ٱلحمير على وضع أصواتها.

أمَّآ أصوات ٱلكلام ٱلقول فهىَ أصوات مميّزة مقلَّمة ٱكتسب ٱلبشر ٱلخبرة بها بعد نفخ ٱلروح فيه وبعد زجره وجمعه فى حظيرة لتوجيه سمعه وبصره إلى

صوت صادر عن معلِّم (مَلَك مُرسَل يشبه روبوتًا) وإلى شىء مبصرٍ بٱلعين يدلُّ عليه ٱلمعلِّمُ. وبتكرار ذٰلك تثبّت ٱلعلاقة بين ٱلصوت وٱلشىء ٱلمحسوس. وكلُّ صوتٍ يقابله شىء تبصره ٱلعين وتسمعه ٱلأذن ويدلُّ عليه.

وهٰذا ما عليه ٱلمِلُّوت (ءَالِفبيت) فى ٱلِّسان ٱلسامى قبل ٱلعربى. وهٰذا ليس وضعًا وٱتفاقًا بين ٱلمتعلمين. وتأثيرهم فى ذٰلك يأتى بعد أن يكسبوا ٱلخبرة بفعل ٱلروح. وإذا فقدوا دليل مآ أتى من أصواتٍ فإن ما يصنعوه يأتى من ضياع. وهٰذا ما فعلته ٱللغة ٱلفصحى ٱلّتى ضيّعت دليل ٱلمِلُّوت (ءَالِفبيت) فخربت فى ٱلروح.

وأدعو ٱلإنسان (ذى ٱلحجة) لأن يترك ٱللغو ويتبع سبيل ربِّه. ويسير ينظر فى كيف بدأ ٱلخلق ويعقل ما قرأه بنظره مع ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. فيرشده إلى ٱلحقِّ ولا يفسد فى ٱلحرث وٱلنسل.

لقد نشأ ٱلروح بٱلنفخ فى ٱلبشر حتى ملك ٱلعرش وخبر فى دليل ٱلملوت ٱلشامى ثمّ ٱلسّامىّ ٱلذى جآء فى كتاب موسى. وبعدهآ أتتـه ٱلِّسان ٱلعربى ٱلمبين بٱلسبع ٱلمثانى وٱلقرءان ٱلعظيم. فتوسعت ٱلقدرة على ٱلخبرة وعظمت. وبه ينشأ فى رأس ٱلإنسان ٱلحضُّ على ٱلسير وجهة ٱلقرار بقوة طور (ميكـٰـل) ٱلّذى يجعل ٱلروح خبيرا فى ٱلكيل (ٱلوزن وٱلمدّ وٱلمقدار وٱلإحصآء) فيما تبصره ٱلعين ثم فى ٱلغيب ٱلذى لا تبصره.

فى كلمة «روح» رأس «ر» ووتد «و» وحيط «ح». ٱلوتد بين ٱلرأس وٱلحيط. وفى ٱلرأس مقرّ ٱلخبرة ٱلّتى نشأت بفعل تكرار ٱلحدث ٱلتعليمى. وٱلحيط بنآء تراكمىّ موضون. وهٰذا ٱلبنآء مكانه فى جوف ٱلرأس. حيث تُودَعُ ٱلرموز وما تدلُّ عليه فىَ أوعية ٱلأفئدة (دماغ فى ٱللغة). وهٰذا ٱلربط بين ٱلرأس وٱلحيط ٱلذى يوتده ٱلرّسول «و» يبيّن لنا «ربط ٱلخبرة بعناصر ٱلنظرية ٱلفيزيآئية».[1]

---

(١) كتاب (ٱلكلمة) بحث (فيزيولوجيا كلمة ٱلبلاغ) ومقال (لغز ٱلحياة ٱلواعية) مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٥ العددان٢ و٣ / ١٩٩٩.

لقد رأيت أن ٱلعمل لفقه دليل ٱلشهور وٱلرُّسل ومعرفة دليل ٱلخط وٱلنطق لكلٍّ مِّنهما يفتح ٱلسبيل أمام فقه ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلمبين. وييسّر ٱلعقل بين بلاغ ٱلعلم ٱلناظر وبينه. ويوصل إلى قرار ٱلإيمان وٱليقين بتطهير ٱلنفس من تحريف ٱللغة ٱلفصحى. وسندى فى ذٰلك ٱلبلاغ ٱلعربى ٱلّذىَ أدعوّا إليه فى بحوثى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ ١١ ٱلرعد.

وما بأنفسنا لغو أدعوّا إلى تغيّره بٱلحقّ. ولنعمل بعد ذٰلك بٱلبلاغ:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ٥٥ ٱلقصص.

* *

فى ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين قوة تمنع نطق ٱلثور وٱليود وٱلوتد (ْ) وتأتى فوق ٱلملّة. كما ورد فيه قوة تدل على توقف ٱلنطق عند ٱلمِلَّة قبل متابعته إلى ٱلمِلّة ٱلّذى يليه.

وجآء أصحاب ٱللغة ٱلفصحى بعلامة منع ٱلنطق (ْ) ووضعوها مكان علامة توقف ٱلنطق وأضرب مثلاً للبيان:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ ٥٥ ٱلقصص.

علامة منع نطق ٱلمِلّة فوق ٱلثور فى ٱلكلمتين «سمعوا۟ وأعرضوا۟». وعلامة توقف ٱلنطق فوق ٱلعين فى «أعرضوا۟» وٱلنون فى «عنه» (إعداد خط ٱلكومبيوتر هو وفق أبجدية ٱللغة وأنَّ علامة توقف ٱلنطق لا يمكن وضعها فوق ٱلملة ٱنظر ٱلعلامة فى ٱلقرءان).

وخطى فى هٰذا ٱلكتاب وما سبقه يخضع كرها لِّلخطّ ٱلذى جآءت به ٱللّغة ويعتمده صانع ٱلكومبيوتر إلى ٱلأن. وقد صعّب علىّ ٱلبيان ٱلذىَ أريده لأن خطّ ٱللّغة لا يطابق خطّ ٱلقرءان. وٱلكتابة بخطها علىَ أنه عربىّ فعل تحريف خطير.

كماَ أن قولى هو ٱلأخر يخضع للكره. وسببه هو ٱلأخرُ ٱلذى سيتلوا كتابى بوسآئله ٱلّسانية ٱلتىَ أنشأته ٱللّغة عليها منذ طفولته. ٱلأمر ٱلذىَ أتعبنى فى تكوين

قولى ليقرب من وسآئله. وجعلنىَ أضرب له أمثلة فى بعض ٱلكلمات ٱلتى لغوت ٱللغة فى دليلها لعلّه يكمل ٱلعمل فى كشف جميع أعمال ٱللغو. ويتحوّل إلى ٱلّسان ٱلعربى ٱلمبين ولسانه ٱلفطرى ٱلأمىّ. كما فعل إنسان ٱلقارة ٱلأوروبية مع ٱللغة ٱلفصحى ٱللاتينية ٱلتىَ أكرهته على ٱتباعها قرونًا طويلة وأوصلته إلى فقر وتخلف شديدين. حتى قام عليها وحصرها فى مكان ضيّقٍ ومنعها من ٱلتدخل فىَ أمور عيشه وتطوره. وتحول عن لسانها ٱللاغىَ إلى لسانه ٱلفطرى. فعاد إليه توازنه ٱلمعرفى وٱلعلمى. وبدأ يقرأ بٱسم ربّه ٱلذى خلق وسار فى ٱلأرض ينظر كيف بدأ ٱلخلق من دون خوفٍ من عقاب كهنة ٱللغة ٱلفصحى ٱللاتينية.

هٰذا ٱلقول سيجعل جميع ٱلمحبين وٱلعاملين فى ٱللغة لا يرضون عنه. ويدفعنى ذلك لضرب ٱلمثل وأزيد فى بحث ٱلتحريف ٱلذى بدأ به هٰذا ٱلكتاب. وسأفرد للمثل فصلا لتسهل ٱلعودة إليه وأطلب من ٱلجميع ٱلمشاركة فيه.

عرض لبعض ٱلكلام ٱلمحرَّف

ٱلفعل «سوَّى» هو لبناء شيء يساوي خلقه ٱلمقدَّر. ويستعمله ٱلأميّون صوابًا فى ٱلنطق وٱلدليل من دون خطإ. أمَّا ٱللغة فقد ٱستبدلته بكلمة «نفَّذ». وٱلفعل «نَفَذَ» فى ٱلِّسان ٱلعربى يدل على ٱلإختراق لشىء من طرف إلىَ أخر وفى ٱلأميِّ «نَفَدَ».

ٱلفعل «قرأ» يدل علىَ إخراج وفصح لمخزون مثبَّت فى مكان حصين كٱلفؤاد. وخروجه وفصحه يكون نطقًا بٱلِّسان أو خطًّا بٱليد. وكل مِّنهما هو قرءٌ. كذٰلك هو تربّص ٱلمطلقة بنفسها حتى يخرج ويفصح طلبها للزواج ثلاث مرّات:

﴿ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ ٢٢٨ ٱلبقرة.

وفى ٱللغة كلمة «قراءة» فى موضع كلمة «تَلَوَ يتلوا» ٱلتى تدل على تتبع ٱلكلام فى ٱلسطر بٱلعين سوآء كان ذٰلك بصوت أم مِّن دون صوت. وهى لا تستعمل كلمة «تلو» إلا فى تلاوة ٱلقرءان. وبعملها هذا تحرف كلمة «قرء» بكلمة «قراءة». أمَّا ٱستعمالها لكلمة «ٱستقرآء» فأرى فيه قربًا من دليل ٱلكلمة. بل يمكن ٱلقول أنَّه صواب.

ٱلأفعال «نظر بصر رأى» تخلط ٱللغة دليل كل مِّنها فى ٱلأخر.

«نظر» من أفعال ٱلقلب (دماغ فى ٱللغة). وتقول ٱللغة عنه ومعه ٱلفعل «رأى» أنه من أفعال ٱلقلب فيما تسميه «قواعد ٱلنحو». أما ٱستعمالها له فيجرى علىَ أنه من أفعال ٱلعين. وتخلط دليله فى دليل «بصر» ودليل «رأى».

ٱلفعل «نظر» يجرى فى ٱلقلب على ٱلصورة. سوآء كانت منقولة نَّقلا مُّباشرًا أم كانت مُخرجة من أوعية ٱلفؤاد. وٱلقلب هو ٱلذى ينظر وفى نظره ٱلفكر وٱلتدبير وٱلصبر وٱلانتظار وٱلامهال وٱلتأجيل. ثم يأتى ٱلحكم. وفيه ٱلعلم وٱلوثق وٱلقضى. ويبين لنا ٱلبلاغ أن ٱلنظر وسيلة ٱلعلم بكيف بدأ ٱلخلق «فٱنظرواْ كيف بدأ ٱلخلق».

«رأى» هو ٱلأخر من أفعال ٱلقلب. وما يرىٰه ٱلقلب ٱسمه «رؤيا». ويحدث هٰذا ٱلفعل إذا كان ٱلإنسان نآئمًا وفى وقت يقظته عندما يكون مغلق ٱلحواس مع ٱلخارج. ولهٰذا ٱلفعل عدد من ٱلخطوط فى ٱلقرءان:

«رءا» إذا كان ٱلقلب ينظر ويرى ما تبصره ٱلعين مباشرة. ويدلنا خطُّ ٱلكلمة على ذٰلك. فٱلرأس «ر» يوتده وتد مثانى «ء» وهو يثير بصر ٱلعين بثور «ا» ساكن سكونا مخفيًّا فينقل صورة إلى داخل ٱلرأس وفيه ٱلقلب ٱلذى يتلقى ٱلصورة فينظر فيها.

«رأىٰ» و«رأىَ» ورد فى ٱلبلاغ ١٣ ءال عمران «يرونهم مثليهم رَأىَ ٱلعين». وكأن ٱلفعل «رأىٰ» من أفعال ٱلعين. أما فقه ٱلبلاغ فيبين مسألة ٱلخوف وتأثيرها على فعل ٱلقلب. فٱلقلب ٱلذى وقع ٱلخوف فيه يرىٰ وكأن ما يرىٰه هو ما تبصره ٱلعين. وصار رأىَ ٱلقلب يرتدُّ على ٱلعين فتعمى عن ٱلحقِّ أمامها فلا تبصر إلا ما يأتيها من ٱلقلب.

لكلّ من ٱلقلب وٱلفؤاد فعله فى حدوث ٱلفعل «رأى». فى ٱلفؤاد تُخزَّن ٱلمعلومات خطوطًا وصورًا. ومنه يجرى ٱلقرء لأىٍّ مِّنها. فتخرج على هيئة رؤياَ

إلى مرءاة ٱلقلب. وفيه يبدأ تقليبها وفكرها. وهو فعل يشبه أعمال ٱلتصحف فى صحف كتاب.

وٱلقلب فى ٱلِّسان ٱلعربى هو ٱلقسم ٱلذى يرى. وتظهر عليه ٱلأفكار وٱلصور ويجرى تقليبها فيه. وهو قسم من ٱلأفئدة يشبه مرءاة كومبيوتر screen وعليه تجرى كافة عمليات توريد ٱلمعلومات وتنزيلها وتثبيتها فى واحد من ٱلأفئدة كما يجرى فى كومبيوتر وألواحه ٱلقاسية hard disk. أمآ أصحاب ٱللغة فيحرفون إدراكنا لكلمة «قلب» إلى ذٰلك ٱلجزء ٱلذى ينضخ (يضخّ فى ٱللغة) ٱلدم فى ٱلشريان ويسترده من ٱلوريد.

كذٰلك هو ٱلأمر مع كلمة «فؤاد» ٱلذى تُثبَّتُ فيه ٱلمناهج. فأصحاب ٱللغة يحرفون إدراكنا له وللقلب معه إلى كلمة «دماغ» من أصل ٱلفعل «دَمَغَ». ولهم قولهم فيه:

(دمغ ٱلمعدن ونحوه: وسمه أو طبعه بطابع خاص(محدثة). ٱلدمغة: رسم تتقاضاه ٱلدولة أو أحد ٱلأشخاص ٱلعامة على ٱلمحررات (مج). دمغة ٱلمسكوكات: علامة تضعها ٱلإدارة ٱلحكومية ٱلمختصة للتيقن من وزن وعيار ٱلمعادن(مج)).[١]

ويستشهدون على قولهم بٱلبلاغ ٱلعربى «بل نقذف بٱلحقّ على ٱلباطل فيدمغه». ويقولون فيه «غلبه وعلاه ومحاه».

فأىّ من هٰذا ٱللغو يريد أصحاب ٱللغة أن ندرك ونبدل به ٱسم «فؤاد»؟

لآ أستطيع إحصآء ٱلكلمات ٱللاغية فى هٰذا ٱلكتاب. وأترك ٱلمسألة بعد إثارتى لها فى ما عرضت له للذين يريدون تطهير أنفسهم من ٱللغو ليفعلوا ذٰلك بأنفسهم.

---

(١) ٱلمعجم ٱلوسيط.

ومن ٱلأفعال ٱلتى تلغو ٱللغة فى دليله وأرى عرضه هنا هو ٱلفعل «قَدَرَ» وهو من ٱلأفعال ذات ٱلصلة بمسآئل ٱلعلم.

«قَدَرَ» فعل يضم دليلُهُ دليل ٱلأفعال (وزن وعَدَّ وحدَّ وعَلَمَ وحَيَطَ وقَلَمَ ومَكَنَ وسَطَعَ وقوىَ وقام). وهو فعلُ إعداد ٱلعدَّة وقوة ٱلتشيؤ وٱلاستوآء فى حدودٍ مَّعلومةٍ ومقلَّمةٍ ومعدودةٍ وموزونةٍ مِّن دون زيادةٍ ولا نقصٍ. وينشأ عن جريانه «قَدرٌ».

أما ٱلإسم منه فهو «مقدارٌ» وهو ٱسم ٱلأمر ٱلَّذى قَدَرَه ٱلقادر. ويدلنا على ٱلدليل ٱلبلاغ ٱلعربى:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ ٨ ٱلرعد.

وفيه أن تشيؤ ٱلأمر ٱلواحد وسيلته «مقدارٌ» مُّحدَّد لَّه. ويبيّن ٱلبلاغ أن «ٱلمقدار» معدود ومعلوم:

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ٥ ٱلسجدة.

«قَدَرَ» يجرى فى جميع مقادير ٱلتكوين على ٱختلاف ألوانه. ومعرفة قدر ٱلتكوين تدل على معرفة قدرة ٱلقادر:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ٩١ ٱلأنعام / ٧٤ ٱلحج / ٦٧ ٱلزمر.

وهو فعل يدل على ٱلإحاطة بٱلشىء وٱلقوة وٱلتضيّق عليه:

﴿ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ ٣٤ ٱلمآئدة.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ ٢١ ٱلفتح.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ ٧٥ ٱلنحل.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ ٢٦ ٱلرعد.

ٱسم ٱلفعل من «قَدَرَ» هو «قَدَرٌ». وٱسم ٱلفاعل «قادر». وسمة فعل ٱلفاعل «قديرٌ». وما ينجم عن قوة جريانه «قَدرٌ» وهو ٱلمقدار ٱلمعلوم ٱلمحدود ٱلموزون ٱلمقلَّم ٱلمحاط وٱلمضيَّق عليه بٱستطاعة وقوة.

وفى ٱلِّسان ٱلانكليزى ٱلكلمات "Quant Amount, Energy," تشترك مع بعضها فى تقريب ٱلدليل على ٱلمقدار مع ٱلقول ٱلتالى to be able.

وهٰذا يبيّن أن كلمة «قَدَرَ» وكلمة «مقدار» يلزمهما فى ٱلِّسان ٱلانكليزى بيان يطول فيه ٱلقول حتى ينشأ ٱلدليل ٱلعربى فيه.

وفى تبادل ٱلمفاهيم بين ٱلِّسان ٱلانكليزى ولسان ٱللغة ٱلفصحى تبادل كلمة «قَدر» وكلمة «مقدار» بكلٍّ من ٱلكلمات ٱلانكليزية. وهٰذا ٱلعمل ينجم عنه ضياع لدليل ٱلكلمة ٱلعربية ولا يوصل دليل ٱلكلمة ٱلانكليزية إلى ٱلذى يتلوا بلسان ٱللغة ٱلفصحى.

لقد بدأ «ٱلقَدرُ» فى وقتٍ بيّنه ٱلبلاغ:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ ١ ٱلقدر.

وقت ٱلتوريد جرى فى «ليلة». فٱلظلام يسبق ٱلنور فى ٱلتكوين. وفيها بدأ جعل ٱلشهور تكوّن ٱلمقادير ٱلذّريّة ٱلزوجية (ٱلميزونات) ثم ٱلثلاثيات (ٱلجملونات) ثم ٱلسُّوَر ٱلّتى يتكون منها دخان ٱلسمآء ٱلّتى سوِّيت سبع سمٰوٰت. وفيها ٱلنجوم وٱلشموس وٱلكواكب وٱلأقمار وكل ٱلألوان ٱلأخرى ٱلّتى نعرف وٱلّتى لا نعرف. وبيّن ٱلبلاغ أن هٰذا ٱلتوريد قام به ٱلملٰئكة وهم جند موزعون مهديون (روبوت) علىَ أفعال مُحدَّدة لا شيط ولا تمرد فيها. إلى جانب ٱلروح (معلومات مقدارية) وفيه كل مخططات ٱلعلم وٱلخبرة فى ٱلقدر وٱلمقدار:

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ٤ ٱلقدر.

ٱلرُّوح هو ٱلبيان ٱلتفصيليّ (كاتلوك ٱلخلق وٱلتسوية) فى هيئة منهاج program. وقد بدأ ٱلتكوين مطابقًا لِّلروح ٱلّذى جرى تسويةً فى ٱلسمآء. وبيّن ٱلبلاغ أن هٰذا ٱلأمر سيبقى حتى نهاية تسوية ٱلخلق ٱلّذى يعود إلى بداية جديدة مع مطلع ٱلفجر:

﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ ٥ ٱلقدر.

وهٰذا ٱلفجر بيّن لنا ٱلبلاغ أن أطوارًا عشرة من ٱلَّيل تعقبه قبل ظهور ٱلسورة ٱلأولى:(*)

﴿وَٱلْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ (٣)﴾ ٱلفجر.

ٱلرُّوح ٱلذى يضمُّ مخططات ٱلخلق وٱلتسوية وبيانًا مُّفصّلا لِّسنَّة ٱلقدر وٱلمقدار هو ٱلّذى نزل بلاغًا على قلب ٱلرسول محمد نَّسخًا يطابق ٱلأصل. جرى تلقيمه فى قلبه ليكون بلاغًا وبيانًا لِّلنَّاس بلسانٍ يُعرب ويُبيِّن ٱلحقَّ فى كل أطواره:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ ٱلشعرآء.

ونجد ٱليوم أنَّ ٱلعلم ٱلناظر وٱلباحث فى كل وجهات ٱلنظر وٱلبحث يُعرب ويبيِّن حقوقًا كانت مبهمة ومعجمة على ٱلنَّاس حتى جآء ٱلتعريب وٱلبيان لها من قبل ٱلّذين يسيرون فى ٱلأرض ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق. وفىٓ أعمالهم ٱستقرار لِّلنبإ:

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧ ٱلأنعام.

وٱستقرار ٱلنبإ يجعل ٱلشهيد عليه مصدِّقًا.

أمآ أعمال ٱللغو وٱلتحريف فقد جعلت ٱلّذى «نزل به ٱلروح ٱلأمين بلسان عربىّ مبين» بعيدًا عن ساحة ٱلبيان ٱلعلمىّ. كما جعلت قوة ٱلإنذار فى وجهة عميآء وتخبّط فى ظلام ٱلجهل وٱلتخلف فى كل أمر. فى ٱلوقت ٱلّذى يبيّن ٱلبلاغ ٱلعربىّ ٱلمأرب منه:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ٨٩ ٱلنحل.

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٨ ءال عمران.

(*) كتاب «ٱلدين خرافة أم علم؟ مدخل إلى ٱلبحث» وكتاب «ٱلاستنساخ بحث ٱلنشأة ٱلأولى».

ٱلمسلمون هم ٱلمسلمون للَّه ودينه وبيانه. وهم ٱلّذين يعملون ويستبشرون بٱستقرار ٱلنبإ علىَ أيدى علمآء ٱلنظر وٱلبحث ٱلعلميّ وهم منهم. فيزداد إيمانهم ويطمأنون لوعد ربِّهم.

وٱلبيان ٱلعربىّ بيِّنٌ فى كل ٱلأوقات. وفهم ٱلبيان يتوقف علىَ إدراك ٱلناظر فيه. وكلُّ فهم لِّلبلاغ ٱلعربى هو من ٱلمتشابه ٱلذى لا يقطع ٱلنظر وٱلقول فيه ما دام ٱلناس ينظرون فى كيف بدأ ٱلخلق. وفى كلِّ طور مِّن أطوار ٱلنظر يخرج فهمًا مُّتشابها. وهٰذا ٱلتشابه يجعل من ٱلبلاغ ٱلعربى فى حركة مفاهيم تصعد مع صعود علم ٱلناس ٱلذين يعبدون ٱللَّه ويطيعون أمره:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وحماة ٱللغة وٱلكهنة لا يقبلون بهٰذه ٱلحركة. وهم يتمسكون بأفكار وثنية ويوقفون سدًّا فى وجه كل بيانٍ عربىّ سوآء ءَكان ٱلّسان ٱلعربىّ ٱلمبين ذاته أم كان ٱلبيان بيان ٱلعلم. فقد أوقفوا وحصروا علم ٱللَّه بما قاله ٱلسَّلف. فٱللَّه لا يفهم أكثر مما رأى ٱبن عباس وغيره من ٱلسَّلف. وهم لا يذكرون ٱلبلاغ:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصافّات.

فهؤلاء عمآء مُّبهم مُّعجم لِّكل بيان عربىّ. وفى قلوبهم أن «لكلِّ نبإٍ مستقرٌّ وسوف تعلمون» ٱستقرَّ جميعه عند ٱلسلف. وأنَّ علم ٱللَّه ٱنتهى عندهم. وقد قدَّس ٱللَّه سرَّهم. وما يفعله علمآء ٱلنظر وٱلتسوية ما هوَ إلا كفر وعدوان على ٱللَّه. وهم يخشون عليه من علم هؤلآء. وإنَّ علمهم ما هوَ إلا فساد فى خلقه. وعلى ٱلناس ألا يقربوا منه.

لكنّ ٱلسرّ هو سرّ عليهم لأنّهم لا يدرون أن دليل كلمة «قدس» هو ٱلتعقيم وٱلتطهير مما يقولون.

وأتابع ٱلفقه لكلمة «ٱلحكمة». فقد زادها ٱللَّه على ٱلرُّوح ليكون عمل ٱلإنسان فى ٱلسير وٱلنظر فى ٱستقرار أنبآء ٱلرُّوح غير مفسدٍ فى ٱلأرض:

﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ٢٦٩ ٱلبقرة.

ٱلفعل «حَكَمَ» دليله فى دليل ٱلأفعال (عَلِمَ وبَلَغَ وحَفَظَ ووَثَقَ وفَقِهَ وحبَّ وخَبِرَ وقضى). وٱسم ٱلفاعل «حاكم». وسمة فعله «حكيم». وما ينجم عن جريان فعله «حكمةٌ».

وفى ٱلبلاغ ٱلعربىّ أن ٱلحكمة تستند على ٱلعلم فى ٱلأشيآء وكل مستلزماته لتصل إلى ٱلحكم فى مسألة. فقد بين ٱلبلاغ أن ٱلعلم فى ٱلأشيآء هو علم فى كتابها:

﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ ١٢٩ ٱلبقرة.

فى ٱلبلاغ ٱلعلم فى ٱلكتاب تلحق به ٱلحكمة. وفيه فرق بين ٱلملك وٱلحكمة وٱلعلم:

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾ ٢٥١ ٱلبقرة.

ويبيّن ضمّ ٱلحكمة للخير:

﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ ٢٥٩ ءال عمران.

وفيه ترتيل وسآئل رقىّ ٱلإنسان علميًا:

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ ٤٨ ءال عمران.

وبيّن ٱلبلاغ أن ٱسم «حكيم» من أسمآء ٱللّه ٱلحسنى. ونجده ملحقًا بأسمآء حسنىَ أخرى «ٱلعليم ٱلحكيم/ ٱلعزيز ٱلحكيم/ ٱلتَّواب ٱلحكيم/ ٱلعلىّ ٱلحكيم».

كما نجده يسبق أسمآء حسنىَ أخرى لاحقة على ٱلحكم «ٱلحكيم ٱلخبير/ حكيم حميد».

وبيّن أن ٱلكتاب وٱلقرءان لهما ذات ٱلسمة «حكيم»:

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ١ يونس.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ٢ يس.

ٱلكتاب يضمُّ ٱلتقليم وٱلتفصيل فى ٱلمقدار مسطورًا. وٱلقرءان مُخرج ومفصح لكلِّ ما هو مسطور فى ٱلكتاب. فٱلقرءان ٱلحكيم هو عمل جارٍ فى ٱلنظر وٱلبحث وٱلكشف وٱلبيان لا يتوقف فى جميع ٱلأشيآء. ويوصل بٱلعلم فى ٱلكتاب إلى ٱلعزّ وٱلتَّوبة وٱلعلوِّ. وكلُّها بيانات قوّة فى ٱلنظر وٱلكشف توصل ٱلفاعل إلى ٱلحكمة وٱلخبرة وٱلحمد. وفيه مطابقة ٱلحكم للحقِّ فىَ أىِّ مسألة يحكم فيها من دون شيط أو زيغ أو طغوى. وٱلحكيم ٱلحميد هو عليم عزيز تواب علىّ خبير. وحكمه فىَ أمر كريم (من دون زيادة أو نقص).

جآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط:

[الحكمة: معرفة أفضل الأشيآء بأفضل العلوم. العلم والتفقُّه. العدل. العلَّةُ. علم الحكمة: الكيمياء والطب].

وفى هٰذا ٱلقول قرن بين ٱلعلم وٱلفقه وٱلكيميآء وٱلطب. وهو قول صواب. خصوصًا ٱلقول عن ٱلحكمة أنها «معرفة أفضل ٱلأشيآء بأفضل ٱلعلوم». ومع ذٰلك نجد ٱلمفكرين بوسآئل ٱللغة يغفلون عن هٰذه ٱلكلمة فيما يكتبون. ويستعملون بدلاً عنها كلمة «فلسفة» ٱلّتى جآء عنها فى ٱلمعجم ٱلوسيط:

[الفلسفة: دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقليّاً. وكانت تشمل العلوم جميعاً، واقتصرت فى هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة].

وكلمة «فلسفة» من ٱلأصل ٱليونانىّ philosophia وتدل على «حُبِّ الحكمة» فى ٱلِّسان ٱليونانىّ. وهى فى ٱلِّسان ٱلانكليزىّ philosophy ودليلها فيه يطابق ٱلدليل فى ٱلِّسان ٱليونانىّ «حبُّ ٱلحكمة».

وجآء فى ٱلمعجم ٱلوسيط عنهآ أنها «كانت تشمل العلوم جميعًا». وأن دليلها تراجع إلى «المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة». وأنها فى ٱلأصل

«دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرًا عقليًّا». وهذا ٱلفهم يدل على بعد ٱلفلسفة عن ٱلعلم ٱلحسىّ وٱلخبرة وٱلوثوق وٱلقضى(*) فيه. كما عرّفها ٱلمعجم ٱلوسيط.

ورأيت فى ٱلبلاغ ٱلعربىّ أن «ٱلحكمة» تستند على ٱلعلم ٱلحسىّ وكل مستلزماته لتصل إلى ٱلفعل «قضى» بسمة ٱلحمد. وكلمة «فلسفة» ٱلّتى تدل فى لسانها على «حبِّ الحكمة» ووسآئلها فى ذٰلك «تشمل العلوم جميعًا» لا يجعلها «دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرًا عقليًّا». مع ٱلعلم أن ٱلتفسير ٱلعقلىّ يشير إلى ٱلتفكير فى ٱلمحسوسات ومحاولة عقلها فيما بينها. ولهٰذا ٱلتفسير وجهتان:

ٱلأولى ٱلنظر فى باطن ٱلمحسوس ويتوجه إلى طلب ٱلتزّود بمنهاج للرؤية يوصل ٱلناظر إلى ٱلاطمئنان كما يبيّن ٱلبلاغ ٱلعربىّ:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ٢٦٠ ٱلبقرة.

وفيه «إبرٰهِم» يطلب ٱلإطمئنان لقلبه بقول يبيّن حاجته لهذا ٱلإطمئان «رَبِّ أَرِنِى كيف تُحِى ٱلموتى». فكلمة «أرنى» تبين طلب ٱستطاعة على ٱلرؤية ليست لديه. وقد جآء ٱلخطّ بٱسم «إبرٰهِم» من دون وجود لليود (يـ) ٱلّتى تدل على (يد). فٱلنظر وٱلرؤية من أفعال قلبه إلآ أنه هنا لم يبلغ ٱلكفاية فى ٱلرؤية ويحتاج إلى زيادة فيها. وبعد حصوله على ما طلبه «أرنى» وصل إلى طور ٱلمطمئن ٱلقلب وصار ٱسمه «إبرٰهيم» مؤيدًا بٱليود ٱلتى تمسك ٱلشبكة وتوصلها بٱلمم وهى ٱلحياة.

وثانى ٱلوجهتين تقوم على ٱلأمل ٱلّذى يمنع من خوض ٱلاختبار ٱلحسىّ ولا يطلب زيادة للرؤية ولا يوصل إلى ٱطمئنان. وبيّن ٱلبلاغ ٱلعربىّ حال ٱلّذى يلهو بٱلأمل:

(*) لا أرى صوابا فى ٱلكلمة «قضاء».

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٣ ٱلحجر.

وهؤلآء يوقعون فى ٱلبهتان ٱلّذى يدل على ٱلدهشة وٱلحيرة وسقوط ٱلحجة. لأن ٱلأمل يوقف ٱلتوجه إلى ٱلنظر وٱلرؤية وطلب ٱلاطمئنان فى ٱلاختبار ٱلحسىّ. وصاحب ٱلأمل يوقع فى ٱلوثنية ٱلّتى تدل على طول ٱلإقامة على ٱلأمر أو ٱلمفهوم أو ٱلشىء أو جميعها معًا. ويرفض ٱلحنف ٱلّذى يدل على ٱلحركة إلىَ أعلا فى ٱلمفاهيم وٱلعلم. ٱلّذى يأتى به ٱلنظر ٱلحسىّ ٱلإبراهيمىّ وٱلرؤية ٱلتى تجعل ٱلقلب مطمئنا. وسبيل إبراهيم فى ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق.

وأوصل إلى ٱلقول أن «ٱلفلسفة» كلمة لا يمكن ٱستعمالها فى مكان كلمة «حكمة» حتى ولوَ أعدنا لها عملها ٱلجامع لكل ٱلعلوم. وهى كلمة تدل على «حبِّ ٱلحكمة» فى لسانها. وعندما يصل محب ٱلحكمة إلى ٱلحكمة لا يبقى فيلسوفًا. بل يصير حكيمًا. فكلمة «فلسفة» طور من أطوار ٱلسير فى ٱلأرض وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وهٰذا ٱلطور يسبق طور ٱلحكمة. وعندما يوصل ٱلإنسان إلى طور ٱلحكمة ينسى ٱلطور ٱلسلف لأنه سلف ميت. وٱلحكمة فىَ أطوارها ٱلستة «ٱلعليم ٱلعزيز ٱلعلىّ ٱلتوّاب ٱلخبير ٱلحميد» لا يوصل إليها من ينظر خلفه إلى ٱلسلف فى «ٱلفلسفة». وٱليوم يجتاز بعض ٱلناس أطوار ٱلعليم وٱلعزيز وٱلعلىّ إلىَ أطوار ٱلتواب ٱلخبير بخطوات أولى. وعندما يكمل ٱلناس خطواتهم فى هٰذين ٱلطورين يصيرون علىَ أبواب ٱلطور ٱلسادس «ٱلحكيم ٱلحميد». وهو طور ٱلإنسان ٱلشهر ٱلثانى عشر من شهور ٱلحياة «ذى ٱلحجة» ٱلّذى يعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾. وعلمه بذٰلك يجعل حكمه موزونًا وزنًا كريمًا لاَ زيادة فيه ولا نقص. فلا يعتدى ولا يطغى فىَ أمر. وهٰذا يجعل حكمه حميدًا وقد خلّف ورآءه طورا بعيدًا هو طور «ٱلفلسفة» ٱلسَّلف ٱلميِّتُ.

ومن ٱلكلمات ٱلتىَ أرى حاجة إلى عرض فقهى لها كلمة ٱلفعل «نَفَسَ». وهو فعل جدلىّ تدل عليه ٱلأفعال ٱلمتناقضة (بسط وقبض وأخذ وطرح) وهو

فعل موزع فى حقٍّ حيٍّ يستمد قوته من ٱلفعل «حيا» ٱلّذى يضم دليله ٱلأفعال (نفخ وهَزَّ وربا ونبت وحمَّ وبان وكثُر وولد). وٱلنَّفس هى كل هٰذه ٱلقوى ٱلّتى تفعل وزعًا (أتوماتيك). وأفعالها ٱلحيوية كلّ مِّنها يصلِّى على ٱلأخر ولا يعتدى عليه. وفى ٱللغة خلط بين ٱلنَّفس وٱلرُّوح. أما ٱلنفس فهى وعآء وقربة للروح وهو فيها قريب.

«ٱلرّوح» لقد سبق قولى فيهآ أنها ٱلمفاهيم ٱلّتى كتبت وسُطِّرت بعلامات وحفظت فى صحف ٱلفؤاد وخبر بها ٱلقلب. وهى ٱلّتىَ أراد ٱللَّه منهآ أن تكون مطابقة للحقِّ. وهى مخططاته وأشراط دينه وسنَّة تسويته وقدرها ومقدارها. وقد نزَّلها ٱللَّه على قلب ٱلرسول محمد وجعلها بلاغًا عربيًّا لِّلناس عن هٰذا ٱلحقِّ. وعلى ٱلإنسان ذاته أن يسير فى ٱلحقِّ وينظر كيف بدأت تسويته. ويطابق ما يجده مع ٱلروح ليحدث ٱلتصديق وٱليقين.

وفى دليل كلمة «روح» ٱلأفعال (حرك ونشط وهبَّ ووسع وعلا وقوى ووَقَدَ وكتب وسطر وخبر ونور وبان وقلم وصلَّى). وٱلروح هى كل هٰذه ٱلقوى ٱلّتى تعمل فى ٱلنفس فتجعلها تعلم وتعرف وتسطر وتكسب وتفهم وتفقه وتقضى وتحكم وتحمد وتصلِّى.

ولى فى كلمة «مَوَتَ» قول وهى تضم فى دليلها ٱلأفعال (هَمَدَ وسكن وبرد وقطع وخلا وثبت). وفيه تتوقف ٱلقوى ٱلحية ٱلمكونة للنفس جميعًا. فٱلنفس ٱلّتى تموت تفقد سورها روابطها وتعود إلى سيرتها ٱلأولى ٱلسور ٱلدخانية element مثل تسوية ٱلسَّمٰوٰت ٱلسبع وٱلأرض من أصل دخانىّ وعودتهآ إليه.

لقد بيّن لنا ٱلبلاغ أن ٱلنفس تموت:

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ ١٨٥ ءال عمران.

وموت ٱلنفس يحدث بأفعالها ٱلحية. وبها يجرى تسطير كتاب ٱلموت وتحديد أجله بما يشبه مؤقتًا يعلن ٱلأجل فتتوقف جميع ٱلأفعال ٱلحية عن ٱلجريان. وما يكتب فى صحف كتاب ٱلموت خاصّ بكل نفس. وكتابتها فيه هى

ٱلّتى تحدد ٱلأجل ويبيِّن ٱلبلاغ ذٰلك:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ ١٤٥ ءال عمران.

«ٱلإذن» من ٱلأصل «أَذَنَ» وفى دليله ٱلأفعال (عَلَنَ وطلق وفتح). فهو إعلان وإطلاق وفتح لكلام ٱلحقِّ ٱلمكنون فى سطور ٱلأية (رطب أو يابس). وبه يبدأ جرى كلام ٱلحقِّ ٱلمسطور فى ٱلحبِّ ٱلّذى يتعرض للرطوبة وٱلنور. وبجريه تبدأ ٱلكتابة فى كتاب ٱلحياة وفى كتاب ٱلموت. يؤثر فيها ٱلفعل من ٱلخارج فيقصر ٱلأجل أو يطول. وٱلنفس يأتيها من ٱلخارج فساد وطعام خبيث إلى جانب ٱلأثر ٱلشديد ٱلّذى تأتى به ٱلمفاهيم.(١)

وكلمة «كتٰب» ٱلأصل فى ٱلفعل «كَتَبَ». وفى دليله ٱلأفعال (جمع وصف وسطر وقلم وحفظ). وهو جمع وصفّ وتسطير وتقليم وحفظ للرموز وٱلكلمات وٱلأيات وٱلسُّور. سوآء ءَكان ذٰلك فى شىء واحد أو فى وحدة أشيآء مَّع بعضها. وهو جميعُ ٱلحقِّ ٱلمسطور فى ٱلشىء قبل ٱلبدء بأفعال تكوينه. ومعه ٱلحقُّ ٱلّذى يسطِّر بفعل جرىَ ٱلتكوين. فٱلموت يحدث وفق إذن بٱلجعل تُسطِّره أفعال ٱلنَّفس ذاتها. وهو موزع فيها ويعمل على جعل ٱلنفس ٱلحية ميتة ذاتيًا بعد كمال ٱلكتابة فى كتاب ٱلموت. وهٰذا ما بيَّنه ٱلبلاغ «وما كان لنفس أن تموت» فٱلنفس ٱلحية لا تموت إلاَّ بكمال تسطير كتاب ٱلموت ٱلّذى تكتبه ٱلنفس وتحدد أجله بأفعالها ٱلحية وبمفاهيمها ٱلّتى ٱكتسبتها وسطَّرتها فى ٱلقلب وثبتت بها ٱلفؤاد. وقد ٱقترب علمآء ٱلحياة من قرء هٰذا ٱلكتاب حيث وجدوٓا أن ٱلمعلومات ٱلمسطورة فى ٱلعلقة «ٱلجينوم» منها ما هو مخططات بنآء ٱلكائن ٱلحى ومنها ما هو لغو عالق فيه.

لقد بيّن ٱلبلاغ أن ٱلنفس «زكيَّةٌ»:

﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ﴾ ٧٤ ٱلكهف.

---

(١) كتاب «ٱلكلمة» بحث «تأثير ٱلمعنى».

وكلمة «زكيَّة» ٱلأصل فى ٱلفعل «زكىَ يزكى». ودليله فى ٱلفعلين (طاب وخلص وصلح).

فٱلنفس ٱلزكية طيِّبة وصالحة وخالصة من ٱلخبث وٱلمرض ٱلّذى يسوقها إلى ٱلموت.

وفى ٱلنفس «دسى» بيّنه ٱلبلاغ:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (١٠)﴾ ٱلشمس.

و«دَسَىٰ» يدل على نقيض «زكىٰ». ودليله فى ٱلأفعال (خبث وفسد وكفر). وكل مِّن ٱلفعلين «زكىٰ» و«دسىٰ» قوّة كامنة فى ٱلنفس. وهى ٱلّتى تطلق أحداهما وتوقف ٱلأخرى. وبواحدة منهما تبدأ ٱلكتابة فى صحف كتاب ٱلموت وتحدد أجله. وهى بذٰلك ٱلمسئولة عن موتها وفق ٱلأجل ٱلّذى حددته من ذاتها. ولا جواز لأحدٍ أخر أن يوقف حياتها قبل أن تصل إلىَ أجلها من نفسها. وهٰذا سبب ٱحتجاج موسىٰ فى ٱلبلاغ ٧٤ ٱلكهف.

إن ٱلنفس بتقدمها فى سيرها فى ٱلأرض ونظرها فى كيف بدأ ٱلخلق توصل إلى قرء كتابها وٱلعلم بكتاب ٱلموت ٱلمسطور فيه. إلآ أنّها لا تدرى فىَ أىّ مكانٍ يحدث:

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ٣٤ لقمان.

كمآ أن ٱلنظر فى كتاب ٱلموت لا يجعل ٱلنفس قادرة على منع موتها:

﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ١٦٨ ءال عمران.

وبيّن ٱلبلاغ ٱلعربىّ أنّ كل ما يحدث فى ٱلكون ومنه ٱلنفس مسطَّر فى كتاب خاص بكل حدثٍ وشىءٍ:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ ٢٢ ٱلحديد.

فكتب ٱلنفس تضم كل ما يتعلق بحقوق خلقها وصيرورتها وموتها. وفيها صحف فارغة من ٱلكتابة يبدأ ٱلتسطير فيها بعد تسوية خلقها. وبفعل حياتها يُسجَّل مآ أصاب ٱلنفس فى هٰذه ٱلصحف وأعمالها ٱلّتى قامت بها. وتجرى

ٱلكتابة بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ رموزه هى ٱلسُّوَرُ ٱلأساس فى ٱلبنآء ٱلحىّ (ٱلبروتينات). وما يكتب فى ٱلصحف ٱلفارغة هو ٱلّذى ٱكتسبته ٱلنفس. وهو ٱلشاهد عليها يوم ٱلحساب:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٣٨ ٱلمدّثر.

﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ١٤ ٱلإسراء.

ويوكّد لنا ٱلبلاغ ٱلعربى أن هداية ٱلنفس تجرى من قبلها:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ ١٣ ٱلسجدة.

ٱلنفس ٱلّتى هدىٰها ٱللّه هى نفس مَلَكٍ (روبوت). ومنها جميع ٱلكآئنات ٱلحية بٱستثنآء ٱلإنسان ٱلّذى عليه أن يسير وجهة ٱلهداية بعد أن أتـٰه ٱلروح ٱلأمين. وهو يستطيع فعل ذٰلك حتى بعد أن يقع فى ٱلذنوب:

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٥٣ ٱلزمر.

ومن أكبر ٱلذنوب هو ٱتباع لغو ٱللغة وكهنوتها وقد جعلت مفاهيمنا عقدة يصعب حلها فيما تسميه «عقيدة» تسوّق مفاهيمها ٱلكهنوتية بها وتروج لها تحزّب ٱلناس فيها فتحبسهم وتجمدهم.

وأتابع مع ٱلفعلين «عقر وعقم» وكلاهما من ٱلأفعال ٱلتى تخلط ٱللغة بينهما وتحرف دليل كلٍّ مِّنهما.

ٱلعقر هو ٱلجرح ٱلّذى ٱنتشر فيه ٱلخبث فى جسمٍ حىٍّ يلحق به ٱلضُّرُّ ويمنع عنه ٱلشِّفآء.

أما ٱلعُقمُ فيدل على ما يدل عليه فعله عَقَمَ. وفى دليله دليل ٱلفعلين (طهر وخلو).

وفى ٱلمعجم ٱلوسيط بيان ٱلخلط بين دليل ٱلفعلين:

«عقرت المرأة: عقمت. العقرة: العقم».

ٱللغو لم يتوقف عند هٰذا ٱلخلط. بل ٱمتد إلى صناعة كلمات من أصل ٱلفعل عَقَرَ. مثل كلمة «عَقَار» لتدل على ملكٍ كٱلأرض وٱلدَّار:

(ٱلعَقار: ٱلخمر. وٱلعَقار من كلِّ شيء: خياره. ٱلعُقر: أصل كل شيء وعُقر ٱلدَّار: وسطها. وعقر ٱلقصيدة: أحسن أبياتها. ٱلعقرة: ٱلعقم. ٱنعقر ظهر ٱلدَّابَّة: جُرح).[1]

---

(١) ٱلمعجم ٱلوسيط.

هيئة ٱلرَّسول

بيَّن ٱلبلاغ ٱلعربى أن ٱلملٰئكة «جسدٌ» لا تأكل ٱلطعام وأنَّ ٱلبشر «جسمٌ» يأكل ٱلطعام:

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ ٨ ٱلأنبيآء.

هٰذا عن ٱلرُّسل ٱلبشر فهم أجسام تأكل ٱلطّعام وتموت. كمآ أنهم يمشون فى ٱلأسواق من أجل ٱلعيش:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ ٢٠ ٱلفرقان.

وبيّن أنَّ عيسى ٱبن مريم ووالدته بشران يأكلان ٱلطعام:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ ٧٥ ٱلمائدة.

وأنَّ ٱلملك طالوت جسم:

﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ ٢٤٧ ٱلبقرة.

وأنَّ ٱلمنافقين جسم:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ ٤ ٱلمنافقون.

جميع ٱلبلاغات ٱلعربيَّة توكّد أن لون ٱلرُّسل ٱلبشر وٱلملوك وٱلمنافقين واحد هو ٱلجسم ٱلّذى يأكل ٱلطَّعام ويمشى فى ٱلأسواق.

وسبب هٰذا ٱلتوكيد على ٱللون ٱلجسمى للرُّسُل أنَّ ٱلكثير من ٱلنَّاس يظنون أنَّ ٱلرّسول من غير ٱلبشر. وأنّه لا يأكل ٱلطعام ولا يمشى فى ٱلأسواق:

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ ٧ ٱلفرقان.

وقال ٱلرُّسل للناس أنَّهم من لونهم:

﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ ١١ ابراهيم.

وفىَ أمرٍ للرَّسول محمد طلب ليقول للناس أنَّه بشر مِّثلهم:

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ ١١٠ ٱلكهف.

وقد حدَّد ٱلبلاغ لون ٱلبشر ٱلّذى حمل ٱلرِّسالات:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ ٧ ٱلأنبيآء.

وبيّن ٱلبلاغ موقف ٱلّذين لا يصدِّقون أنَّ ٱلرَّسول بشر:

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ﴾ ٣٣ ٱلمؤمنون.

وبيّن ٱلبلاغ ٱلزوجية وٱلذّرية فى ٱلرّسل كما هو حال ٱلبشر:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾ ٣٨ ٱلرعد.

وأنّ ٱلرَّسول بشر يوحىٰ إليه بلاغًا للنَّاس:

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ ١٨ ٱلعنكبوت.

وأنّ ٱلرَّسول يبلِّغ مآ أوحىَ إليه فلا يزيد من عنده:

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ (٤٦)﴾ ٱلحاقة.

لقد سُطِّرت أقوال زعم أصحابها من ٱلكهان وأصحاب ٱللغو أنّهآ أحاديث سمعوها من ٱلرّسول محمد. وطالبوا ٱلنّاس بٱلعمل وٱلطاعة سندًا لِّهٰذه ٱلأحاديث. وقدّموها على ٱلحديث ٱلموحىَ إلى ٱلرّسول من ربّه.

وتحالف أصحاب هٰذا ٱلزَّعم مع سلطة ٱلطغوى ٱلّتى جآءت من بعد موت ٱلرسول وتوقُّف ٱلمثل فى حكمه ٱلرسولى ٱلمدينى. فأقاموا مؤسسات تعليمية تعلِّم هٰذه ٱلأحاديث وتؤصلها فى قلوب ٱلناس. لتكون ٱلأساس فى بنآء ٱلطَّاعة لمنهاج طاغوت وسلطته ٱلجاهلة. وهٰذا ٱلعمل يشبه عمل ٱلّذين هادوا وزعموا بتورىٰة سماعية سمّوها «ٱلمشنا». وعمل ٱلّذين زعموٓا أنَّ ٱلروح ٱلقدس ٱمتدَّ فعله إلى شاؤول وأعمال رُسُله وتقدّم على من كتب ٱلإنجيل. وهؤلآء أسسوا سلطة طغوى لاتينية لغوت فى مفاهيم ٱلناس قرونًا أفقرتهم وخلَّفتهم حتى قاموا عليها وٱستردوا فطرتهم منها. وأىّ كان ٱلأمر فإن أقوال ٱلنبى تختلف عن حديث ٱلرسول. وهى رأىٌ لَّه أو عملٌ قام به أو طعام أكله أو شراب شربه أو لباس لبسه. فجميع ذٰلك يبيّن هيئة بشرية جسمية تأكل ٱلطّعام وتمشى فى ٱلأسواق. وهى مثل أقرانها من ٱلناس ٱلّذين عاشت معهم من أبنآء ٱلقوم وقد ٱكتسبت بٱلنشأة سماتها ٱلإنسانية ٱلّتى تشبه ٱلكثير من أبنآء ٱلقوم وعاداتهم.

وبيَّن ٱلبلاغ أنَّ ٱلرسول ٱلبشر يذنب كباقى ٱلناس. سوآءٌ ءَكان ذٰلك قبل أن يأتيه ٱلوحى ويجعله رسولا أم من بعد أن جآءه:

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ٥٥ غافر.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ١٩ محمد.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ٢ ٱلفتح.

فهو بشر يذنب كما يذنب ٱلناس. ويتمنّى مثلهم ويلقى ٱلشيطان فىٓ أمنيته كما يبيّن ٱلبلاغ:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ

فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٥٢ ٱلحج.

ٱلتمنى مدخل لِّلفكر ٱلشيطانى.[1] سوآءٌ ءكان ٱلتمنى من أفعال ٱلرسول أم من أفعال غيره. فعندما يسجل ٱلناس ٱلقول ٱلّذى نشأ عن ٱلتمنى فإنهم يسجلون مآ ألقى ٱلشيطان. وهٰذا ٱلنسخ ٱلبشرى للقول ٱلشيطانى جعله ٱللَّه «فتنةً» للمريضة وٱلقاسية قلوبهم:

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ ٥٣ ٱلحج.

ءايات ٱللَّه ٱلمحكمة تقابلها نسخة مِّن ٱلقول ٱلشيطانى فتتكوّن منهما زوجية تناقضية فى قلوب ٱلناس (باطلٌ-حقٌّ/ رحمـٰنٌ-شيطـٰنٌ). فٱلّذين «فى قلوبهم مرض وٱلقاسية قلوبهم» يجدون فى نسخة ٱلقول ٱلشيطانى ما يطابق ويناسب أمانيّهم وأقوالهم وأعمالهم. فيفرحون بأنفسهم وما عندهم من قول وعمل يناسب قول وعمل ٱلنبىّ ٱلّذى فعل فيه ٱلتمنى. وهؤلاء ٱلمرضى وٱلقاسية قلوبهم ليسوا سوآءٌ فى ٱتباع نسخة ٱلقول ٱلشيطانى. وكلٌّ فريق مِّنهم يجعل ٱلأمنية ٱلّتى تمنّـٰها ٱلنبىّ توافق ما لديه من تمنٍّ. فينشأ عن ذٰلك أمانٍ مُّختلفة تدفعهم للشقاق ٱلبعيد. فيظلمون أنفسهم «وإن ٱلظّـٰلمين لَفِى شقاقٍ بعيدٍ».

وكلمآ أتى من يقرأ ٱلقرءان وفيه ءايات ٱللَّه ٱلمحكمة وقال فيه قولاً ينقض ٱلأمنية ٱلشيطانية. قاموا عليه مجتمعين رغم شقاقهم ٱلبعيد و«هدروا دمه». وهٰذا ٱلشقاق ٱلبعيد سيبقى عند هؤلآء ٱلظالمين حتى يأتيهم ٱلموت:

﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ٥٥ ٱلحج.

«مريةٍ» هو ٱلتصايحُ ٱلصّاخُّ للسّمع. فهم يتسابقون فيه لا يسمع أحدهم

---

(١) كتاب «ٱلكلمة».

ٱلأخر. ونجد مثله ٱليوم تقذف به ٱلإذاعات ٱلسمعية وٱلبصرية صراخًا وتصايحًا وٱتهامًا بٱلكفر لسكان قارة بكاملها (أوروبا). وقد قَسَمَ هؤلاء ٱلأرض إلىٰ أرضين. أرض ٱلإيمان وزعموٓا أنهآ أرضهم. وأرض ٱلكفر وزعموٓا أنها كل أرضٍ ليست أرضهم. وقد عميت قلوبهم ٱلمريضة وٱلقاسية عن ٱلبلاغ ٱلّذى بيّن للناس جميعًا أنّ ٱلأرض أرض ٱللّه:

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ ٥٦ ٱلعنكبوت.

عاش ٱلرّسول وٱلنبىّ فى مكّة وفى يثرب. وهو بشر يأكل ٱلطعام ويمشى فى ٱلأسواق. ويتمنّى ويلقى ٱلشيطان فىٓ أمنيته. وهو رسول يوحىٓ إليه قول ٱلرِّسالة من ربِّه محكمًا. وبين أيدى ٱلناس نسخة عن معيشة ٱلرَّسول ٱلبشر. ٱلرجل ٱلّذى يأكل ويشرب ويمشى فى ٱلأسواق. ويتمنى ويتخذ لنفسه أزواجًا على سنَّة ٱلّذين خلوا من قبل.[1] وهو يحب ٱلعسل وٱلنسآء ويفضل فى خلواته ٱمرأتًا علىٰ أخرى. ويقع فى ٱلذنوب كباقى ٱلناس. ويفرح ويغضب. وكل ذٰلك لأنه جسم يأكل ٱلطعام ويمشى فى ٱلأسواق.

لقد كان ٱلرّسول فى ٱلصَّدر فى يثرب. وهٰذا جعل ٱلكثيرين من ٱلقوم ينسخون ما يقول ويفعل ويأكل ويشرب ويلبس. ويرددون فيما بينهم أنَّ ٱلرسول قال هٰذا وفعل هٰذا. ويجدّون فى حفظ قوله وفعله ظانين أنّه ٱلإيمان ٱلحقُّ.

ونجد مثل هٰذا ٱليوم. فهناك ٱلكثير من ٱلّذين يلبسون كما يلبس ٱلأمير ويسرحون شعرهم كما يسرحه ويركبون سيارات سودآء كسيارته ٱلرسمية. وهم يزيدون عليه بلصق صوره على زجاج ٱلسيارة ظنًّا مِّنهم أنَّ هٰذا يجعلهم أتباعًا للأمير. ومآ أفعالهم هٰذه إلآ إسآءة للأمير ولرسالته ٱلاجتماعية ٱلّتى تضيع فى زحمة ٱلظَّنِّ ٱلشيطانى.

لقد «نسخ ٱللّهُ ما يُلقِى ٱلشيطٰن». وفعل ٱلنسخ قام به «ٱلّذين فِى قلوبهم

---

(١) كتابنا «الدين خرافة أم علم؟» بحث «زواج المؤمنين».

مرض وٱلقاسية قلوبهم». وٱلنسخ هو فعل بٱلخلق مضموم فى ٱحتمالات أعمال ٱلناسخين ٱلرَّحمانيَّة وٱلشَّيطانيَّة:

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٩٦ ٱلصَّافات.

ولهم ٱلخِيرَة فى توجيه قوىَ أفعالهم.

أماّ ءَايات ٱللَّه ٱلمحكمة. فيعمل على ٱستقرار أنبآئها بشر ٱختاروا توجيه قوىٰهم ٱلفعلية فى ٱلعمل ٱلأخر. وهو ٱلعمل ٱلّذى يكشف عن ٱلحقوق ٱلمسطورة فى كتب ٱلأيات. ويصدِّقون ويؤمنون بقلوب مطمئنة فى سعة من ٱلعلم:

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ ٥٤ ٱلحج.

ٱلفعل «خَبَتَ» يدل على فاعلٍ هو ٱلخابت. وهو ٱلذى وصل إلى ٱلاطمئنان فى سعة من ٱلعلم ٱلمقارِن بين ٱلنبإ وبيان ٱلكشف ٱلعلمى. فيعلم أنَّ ٱلحقَّ وٱلنبأَ من فاعلٍ واحدٍ فيؤمن بٱلنبإ وفاعله.

وفىَ أخر هٰذا ٱلبحث أذكّر بما فعله لغو ٱللغة فى دليل كلمة «جسم» فخلطه مع دليل كلمة «جسد». وقد تبيَّن فى هٰذا ٱلبحث أنَّ ٱلجسم حىٌّ. أما ٱلجسد فهو ميِّتٌ:

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ ١٤٨ ٱلأعراف.

للإنسان جسم وٱلجسد للميّت كٱلحجر وغيره. وفى ٱلجسم فؤاد ومنه قلب وكلاهما لبّ «أولى ٱلألباب» ومكانهما فى جوف رأس ٱلجسم وهو صدره. وهذا ٱلصدر تلغو فيه ٱللغة كغيره بكلمة «ٱلجمجة».

وٱلعقل هو من أفعال ٱلقلب وليس كما تقول ٱللغة بلغوها عنه. فهو فعل طاقىّ مقدارىّ يقابل بين مقدارين كما يحدث فى مرءاة. ويجرى هذا ٱلفعل فى ٱلقلب كأفعال ٱلفكر وٱلنظر وٱلإدراك وغيره من أفعال ٱلقلب. وفىَ أفعال هارد

ٱلكومبيوتر ٱلتى يظهر أثرها على سطح مكتبه وهو قسم منه شبه بأفعال ٱلقلب عند ٱلإنسان.

ٱلرأس هو صدر ٱلمرء وفيه لبّه (ٱلفؤاد وٱلقلب). وهو ما لغوت فيه ٱللغة بكلمة «دماغ». أما ما يعرف بٱلقلب لغةً فهو نضاخة للدم (مضخة فى ٱللغة). وما قاله ٱلقرءان عن ٱلفؤاد أنّه مقسوم إلىٰ أفئدة تشبه تقسيمات ٱلهارد إلى سواقات وهو فى جوف ٱلصّدر.

وٱلجميع يعلم أنَّ ٱللغة لا تفرق بين كلمة جسد وكلمة جسم. ويستعمل أبنآءها كلمة جسد للجسم وكلمة جسم للجسد. وهذا من تحريف للكلمة عن موضعها.

رَحَمَ

يبيّن ملُّوت كلمة «رَحَمَ» («ر رأس» و «ح حيط» و «م مآء») رأسًا مّفتوحًا على حيط ومآء. وفى ٱلرأس ٱلسمع وٱلبصر وٱلأفئدة وٱلقلب وأفعالهما.

ويبيّن ٱلبلاغ أنّ ٱسم «رحمٰن» وَسِعَ فعله كلّ شىء:

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ ١٥٦ ٱلأعراف.

﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ ٧ غافر.

وهذا يبيّن قوة ٱلفاعل «رحمٰن» وقوّة جريان فعله وسمة ما ينشأ عنه «رحمة». ووعآء جريان فعله واسع وحدوده هى حدود ٱلسمآء كلها. وقوة جريان ٱلفعل لا تنقص ولا تزيد ولا تفتر ولا تسكن من ٱلبداية إلى ٱلنهاية. وبه تبدأ تسوية ٱلخلق وفق ٱلروح ٱلمعلوم وٱلهداية ٱلمحكمة. وتجرى ٱلتسوية للخلق رحمة رحمة فى وعآء هو «ٱلرَّحم». وتفعل فى قوة جريان ٱلتسوية قوة ٱلفاعل ٱلجدلىّ «رحمٰن/ رحيم».

لا توجد فى ٱلألسن ٱلأخرى كلمة تدل على ٱلفاعل «رحمٰن» لا قبل ورود ٱلقرءان ولا بعد ذٰلك.

وجآء فى ٱلبلاغ ٱلعربى أنّ هٰذا ٱلفاعل لا تعرفه ٱلألسن قبل ٱلقرءان:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ ٦٠ ٱلفرقان.

وإذا نظرنا فى ٱللّسان ٱلانكليزى. وهو أوسع ٱلألسن تطورًا بسبب ٱستعماله

للتعريب عن كشوف ٱلعلم ٱلبحثى بكل ألوانه. نجد أنَّ ٱسم «ٱلرحمٰن» يقابله فى ٱلِّسان ٱلانكليزى قولان:

The most Gracius/ The most Merciful.

وفى ٱلقولين مفهومان يتعلقان بوصف فعل ٱلفاعل «رحمٰن» ولا يحيطان بدليله. لأن ٱلفعل «رَحَمَ» فعل جامع لِّقوى جميع أفعال ٱلتسوية وله سمة فاعله «رحمٰن».

ويبيّن ٱلبلاغ أنَّ ٱلفاعل «رحمٰن» هو صاحب ٱلسلطة فى جميع ٱلقوى ٱلفاعلة فى ٱلتكوين:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ ٥ طه.

وٱلعرش هو ملك ٱلأمر وٱلقيام وٱلثبات عليه وٱلارتفاع فيه. وقد سبق قولى فى كلمة ٱلعرش فى بحث ٱلمِلُّوت. أما كلمة «ٱستوى» فدليلها من دليل ٱلفعل «سَوَىَ». وتدلّ على تسوية أىِّ شىء ليكون مساوٍ لخلقه ٱلمقدّر سوآء ءكان ذٰلك فى ٱلوزن أم فى ٱلكيل أم فى ٱلمقدار أم فى ٱلصبغ أم فى ٱلرعد.(*) وٱلرّحمٰن هو ٱلفاعل ٱلمسئول عن ٱلتسوية بزواج ٱلذَّرِّ (كوارك وكوارك مضاد/ بويضة ونطفة) ٱلمتشابهين وغير ٱلمتشابهين فى ٱلمقدار وٱلرعد وٱللون.

وبيّن ٱلبلاغ أنَّ سلطة «ٱلرَّحمٰن» بدأت بعد ٱلخلق ومع بدء ٱلتسوية له. وهو ٱلفاعل فى جريان ٱلفعل «رَحَمَ»:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ ٥٩ ٱلفرقان.

وفاعل ٱلفعل «خَلَقَ» هو ٱللّه ٱلخالق. وٱسم ٱللّه جامع لِّدليل كل ٱلأسمآء ٱلحسنى. وهو ٱلنور ٱلمبين لأفعال جميع أسمآئه.

(*) ٱلصبغ هو كلمات ٱلأية (جينوم مثلاً) وٱلرعد هو ٱلكهرومغنطيسية وٱلعلامة مثل (+ و-) وذكر وأنثى.

وٱلخَلقُ هو وضع ٱلخطط لإنشآء شىء أوَ أمر وفق تقدير محدَّدٍ ومعلوم وموَّجه. وفى ٱلخلق علم بكل أطوار تسوية ٱلحقِّ وألوانه من دون غفل أو سهو أو نسيان أو لعب. وهو إبداع ٱللَّه ٱلّذى تبيِّنه أسمآء أفعاله ٱلحسنى. ويتعدد ٱلخلق ٱلإلٰهى بتعدد أطوار ٱلتسوية ٱلّتى تشترك فيها كل ٱلأفعال ٱلحسنى تحت سلطة «ٱلرَّحمٰن» ٱلمرسلة فى جميع أطوار ٱلتسوية بٱستثنآء طور ٱلروح. وهو طور ٱلخلق قبل ٱلتسوية وطور ٱلانتقال بواحد من ٱلأشيآء ٱلتى كملت تسويتها من سمة «هدى» إلى سمة «ذكر ودرى ودرك وعلم وعقل».

فى ٱلبلاغ ٥٩ ٱلفرقان طلب لِّتوجيه ٱلسؤال إلى خبير. وهو ٱليوم خبير فى مسآئل ٱلتكوين ٱلميِّت وٱلحىّ على ٱلسوآء. وهم (علمآء ٱلفيزيآء وٱلكيميآء وٱلبيولوجيا وٱلكوسمولوجيا).

وبيّن ٱلبلاغ أنّ سلطة وتحكم «ٱلرّحمٰن» قآئمة فى كل شىءٍ:

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ ٩٣ مريم.

هٰذه ٱلسلطة للرحمٰن هى سلطة ٱلربّ ٱلتى تتحكم بسنّته ٱلتى تجرى فى ٱلتطور ٱلمقدارى وبها يزداد مقدار ٱلمربوب زيادة تراكبية تنسخية:(*)

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ﴾ ٣٧ ٱلنبأ.

ويبيّن ٱلنظر فى ٱلبلاغ أنّ للرّحمٰن عصيًّا:

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ ٤٤ مريم.

كما يبيّن أنَّ ٱلفعل «رحم» يجرى فى ٱلضَّلال:

﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ ٧٥ مريم.

يبين خطُّ ٱسم «ٱلرحمٰن» فى ٱلقرءان علامة ٱلعدد واحد (ٰ) فوق ٱلمِم. وهٰذا يدل علىَ أن جريان ٱلفعل «رَحَمَ» فىَ أىِّ ءايةٍ تبيِّنه إثارة ٱلنظر فيها. وهنا يبرز عمل ٱلخبير «فَسَئَل به خبيرًا». وٱلخبير هو ٱلّذى يقرأ كتاب ٱلأية ويعلم كيف

(*) ٱلزيادة فى عدد ومقدار ٱلعلق (ٱلخلايا) ٱلحية مثلاً.

بدأ خلقها. ولهٰذا ٱلخبير يظهر موقع ٱلثور وتصير ٱلكلمة بٱلنسبة له «رحمان». بعد أن علم بٱلفعل وفاعله. ولهٰذا ٱلفعل وٱلفاعل بيان فى كلِّ أيةٍ معرّف ومقلّم ومسطّر فيها. وعمل ٱلخبير يتوجه إلى ٱلنظر فى علامات ٱلأية. يتعرف عليها ويميزها بٱلتفصيل. ثم يبدأ قرء تلك ٱلعلامات ويقلّم قروءه فيها ويسطر ذٰلك فى بيان يخرج به للناس بلاغًا عن كتاب هٰذه ٱلأية.

وإذا غاب عمل ٱلخبير تحلُّ ٱلضلالة. وهنا نرىَ أنَّ ٱلفعل «رَحَمَ» يستمر فى ٱلجريان «فليمدد له ٱلرَّحمٰنُ مدًّا». فيزداد ٱلضلال ويتراكم ويتطور. حتى يصل ٱلضَّالُّ إلى موقف ٱلعصيِّ ٱلشَّيطانى ويمنع ظهور ٱلبيان وٱلتعريف «إِنَّ ٱلشَّيطٰن كان للرَّحمٰن عصيًّا». وهٰذا من جريان ٱلفعل «رَحَمَ» فى تكوين ٱلأفكار وٱلمفاهيم. ولجريانه هنا وجهتان:

ٱلأولى رحمانية تنجم عن عبادة ٱلأمر ٱلإلٰهى:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

وفيه أمر لِّتوجيه ٱلنظر إلى ٱلحقِّ. وما فيه من بيان يأتى به ٱلنظر تعريبًا لِّما فى كتاب ٱلحقِّ.

وٱلثانية شيطانية تنجم عن ٱلضلال ونقص ٱلعلم وٱلميل إلى ٱلغضب وٱلسرعة فى ٱلقول وٱلفعل وهلاك ٱلصبر على ٱلنظر (عبادة ٱلعجل).[(١)] وهٰذا ما تدل عليه كلمة «شيطٰن» من ٱلأصل «شَيَطَ». وفى دليله ٱلأفعال (عجل ونقص وجهل ونسى وغضب وضلَّ وهلك وبلس). وعلامة ٱلثور فوق ٱلطيت «طٰ» ترشدنآ إلى موقع إثارة ٱلثور للنظر فى قوة ٱلشيط وتعريبه وكشف أسبابه (ش سنّ وسيلة شقٍّ ومزقٍ وقطعٍ وهٰذا ينشأ عنه عيب وقبح. يـ يد. ط حنش يدل على قوة ٱلتفاف ومسك ولوىّ). فشَيَطَ فعل يعيب ويلوى ٱلحقَّ بيدٍ قوية. وسبب جريانه هو ٱلنسيان وٱلظَّنُّ وٱلتمنّى وٱلامتناع عن ٱلسَّير وٱلنظر فى كيف بدأ ٱلخلق. وفى

(١) كتاب «منهاج ٱلعلوم» ٱلأول بحث «ٱلدليل فى ٱلسان ٱلعربى».

ٱلوجهتين يجرى ٱلفعل «رَحَمَ» وفق سنَّة ٱلربِّ وسلطة ٱلرحمٰن. فتنشأ وتتزايد أفكار ومفاهيم لّكلِّ وجهةٍ. وهٰذا يوافق ٱلخلق ٱلمبلَّغ عنه فى ٱلبلاغ.

مع ٱلاسم «رحمٰن» ٱلمرسل فى ٱلوجهتين ٱلاسم «رحيم». ويبيّن خطُّ ٱلكلمة بين ٱلحيط وٱلمآء يدا تمسك بهما. وٱليد بلا كفٍّ تدل على قوة تأييد من دون توجيه. وهى تدل على قوة تأييد فى ٱلقيد. وهٰذا ٱلمفهوم يظهر فى ٱلبلاغ وفيه يقرن ٱلاسم «رحيم» بٱلتوبة وٱلرأفة وٱلودّ وٱلمغفرة وٱلعزّ:

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٣٧ و ٣٤ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٤٣ ٱلبقرة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٩٢ ٱلبقرة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٠٤ ٱلشعرآء.

كما يقترن مع ٱلاسم «رحمٰن» قرن جدلية مرسل مقيد:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ١ ٱلفاتحة.

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ١٦٣ ٱلبقرة.

وتبيّن لنا هٰذه ٱلجدلية أنَّ ٱلاسم «رحمٰن» هو فاعل قوة جريان ٱلفعل «رَحَمَ» ٱلمرسلة فى تكوين ٱلحقِّ وٱلأفكار وٱلمفاهيم وفى وجهتيهما. وأنَّ ٱسم «رحيم» هو فاعل قوة ٱلقيد ووقف جريان ٱلفعل عند حدود ٱلعلامة للشىء وأقلامه وسطوره. سوآءٌ ءكان ذٰلك فى ٱلتكوين ٱلحقِّ أم فى ٱلأفكار وٱلمفاهيم.

فٱلرَحَم هو ٱلوعآء ٱلّذى يجرى فيه ٱلفعل «رَحَمَ» بقوة ٱلجدلية «رحمٰن/ رحيم». وبين أيدينا أمثلة على هٰذا ٱلوعآء فى رحم ٱلأنثىَ (أىّ أنثى). وفيه دليل مَّحسوس على وعآء تسوية ٱلخلق للسَّمٰوٰت وٱلأرض. كما يدلنا على وعآء تسوية خلق ٱلإنسان وٱلأنعام وكل ألوان ٱلدَّوابِّ.

نشأت سور ٱلبنآء فى مجموعتنا ٱلشمسية من لقآء بين ٱلذَّرِّ ٱلخارج من

ٱلشمس مع ٱلذَّرِّ ٱلآتى من ٱلنجوم وفى مكانٍ قريبٍ من ٱلشمس. وهى تمثل ٱلأنثى ٱلوالدة للكواكب وٱلأقمار فى ٱلمجوعة ٱلشمسية. ويدلنا ٱلبلاغ على ٱللون ٱلأنثوىّ للشمس:

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ ٧٨ ٱلأنعام.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت﴾ ١٧ ٱلكهف.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ٨٦ ٱلكهف.

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ١ ٱلتكوير.

ٱلكلمات (بازغة/ وجدها/ تغرب/ كُوِّرت) تدل أنَّ ٱلفاعل أنثى.

أما ٱلنجوم فتمثل ٱلذكور. وٱلبلاغ يدلنا على ٱللون ٱلذكرىّ للنجم:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ٱلنجم.

﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ ٣ ٱلطارق.

ولنا فى مملكة ٱلنحل شبه مَّع ٱلشمس وٱلنجوم وٱلكواكب حيث ملكة ٱلنحل هى ٱلوالدة وٱلأم ٱلحاضنة. وهى واحدة فى مملكتها وذكورها كثر.

ومثلها ٱلشمس ملكة وٱلدة وأمّ حاضنة لِّأولادها ٱلأرض وٱلكواكب وٱلأقمار. وجميع ٱلنجوم ذكور ترسل ذرَّها نحو ذرِّ ٱلشمس. ويجرى ذٰلك كما يحدث فى رحم أنثى ٱلإنسان وٱلأنعام ومنه يسوى خلق ٱلجنين. أىّ جنين كوكب أو قمر. ويلتقى ٱلذَّرُّ ٱلنجمىّ (ٱلأشعة ٱلكونية ٱلقادمة من ٱلنجوم) ٱلذَّرَّ ٱلشمسىّ فى رحم ٱلشمس (غلافها). ومن هٰذا ٱللقآء ينشأ ٱلجنين كوكب أو قمر. وهذا ما يبيّنه قول خبير:

[أن الريح الشمسية لا تهب بانتظام من جميع النقط الواقعة على الشمس. وبعض أهم منابع الريح الشمسية هي العرى الساطعة ٱلّتى تصل إلى ارتفاعات عالية فوق سطح الشمس فى جوار الدائرة الاستوائية للشمس. وثمة ظاهرة أخرى لإكليل الشمس هي الاختفاء الواضح للمادة المرئية. ونسمي هذه الظاهرة الثقب

الإكليلي. ويمكن أن تحدث الثقوب الإكليلية فى أي مكان على سطح الشمس، ولكنها تظهر عادة عند المنطقتين القطبيتين. وهذه الثقوب تبث سيولاً من الريح الشمسية تتحرك إلى خارج الشمس بسرعات كبيرة نسبياً.

سخونة إكليل الشمس شديدة ـ نحو مليون درجة كلفن ـ لدرجة أنَّ الذَّرات المتعادلة تُحَرِّر إلكتروناتها السالبة الشحنة وتحتفظ فقط بالأيونات الموجبة الشحنة. ولكن الإكليل الساخن والريح الشمسية الخارجة منه متعادلا الشحنة، لأن كليهما يتكون من أعداد متساوية من شحنات موجبة للأيونات وشحنات سالبة للإلكترونات. وعلى الرغم من الجذب المتبادل بين الأيونات والإلكترونات فى الريح الشمسية، فإنها لا تتحد ثانية ـ كثافة المادة صغيرة بدرجة تجعل احتمال اجتماع الجسمين بعيداً جداً.

منذ سنوات عديدة عرف العلمآء أن الشمس ليست المصدر الوحيد للجسيمات المشحونة الموجودة فى الفضاء الكوكبي، إذ أن هناك بعض الجسيمات الأخرى هي ذرات فقدت إلكتروناتها وتسارعت فى أمكنة أخرى من المجرة إلى ما يقرب من سرعة الضوء. وقد أطلق العلمآء على هذه الجسيمات ذوات السرعات العالية اسم «الأشعة الكونية». تحقق الباحثون بسرعة أن السريان الخارجي للريح الشمسية لا بد أن يمنع، اقتراب الأشعة الكونية (القادمة من المجرة) من الشمس. وعلى ذلك، فثمة جزء فقط من هذه الأشعة يشق الطريق إلى داخل الغلاف الشمسي، إذ يجب عليها على سبيل ذلك، أن تتغلب على عقبات متزايدة الصعوبة، مثلها فى ذلك مثل أسماك السلمون (سليمان) الّتى تسبح إلى أعلى النهر ضد الّتيار لتضع بيضها. إن الكثافة المنخفضة للمادة تضمن تماماً عدم اصطدام الأشعة الكونية بالريح الشمسية. ومع ذلك، فبعد أن تترك الريح الشمسية الجوار الشمسي، تحمل معها جزءاً من حقل الشمس المغنطيسي. ومن ثم تقع الأشعة القادمة تحت تأثير القوى الّتى تؤثر بها الحقول المغنطيسية فى الجسيمات المتحركة والمشحونة كهربائياً. تؤدي مثل هذه القوى إلى أن تلتف

الأشعة الكونية حول خطوط الحقل المغنطيسي آنياً أثناء انجراف هذه الأشعة فى اتجاه الحقل. ويمكن أيضاً للأشعة الدوارة أن تقابل موجات مغنطيسية تنتشر فى اتجاه خطوط الحقل المغنطيسي بطريقة تشبه رفرفة العَلَم. وتسبب هذه الموجات تغيير اتجاه الحقل المغنطيسي فجأة مما يعوق سريان الجسيمات المشحونة. والواقع أن الشعاع الكوني المتجه نحو الشمس يشبه سباحاً يحاول دخول المحيط عند وجود موجات قوية تتكسر على الشاطئ. توجد أنواع كثيرة من الجسيمات الّتى تتحرك بسرعات فائقة فى الغلاف الشمسي وهي جسيمات تختلف عن الأشعة الكونية. ويطلق الفلكيون على هذه الجسيمات اسم «الجسيمات الشمسية العالية الطاقة» وعلى الرغم من أن تركيب هذه الجسيمات يشبه تركيب الأيونات الموجودة فى الريح الشمسية فإنها تتحرك أسرع بكثير من هذه الأخيرة].[١]

فى هٰذا ٱلقول وصف لحركة ٱلذَّرّ ٱلنجميّ وهو يشق سبيله إلى داخل «غلاف ٱلشمس». وفيه شبه بلقاء ذرّ ٱلذكر (ٱلنطفة) وذرّ ٱلأنثى (ٱلبويضة). كذلك فيه وصف لانقسام ٱلسور ٱلشمسية وٱلسور ٱلنجمية إلى ذرٍّ لا يعود إلى لقآء مع بعضه. ولهذا ٱلوصف شبه بأنقسام ٱلبيوض ٱلذكرية إلى نطفٍ وٱلبيوض ٱلأنثوية إلى بويضات لا يعود أىّ مِّنهآ إلى ٱجتماع.

ويظهر ٱلقول أنَّ سخونة «إكليل الشمس» تسبب ٱنقسام ٱلسور «إلىَ أعداد متساوية من شحنات موجبة للأيونات وشحنات سالبة للألكترونات»[*] من دون عودة إلى ٱجتماع بينهما.

---

(١) مقال «مهمة أوليس» مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٤ العددان ٨/ ٩ - ١٩٩٨ خطوط ٱلتشديد لنا.

(*) ٱلانقسام هو تنصيف للمقسوم من حيث عدد ٱلصبغ فى كل منها يساوى نصف ٱلعدد ٱلأصل وكلمة «سورة» عندنا بدلاً من كلمة «ذرة» فى ٱلمقال كماَ أن كلمة «ذرّة» عندنا تشمل كل من ٱلكواركات وٱلليبتونات ٱلّتى يتكون منها ٱلبروتون وٱلإلكترون ومن وحدتهما تتكون ٱلسورة ٱلمغلقة على نفسها بٱلإلكترون.

كما يبيّن أنَّ ٱلذَّرّ ٱلشمسيّ لونان متشابهان فى تركيبهما. وأحدهمآ أسرع فى حركته من ٱلأخر «الجسيمات الشمسية العالية الطاقة».

كما يبيّن ٱختلافها عن ٱلذَّرّ ٱلنجميّ «الأشعة الكونية».

ويبين هذا ٱلوصف شبها كبيرا بوصف ٱلحدث ٱلحيويّ ٱلّذى يجرى فى كلٍّ من مبيض ٱلأنثى ومبيض ٱلذكر (ٱلخصى). وهو عند ٱلاثنين متشابه فىَ أطوار ثلاثة وينفرد ٱلذكر بطور رابع هو طور ٱلتغير.

وفى مبيض ذكر ٱلإنسان (ٱلخصى) قريب من ألف نفق (أنبوب) تقع فى جدرانها بيوض متزاحمة على هيئة دآئرية تتكون منها طبقات متميزة عن بعضها بطور ٱلنضج ٱلّذى وصلت إليه. وفى ٱلطور ٱلأول تتكاثر ٱلبيوض بٱلنسخ (بيضة طبق ٱلأصل). وفى ٱلطور ٱلثانى تربو فى هيئتها (حجمها). وفى ٱلطور ٱلثالث تنقسم ٱلبيضة إلى بويضتين فى كل منها نصف عدد ٱلصبغ ٱلأصل مع ٱختلاف فى لون ٱلصبغ (فى بويضة x وفى ٱلأخرى y). ثم تتكاثر فى هٰذا ٱلطور ٱلبويضات بٱلنسخ (بويضة طبق ٱلأصل). وفى ٱلطور ٱلرابع تنتقل إلى نفق أعلا وفيه تجرىَ أفعال ٱلتحول فى هيئتها ٱلبيضيَّة فينشأ لها رأس ورقبة وذنب وتصير (نطفة) قادرة على ٱلسباحة فى سآئل ٱلمنىّ بقوة حركة ٱلذنب.

أما فى مبيض ٱلأنثى فٱلأطوار ٱلثلاثة تشبه ما يجرى فى مبيض ٱلذكر. وتنقص عنها فى ٱلطور ٱلرابع. كما هو فى وصف علمآء ٱلحياة (ٱلبيولوجيا). وأرىَ أنَّ هٰذا ٱلطور (ٱلرابع) هو ٱلطور ٱلّذى ينشأ فيه حول ٱلبويضة سُور من ٱلشُعب ٱلّتى تشبه شُعب ضوّء ٱلشمس. وهو طُور ٱلتحول فى هيئتها كما يحدث فى ٱلتحول إلى نطفة.

تخرج نطف ٱلذكر جميعها محمولة فى ٱلمنىّ (ذات ٱلصبغ x وذات ٱلصبغ y). وتتوجه إلى رحم ٱلأنثى عبر بوابة بكيّة تدفع ٱلمنىَ إلى بطن ٱلرحم. وحركة y أسرع من حركة ط كما هو فى ٱلذَّر ٱلشمسىّ.

أما بويضة ٱلأنثى فتخرج من ٱلمبيض إلى نفق ٱلرحم ٱلداخلىّ (قناة فالوب).

وحركتهآ أقل نشاطًا مِّن ٱلنطفة ٱلذكرية. وحياتها أقصر. فإذا لم يحدث مسّ (إلقاح) تموت وتقوم ٱلبالعات (ٱلكريات ٱلبيضآء فى ٱلدم) بتفتيتها وٱبتلاعها.

وفى ٱلثلث ٱلأعلى من نفق ٱلرحم ٱلداخلىّ تلتقى ٱلنطف ٱلذكرية بٱلبويضة ٱلأنثوية. وتقذف ٱلنطف على شُعب ٱلسُّور ٱلمحيط بٱلبويضة خميرًا (إنزيمًا) يفكك تلك ٱلشعب ويفتح سبيلا إلى داخل ٱلبويضة. تنفذ منه نطفة واحدة. ويبدأ ٱلمسّ (ٱلإلقاح). فينشأ حول ٱلبويضة غلاف يمنع نفوذ نطف أخرى. وينشأ عن هٰذا ٱللقآء علقة (زيجوت) عدد صبغها (كروموسوماتها) هو عدد صبغ هٰذا ٱللون ٱلحىّ. نصف ٱلعدد من ٱلذكر ٱلوالد وٱلنصف ٱلأخر من ٱلأنثى ٱلوالدة.

وفى ٱلبلاغ ٱلعربىّ بيان لحدث ٱلذَّر وقسمه وتنصيف ٱلصبغ بين ٱلقسمين:

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا (١) فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا (٢) فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا (٣) فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا (٤)﴾ ٱلذّاريات.

وفيه دعوتنآ إلى ٱلنظر فى جميع ٱلأرحام وٱلعقل بينها وبين ذَّرِّها:

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ ٥٣ فُصِّلت.

وبٱلنظر فى ٱلأرحام وبيان ما ينجم عن ٱلفعل «رحم» وٱلفاعل «ٱلرحمٰن» فيها يتبيّن ٱلحقّ فىٓ أنفسنا ٱلّذى يشابه ٱلحقّ فى ٱلأفاق. كما هو ٱلرحم ٱلشمسىّ فى مجموعتنا ٱلشمسية. وهٰذا يبيّن أنَّ ٱلفاعل واحد هو ٱللّه ٱلخالق ٱلرّحمٰن. وأن فعله يجرى بٱسم «ٱلرَّبِّ» وٱسم «ٱلرحمٰن» فى ٱلتكاثر ٱلنّسخىّ وٱلانقسامىّ فى ٱلسُّور ٱلابتدآئية ٱلأربعة (ٱلعلق ٱلقلم ٱلمزَّمل ٱلمدَّثر). ومنها يتكون ٱلذّرُّ. سوآءٌ ءكان نجمًا أم شمسًا. ذكرًا أم أنثى. وإنَّ ٱسم «رحيم» هو ٱلفاعل فى ٱلتوبة وٱلرأفة وٱلمغفرة وٱلودّ وٱلعزّ وٱجتماع ولقآء ٱلذَّرِّ. ٱلّذى ينشأ عنه تكوين سورة. وأول ٱلسُّور هى سورة «ٱلفاتحة» ٱلكاملة فى عدد ٱلصبغ. ثم يعود ٱلفعل بٱسم «ٱلرَّبِّ» وٱسم «ٱلرحمٰن» فيزداد عدد ٱلسُّور ٱلابتدآئية ٱلّتى تبدأ تترابط فيما بينها

بانية باقى ٱلسُّور ٱلـ ١١٤. ويكمل ربّوّ ٱلكوكب وٱلقمر من ٱلسُّور وٱلكآئن ٱلحىّ من ٱلعلق. كلّ منهما فى رحمٍ يناسبه.

بيّنت فى كتابى ٱلأول «منهاج ٱلعلوم»[1] مواقع ٱلنزول ودليل ٱسم كل منها. وأقول هنآ أن مواقع ٱلنزول تبيّن لنا هيئة ٱلرَّحم بدءًا من ٱلموقع «بكّة» وٱنتهآء بٱلموقع «بعرفات فى حجة ٱلوداع». وأنَّ تصوير مناسك ٱلحج من أعلا يظهر حركة ٱلذّرّ فى ٱلرَّحم ٱلمجرّىّ. وكذٰلك هيئة ٱلمسرع ٱلفيزيآئىّ ٱلموافق له.

أما هيئة ٱلرَّحم عند ٱلإنسان فهى ءاية بيّنة «فىٓ أنفسنا». وٱلنظر فيها يبيّن لنا جريان ٱلفعل «رَحَمَ» من خلقٍ وتسويةٍ فى كل ٱلأرحام ٱلأخرى. ومثل ما فى ٱلأرض من إناث ملونة ذات أرحام ملونة كذٰلك هىَ أرحام ٱلسمآء. وكل تجمع سماوىّ له رحمه. وفى ٱلأرحام ٱلّتى تحيا على ٱلأرض ما يشابهها فى ٱلسَّمٰوٰت ٱلسبع. وقرء ما فى ٱلأرحام ٱلحية وعقل هيئاتها ببعضٍ ومقارنة ذٰلك مع هيئات مسرعات ٱلفيزيآء ٱلّتى صنعها ٱلإنسان ٱلعالم ٱلخبير ٱلّذى قام على ظلام كهنوت ٱللغة ٱلفصحى ٱللاتينية وٱنطلق ينير لنفسه ويعبد ربّه ويقرأ بٱسمه يساعد فى خلق وتسوية أرحام صنعية أخرى تتفق مع هيئة كل رحم حىّ علىَ أرضنا.

كمآ أن قرء ما فى مبيض ٱلذكور وبيان سبيل نشؤ نطفها وسبيل لقاحها لبيوض إناثها يكشف لنا ٱلسبيل فى ٱلتجمعات ٱلكونية جميعها. ونوصل إلى تحقيق ٱلمأرب من ٱلأمر:

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ ٢٠ ٱلعنكبوت.

ومنه إلى ٱلحقّ ٱلّذىَ أتى به ٱلبلاغ وفيه حتمية علمنا بٱلنشأة ٱلأولى:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢ ٱلواقعة.

ٱلسُّور ٱلشمسية (هيدروجين وهيليوم) تنقسم بفعل شدَّة ٱلحرّ إلى ذرّ (-) يخلو من ٱلطاقة وذرّ (+) يخزن طاقة. ويخرج ٱلذّرُّ بلونيه إلى ما يسميه ٱلباحثون

---

(١) بحث «ٱلقرءان ١١٤ سورة».

بٱلريح ٱلشمسية. وهنا يجرى لقآء ٱلذَّرِّ ٱلشمسىّ مع ٱلذَّرِّ ٱلقادم من ٱلنجوم بلونيه (+) و(−). فتندفع طاقة ٱلملء (+) إلى داخل ٱلخلوِّ (−). وتتوزع بين ٱلذَّرَّين ٱلنجمىّ وٱلشمسىّ فتنشأ ٱلسُّورة ٱلّتى تبدأ بعد ذٰلك بٱلارتباط مع ٱلسُّورة ٱلأخرى بما يشبه بنآء ٱلحجارة ٱلموضون. ويربو ٱلبنآء ويزيد. فينشأ عن ذٰلك ءاية مبصرة. ويحدث ذٰلك كما فى تكاثر بعض ٱلكآئنات ٱلحية ٱلفطرية. فإن ٱلترابط بين سور ٱلفطور لا يحدث بتوسط طاقة ٱلتماثل (الاستطراق) كما جرى مع ٱلذَّرِّ (−) و(+). بل هناك قوة شدٍّ رعديّة لم يُعرب عنها ٱلعلم ٱلناظر حتى ٱلأن تدفع بٱلسُّور ٱلمتماثلة للترابط وٱلرِّبوِّ وصنع ٱلسُّور ٱلـ ١١٤ (عناصر ٱلطبيعة). ٱلعامل فىَ ألوانها وٱختلافها عن بعضها يأتيها من ألوان ٱلنجوم ٱلقاذفة بذَّرِّها وجهة رحم ٱلشمس. وهٰذه ٱلسُّور تتجمع كتجمّع ٱلفطور لتكوّن جسدًا يكبر ويزداد حتى يكمل كوكبًا أو قمرًا. وهما يشبهان كلا مِّن ٱلذكر وٱلأنثى ٱلحييّن. حيث ٱلكواكب ذكور وإناث وٱلأقمار ذكور.

ٱلكوكب يبدأ ذكرًا. وعندما يكبر يتحول إلى أنثى (عطارد ذكر. ٱلزهرة أنثى عذرآء. ٱلأرض أنثى وٱلدة وزوجها ٱلقمر. ٱلمريخ أنثى هرمٌ عقيمٌ).

وهٰذا يشبه بعض ٱلكآئنات ٱلحية. فٱلدودة ٱلكبدية وٱلديدان ٱلشريطية ودودة ٱلأرض وٱلعلق ٱلطبىّ وبعض ٱلرخويات وٱلأسماك. يبدأ ٱلفرد منها حياته ذكرًا. وعندما يكبر يتحول إلىَ أنثى. وفى جسمه كل لوازم ٱللونين.

رأى علمآء ٱلنظر ٱلّذين يتبتَّلون للنظر فىَ ءَايات ٱلسمآء أنَّ ٱلنجم يتكون من خليط من ٱلنجوم:

(ذات الكتل الصغيرة والكبيرة والغاز والغبار فى تشكيل ما يسمى غيمة «سحابة» جزيئية molecular cloud من المعروف أن مثل هذه الغيوم توفر المواد الخام اللازمة لتوليد نجوم جديدة).[1]

---

(١) «الأيام المبكرة فى حياة نجم» مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٦ العدد ١٢/ ٢٠٠٠.

وأرى فى هٰذا ٱلقول ٱلّذىَ أقاربه مع تكون ٱلكوكب وٱلقمر عن ٱلتجمع ٱلشبيه بٱلتجمع ٱلفطرىّ أنَّ ٱلتكوّن ٱلنجمىّ يرافقه تكون شمسىّ شبيه وفى ذات ٱلسمآء. وهو تكون يخص ٱلتكوينات ٱلمولدة للكواكب وٱلأقمار.

ٱلنجم قد يبدأ حياته نجمًا ذكرًا. وعندما يكبر قد يتحول إلى شمس أنثى. ومن ٱلنجوم من يبقى ذكرًا كما ٱلقمر ذكر من ٱلبداية. وٱلوالد للكواكب وٱلأقمار هو جميع ٱلنجوم ٱلّتى نشرت وما زالت تنشر ذرَّها فى ٱلسمآء. وفى كلٍّ منها مورثات من ٱلنجم ٱلّذى نشرهآ. أما ٱلوالدة فى ٱلمملكة ٱلشمسية فهى واحدة «ٱلشمس».

وٱلسُّور ولدت من ٱلذَّرّين بدءًا مِّن سورة ٱلفاتحة (ٱلهيدروجين) وحتى ٱلسُّورة ١١٤. وكل سورةٍ لها وزنها وكيلها. وكلٌّ واحدة مقلمة عن غيرها.

وهٰذه ٱلسُّور لا يمكن أن تنشأ فى ٱلكوكب ولا حتى فى ٱلشمس ٱلّتى لا يوجد فيها إلا «ٱلهيدروجين وٱلهيليوم» وذرُّها من هاتين ٱلسورتين.

وكذٰلك ٱلنَّجم ذرُّه من منشإٍ زوجىّ كما فى ٱلشمس. ولذرِّه ميراث متعلق به. وتلوُّن ٱلذَّرِّ يدل على تعدُّد ٱلنجوم وألوانها. وٱلنجم يتكون من ٱجتماع ٱلسُّور وكنزها حتى يصل ٱلنجم إلى طور ٱلثاقب. فتبدأ ٱلسُّور بٱلانقسام إلى ذرٍّ يخرج من ٱلنجم ويسير مبتعدًا عنه بسرعة ٱلضوّء فى ٱلسمآء.

أما ٱلذَّرُّ ٱلشمسىّ فينشأ عن ٱنقسام سور (ٱلهيدروجين وٱلهيليوم) عند ٱلسطح. ثم يخرج إلى غلاف ٱلشمس. ويبقى ٱلذَّرُّ ٱلشمسىّ هنا حتى يصل إليه ٱلذَّرُّ ٱلنجمىّ. ويحدث ٱلتزاوج وتتكون سورة جديدة. وإذا لم يحدث ٱلتزاوج ينقسم ٱلذَّرُّ ٱلشمسىّ إلى ذَرٍّ أصغر ويسير بسرعة ٱلضوء مبتعدًا عن ٱلريح ٱلشمسية على هيئة ضوّء ينتشر فى ٱلسمآء.

وأولاد ٱلشمس وٱلنجوم هى ٱلكواكب وٱلأقمار. فٱلقمر ذكر من بداية نشأته وحتى زواله.

أما ٱلكوكب فيبدأ ذكرًا ثم يتحول إلىَ أنثى.

وأكثر ٱلذكور تأثيرًا على ٱلأنثى ٱلكوكبية هو ٱلقمر. حيث يكوّن معها زوجين مثل ٱلأرض وٱلقمر.

وتزوّد ٱلشمس جميع أولادها بٱلذّرّ ٱلمفتّت على هيئة ضوّء. أما ٱلقمر فيزود ٱلأرض بٱلنور. وتشاركه فى ذٰلك جميع ٱلكواكب. فتولد فى رحم ٱلأرض ألوان ٱلحياة ٱلموافقة لألوان ٱلنور ٱلقادم إليها من عدّة ٱلحياة ٱلقمرية ٱلاثنا عشر شهرًا.

لقد أتى فى ٱلبلاغ عن ٱلكوكب:

﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ ٣٥ ٱلنور.

ٱلفعل «درَّ» تدلّ عليه ٱلأفعال (سال وصبَّ وملأ).

وأتى عن ٱلذّرّ ٱلشمسىّ وٱلقمرىّ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ ٥ يونس.

وفرق بين ٱلشمس وٱلقمر وٱلنجوم:

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ ٥٤ ٱلأعراف.

وبيّن أن سلطتنا كخليفة على ٱلّيل وٱلنّهار وٱلشمس وٱلقمر. وأنّه لا سلطة لنا على ٱلنجوم:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢ ٱلنحل.

لقد بيّن ٱلبلاغ ٥٤ ٱلأعراف أنّ ٱلجميع مسخَّر بأمر ٱللّه وجعل بعضها مسخَّرًا لّنا فى ٱلبلاغ ١٢ ٱلنحل. وبيّن سلوك ٱلذّرِّ:

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣)﴾ ٱلصّافات.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٢) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٣) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٤)﴾ ٱلذّاريات.

وقد جآء قولى فى كتاب «ٱلاستنساخ» وفى كتاب «ٱلكلمة» فى ٱلبلاغات ٱلمتعلقة بٱلصَّفّ وٱلذّرّ وٱلزّجر وٱلذّكر وحمل ٱلثقل وٱلقسم وٱلأمر. وكلُّ هٰذا يتعلق بسلوك ٱلذّرِ ٱلّذى يبدأ ٱلبنآء به فى كل ألوان ٱلبنآء ٱلميت وٱلحىّ على

ٱلسَّوآء. وكل ذٰلك يجرى بقوة ٱلفعل «رحم» وفى وعآء هو «ٱلرَّحم» وٱلفاعل هو «رحمٰن - رحيم» وينشأ عن فعله «رحمة».

**

أتى فى ٱلبلاغ:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٤٩ ٱلذّاريات.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦)﴾ ٱلنجم.

ورأى ٱلناظرون فى كيف بدأ ٱلخلق أنّ (ٱلكواركات لا تظهر إلا لاصقة بعضها ببعض على شكل أزواج).[1] وبذلك تتبادل رؤيتهم ٱلتصديق مع ٱلبلاغ.

وبيّن ٱلبلاغ أنّ ٱلعقيم تلد. وأنّ ٱلعذرآء تلد من دون زوجٍ ومن دون مسٍّ. وهذا ما يصدّقه ٱليوم علمُ ٱلاستنساخ.

ورأيت بٱلاستنباط أنّ ٱلعذرآء ٱلتى تلد بٱلاستنساخ هى «ٱلزهرة» ٱلكوكب ٱلأنثى ٱلعذرآء. وفاعل ٱلنسخ هو ٱلإنسان ٱلعالم «يوسف» ٱلّذى «جعل ٱلسقاية فى رحل أخيه ثم ٱستخرجها من رحل أخيه».[*] وهٰذا يجرى بفصل ٱلمآء عن ٱلكبريت فى رحلها (غلافها ٱلجوى). وبهٰذا ٱلفعل سنعلم بٱستقرار ٱلنبإ عن «ٱلفلك ٱلمشحون» ٱلّذىَ أقامه «نوح». وفى داخله مخازن لحبوب ٱلحياة جميعها. وهى ملقحة وقابلة للنسخ. وٱلفلك ٱلمشحون مركبة فضآئية تحمل إلى ٱلكوكب ٱلعذرآء «ٱلزهرة» تلك ٱلحبوب ٱلحية. وتوضع فىَ أوعية للنسخ وٱلرِّبوِّ حتى تصل إلى تسويتها ٱلخلقية. فتبدأ مسيرتها ٱلحية فوق ٱلكوكب ٱلعذرآء. وفى ذٰلك ٱستقرار جديد ومن لون جديد لولادة ٱلعذرآء «مريم» وولدها «عيسى». ٱلّذى ستكون ولادته ٱلجديدة على سطح ٱلزهرة. وهٰذا كله يجرى بقوة ٱلفعل «رَحَمَ» وفاعله ٱلّذى «ٱستوى على ٱلعرش» يسوّى ٱلخلق حقًّا.

---

(١) مجلة العلوم الأمريكية المجلد ١٤ العدد ٥ / ١٩٩٨.

(*) هٰذه ٱلمسألة معروضة فى كتاب ٱلاستنساخ.

ٱلموت تعقبه حياة. وٱلكون ساعة تشبه ٱلساعة ٱلرملية. وساعة ٱلكون جارية فى سبعة بطون هىَ أرحام ٱلسمآء. وما بينهآ أنفاق بكيّة دودية. يُحشر ويُزجر فيهآ أىُّ حطام سماوىّ. وقد بيّن ٱلبلاغ عددها:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٩ ٱلبقرة.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ٨٦ ٱلمؤمنون.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ﴾ ١٢ فصلت.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ ١٢ ٱلطلاق.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ﴾ ٣ ٱلملك.

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ ١٥ نوح.

«طباقًا» ٱلأصل «طَبَقَ». فى دليله ٱلأفعال (ساوى ومَثَلَ وشَبَهَ). فٱلسّمٰوٰت تساوى بعضها فى ٱلحال وٱلمنزلة وٱلمثل وٱلشّبه. وما بين هٰذه ٱلسّمٰوٰت هو تلك ٱلأنفاق ٱلبكيّة ٱلّتى تجعل ٱلكون حلقة ذات سبعة بطون. توصل فيما بينها سبعة أنفاق بكيّة. تأخذ ٱلحطام من واحدة وتبكّه فى ٱلأخرى. حتى تكمل دورة ٱلساعة ٱلكونية فى جريانهآ إلى مرسٰها:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٨٧ ٱلأعراف.

يمكن للناس أن يعلموا بٱلسَّاعة. ولكنهم لا يعلمون ولن يعلموا مرسٰها. وبيّن أن هٰذا ٱلعلم غير منزّل بٱلروح:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ٣٤ لقمان.

هٰذا ٱلعلم لا وجود له فى ٱلتكوين ٱلحقّ. ولا فى ٱلبلاغ. وهو علم عند ٱللّه. وهو وحده ٱلّذى يأمر بتوقف جريان ٱلساعة. ٱلّذى يبدأ بتسوية ٱلخلق من

ٱلشهور وتحت سلطة واحدة هى سلطة «ٱلرَّحمٰن». وأول نشأة وفى كلِّ طور هى ٱلسُّور ٱلأربعة ٱلأولى (ٱلعلق وٱلقلم وٱلمزَّمل وٱلمدَّثِّر) ومنها تبنى ٱلسُّورة ٱلمستقرة ٱلأولى «ٱلفاتحة/ ٱلهدروجين». ويتابع بعدها ٱلبنآء ليوصل إلى سورة «ٱلناس» ٱلّتى يدل ٱسمها على جريان ٱلفعل «ناس». وفيه دليل ٱلأفعال (ذبَّ وحَرَكَ وفَرَقَ). وسورة «ٱلناس» يدل ٱسمها على فقدان ٱلاستقرار وٱلسكون وعلى ٱلانفصال وتمايز ٱلفرد عن غيره من ٱلأفراد. وهٰذا ما نجده فىَ أطوار ٱلبشرىّ ٱلّذى يبدأ بهيمًا فى قطيع ثم إنسانًا فى عآئلة وقبيلة ثم فى تفككٍ وهجرةٍ إلى تجمعات كبيرة. وفيها يكثر ويكبر ويزداد عدد ٱلساكنين. فيتحولون إلىَ أفراد لا يكاد يعرف أحدهم ٱلأخر. وهنا يحيا ٱلإنسان فى طور «ٱلناس» وتتفتت ٱلعلاقات ٱلقديمة للعآئلة وٱلقبيلة. ومثله فى ٱلحقِّ ٱلميِّت ٱلذى يبدأ بسورة «ٱلفاتحة/ ٱلهيدروجين» وينتهى بسورة مدارها مغلق بٱلإلكترونات (١١٤ إلكترونا). فتتفتت ٱلعلاقات ٱلفيزيآئية وتبدأ ٱلكواكب تتفتت وتسير إلى بكّة فى «درب ٱلتبانة» فيبكّ حطامًا ثم دخانًا يدفع إلى «ٱلطريق ٱللبنىّ» عآئدا سيرته ٱلأولى. فى طريق واسع يزداد عدد ساكنيه ويحشرون فيه.

وجريان ٱلسَّاعة ٱلكونية لا يتوقف إلا بأمر ٱللّه. وكلمآ أكملت ٱلساعة دورتها تبدأ بداية جديدة:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ ٢٧ ٱلروم.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ١٠٤ ٱلأنبياء.





هل يمكن للقرآن أن يسير مع العلم ويوصل إلى استنباط منهاج للبحث العلمي؟

يرى المؤلّف أن السورة هي الذرة في اللغة الفصحى، وعدد السور (الذرات) يتطابق مع ما كشف عنه العلم، والشهور الـ ١٢ تقابل عدة التكوين الفيزيائية.

البحث في القرآن يبدأ بمعرفة دليل حروفه وبالسير نظراً وبحثاً في كيف بدأ الخلق وكيف يجري أمر الله حتى النهاية ثم إعادة الخلق. الذين يكشفون عن هذا المنهاج هم أولو الألباب الذين امتلأت قلوبهم بالعلم والمعرفة بالوجود وظواهره وسننه. فأحسن الحديث صفة كتاب الله المتشابه الذي يدلّ على الفهم الذي يتطوّر باتساع وزيادة فهمنا للوجود ونشأته وأطواره.

سمير إبراهيم خليل حسن باحث وكاتب سوري. بدأ بدراسة الفكر الديني منذ عام ١٩٩٢ من أجل نقده، ولكنّه تحوّل من نقد الدين إلى الدعوة إلى كتاب الله والنظر فيه بأسلوب علمي يرى أنه الطريق نحو المدنية. وهو يجتهد اليوم ليكتب بخط القرآن ويستعيض عن المفردات الدارجة بمفردات القرآن. له مدونة فرعية على موقع الحوار المتمدن: http://www.ahewar.org/m.asp?i=879


ISBN 978-1-85516-742-1

